المغازي النبوية

تصنيف الإمام محمد بن مسلم بن عبيد الله
ابن شهاب الزهري (٥١ - ١٢٤ هـ)

حققه وقدم له
الدكتور سهيل زكار

دار الفكر

١٤٠١هـ - ١٩٨١م

طبع هذا الكتاب بطريقة الصف التصويري والأوفست
في دار الفكر بدمشق ص . ب (٩٦٢) هاتف (١١١١٦٦)

الإهداء

إلى ابنتي لما

هذه سيرة جدك المصطفى

اتخذيها مثلك الأعلى

بسم الله الرحمن الرحيم

المقـــدِّمة

« يسألونك عن الأهلة قل هي مواقيت للناس والحج وليس البر بأن تأتوا البيوت من ظهورها ولكن البر من اتقى وأتوا البيوت من أبوابها واتقوا الله لعلكم تفلحون » ـــ البقرة : ١٨٩ ـــ

نشطت في السنوات القليلة الماضية بعض الأوساط الثقافية العربية بالدعوة إلى « إعـــادة كتابة التاريخ العربي » وجــاء ذلك في البداية على يــد عدد من الاختصاصيين ، ثم ما لبث أن قامت بعض الدول العربية بتبني الفكرة ، فرعت بعض المؤتمرات التي حاولت معالجة هذه المسألة الخطيرة ، ودار نقــاش طويل ســـار من بيروت إلى دمشق فالكويت ، ثم حل بالقاهرة ، وانتقل بعدهـــا إلى الخرطوم ، وبعد ذلك إلى غيرها من البلدان ، وأخيرا أخذت العاصفة بالهدوء ، لكنها لم تخمد تماماً فما زالت هذه الدعوة قائمة نراها بين آونة وأخرى في أعمال الباحثين في التاريخ العربي وسواهم .

ويتساءل المرء عن الأسباب التي دفعت ـــ وما زالت تدفع ـــ إلى هـــذه الدعوة ، ثم لماذا خفت الصوت وكاد ينعدم بعد ذلك ؟

قد يرى البعض في هذه الدعوة عملاً تم الإيحاء به من الخارج ، وقد يراه آخرون عملاً أصيلاً أوحت به ـــ لا بل تطلبته ـــ حركة التحرر العربية من كافة أنواع التبعيات ، وخاصة التبعية الفكرية ، ودارت النقاشات حول هذه المسألة

دورانا عجيبا ، تناولت العديد من الجوانب ، وأخيراً استقطبت لفترة طويلة حول : من أي الزوايا ، وحسب أي مدارس التفسير والتعليل التاريخية ستكون الكتابة ، أو بالحري هل : ستتم هذه الكتابة من وجهة نظر يسارية تحررية أم يمينية رجعية ؟

وهنا ندرك بسرعة أسباب هدوء العاصفة ، وكيف حل محلها دعوات إلى التأريخ الاقليمي ، — في قطر ، وعمان ودمشق ، والرياض على سبيل المثال — .

في الحقيقة جاءت هذه الدعوة منذ البداية مضللة ، ومن ثم سارت المناقشات على ذات السبل ، فأدت الى الفرقة ضمن ما أدت إليه ، ذلك أن التاريخ العربي لم يكتب بعد بشكل كامل ، وحسب قواعد نقدية علمية ، حتى تعاد كتابته ، وبالتالي تفسيره وتعليله .

ومعلوم أن كتابة التاريخ لا يمكن لها أن تقوم على الابداع الخيالي ، بل تعتمد أصلاً وفرعاً على الوقائع المروية بشكل ما ، ولا اجتهاد مع النص ، إنما ضمن حدوده ، ووفق معطياته ، والباحث في التاريخ لا يمكنه القيام بأي عمل دون العودة إلى المصدر ، ولذلك فإن أول شروط البحث في التاريخ هي جمع المصادر ، والعودة إلى ما جاء فيها ، ومحاولة استيعاب المواد فهما ودراية .

وحيث أنه بات من المقرر أن التاريخ هو سجل لكل ما صدر عن الانسان في الماضي ، وارتبط بحياته بشكل ما ، ثم لما كانت أعمال الانسان متعددة بتعدد مداركه ، وتنوع قواه ، لم يعد التاريخ الآن خبراً سياسياً فقط ، بل هو الخبر الاقتصادي والاجتماعي ، والعقائدي ، والحربي ، والعلمي ، والفني ، والأدبي ، والثقافي ، والغريزي إلى غير هذا ....

وبديهي أن الهدف الرئيسي للباحث التاريخي هو التوصل إلى معرفة حقيقة ما حدث في الماضي بشكل لا زيف فيه ولا تحريف ، وهنا لنفترض جدلاً أن باحثاً ما تمكن من جمع جميع ما جاء في المصادر — وهو أمر محال — مع هذا فإن في

إقدامه على البحث والكتابة وفي رأسه فرضية محددة ، أو تفسير نابع من مدرسة ما عملاً يستهدف تحقيق رغبة بالبرهنة على صحة صورة مسبقة ، ولا ريب أن مثل هذا التطبيق هو انحراف عن الواقع ، وفيه تشويه وتزوير •

وهنا وحيث أن التعامل يبدأ أولاً مع المصادر ، فما هي مصادر التاريخ ـ أي تاريخ ، ومصادر التاريخ الاسلامي ، بشكل خاص ، وكيف يمكن التعامل معها ؟•

لقد قررنا منذ قليل أن التاريخ هو سجل لكل ما صدر عن الانسان في الماضي ، وارتبط بحياته بشكل ما ، وعلى هذا يمكن القول أن كل شيء حوى خبراً من أخبار الماضي الانساني بشكل ما فهو مصدر ، رغم ما اعتاد عليه الباحثون من تصنيف المصادر إلى نوعين : مباشرة وغير مباشرة ، وقولهم ، بأن المصادر المباشرة هي إما مدونة أو شفوية غير مدونة ، وغالباً ما قصد بالمصادر المدونة الكتب التي وقفها أصحابها على رواية الأخبار ، وصنفوها لهذه الغاية ، حتى باتت تعرف باسم « التواريخ » وذلك مع الوثائق والمخلفات الأثرية ، وقصد بالمصادر غير المدونة الروايات المتناقلة شفوياً جيلاً بعد جيل ، أو روايات شهود العيان ، وسواهم في الأيام الحاضرة •

وعندي إنه بات من الضروري التخلي نهائياً عن هذا التصنيف أو تعديله على الأقل ، ذلك أن الرواة حرصوا على تسجيل ورواية ما ظنوه مهما ، وما صدف وعرفوه ، وانصب الاهتمام على الأحداث السياسية ، وما ارتبط بها من معارك حربية وصراعات مختلفة ، ولما كان الانسان عاجزاً عن أن يقوم برواية كل الأخبار بوعي وحياد وفهم ، ثم لما كان الحدث السياسي جاء نتيجة لأسباب بعيدة وقريبة هي في الغالب غير سياسية ، فإن السجلات التي تروي بعض محصلات أعمال الانسان ، ومن جوانب محدودة لا يجوز اعتبارها مصادر رئيسية أو مباشرة للباحث التاريخي ، إنما يجب تقديرها حسب حجمها الطبيعي ، وكمية ما لديها من عطاء مفيد •

وينطبق هذا على حال مصادر التاريخ الاسلامي ، مع تفردها بمزايا خاصة نابعة من تميز تاريخ الاسلام ، والحضارة الاسلامية ، ذلك أن كل شيء مهما بلغ من شأن يظل دائماً مرتبطاً بنقطة البداية التي انطلق منها أولاً •

ونقطة البداية في تاريخ الاسلام مرتبطة عظيم الارتباط ووثيقه بحياة نبي الاسلام وسيرته ، فسيرة النبي ﷺ هي المدخل الطبيعي لدراسة تاريخ الاسلام ، وبقدر ما نحيط علماً بهذه السيرة وتتفهم أسرارها وأخبارها بقدر ما نستطيع فهم أحداث تاريخ الاسلام في جميع مراحله أو بالحري في كل مكان وزمان •

ولنقف بعض الوقت مع هذا الأمر في سبيل تقديم بعض الأدلة الشاهدة على صحة هذه الأطروحة ، وستكون وقفتنا مع عرض لبعض جوانب السيرة النبوية•

ولد النبي محمد ﷺ عام ٥٧١ م ، في مدينة مكة ، التي هي إحدى كبريات حواضر شبه جزيرة العرب ، وجزيرة العرب هي رقعة شاسعة من الأرض في آسية ، تمتد جنوبا إلى شواطىء اليمن وشمالا إلى بلاد الشام ، وغربا إلى خليج العقبة فسواحل البحر الأحمر ، وشرقا إلى أطراف عمان والبحرين ، فالبصرة وشط العرب ، ورغم مكانة موقع شبه الجزيرة هذا وإحاطة المياه بها ، فقد قست عليها الطبيعة ، فالمياه بها قليلة ، والأمطار شحيحة ، وقد انعكس هذا على سكانها ، من حيث الطباع ونمط الحياة ، فقد اتسم هذا النمط بعدم الاستقرار ، وبسيطرة الطبيعة البدوية عليه ، لهذا كان سكان شبه الجزيرة أكثرهم بادية وأقلهم حاضرة ، وفي التاريخ القديم لشبه الجزيرة قامت مواجهة بين قلة الموارد وتكاثر السكان ، وأدى هذا إلى جعل شبه الجزيرة واحداً من أعظم الخزانات البشرية عبر التاريخ، تدفق منه موجات من المهاجرين غطت بمدها الشام والعراق ومصر وشمال افريقية، وكان أهم هذه الموجات وأبعدها تأثيرا تلك التي تمت في القرن السابع مع قيام الاسلام وبسببه •

وقطن أكثر الحاضرة في جنوب شبه الجزيرة وأقلهم في الشمال ، في مدن

قامت إما في إحـدى الواحات ، أو في واحـد من المواقع ذات المكانة الدينيـة والتجارية في آن واحد ، ومنذ القرن الخامس ، كانت مدينة مكة أبرز مدن شبه الجزيرة تجاريا ودينيا ، حيث تحكمت بقيادة العمل الديني ، كما احتكرت صناعة المال ، ومعلوم أن من ملك المال ملك السيادة ، فكيف به اذا ملك زمام العقيـدة مع المال ••••

من الصعب تتبع تاريخ مكة بشكل وثائقي ، إنما هو على العمـوم ارتبط بالبداية بنبي هو ابراهيم الخليل ، قام ببناء البيت العتيق فيها الذي عرف باسـم الكعبة . ثم أخذ بمدارج الشهرة والتأثير مع زعيم كاهن تاجر هو قصي بن كلاب ، وأخيرا ــ لكن ليس آخرا ــ احتل مكان الصدارة في تاريخ العالم مع تاجر ، نبي، وقائد مشرع ، ورجل دولة من الطراز الأمثل هو النبي محمد ﷺ •

ففي القرن الخامس للميلاد استولى على مكة رجل نصف تاريخي ونصف اسطوري عرف بقصي بن كلاب ، فأسكنها تجمعا قبليا من قبائل كنانة وسواها ، وذلك حسب نظام اجتماعي قام على أساس الثروة ثم الدين ، وخلال ما يقارب القرنين من الزمن سار مجتمع مكة نحو تكوين وحدة قبلية عرفت بها باسم قريش ، وحواشيها باسم الأحابيش ، وتطور الحال السياسي فيها من قاعدة القبلية البدوية نحو جمهورية التجار السدنة ، وأدواتهم في جميع المجالات •

وتبعا لقاعدة كل تطور ، لقـد مر ذلك خلال صراعات كبيرة ، رواها لنـا الإخباريون تحت عناوين حروب وأحلاف وزيادة ثروة ، وفقر واستغلال وصراع مرير عبر طرق القوافل العالمية نوعا ومصدرا •

في هذا الجو ، وفي هذه المدينة ولد النبي محمد ﷺ ، في عام تعرضت فيه مكة لأول غزو خارجي مؤرخ ، قام به جيش من الأحباش كان حليفا للامبراطورية البيزنطية ، وقد أراد هذا الجيش الاستيلاء على ثروات مكة ، وتحويل كعبتهـا إلى كنيسة ، وفتح جبهة عسكرية جديدة ضد الامبراطورية الفارسية التي كانت

في صراع مع بيزنطة ، وأخفقت هذه الحملة ، ودمر الله رجالها ، وجاء ذلك فرصة جديدة لمكة ، أكدت فيها قوتها وجبروت زعاماتها ، وعلو مكانة كعبتها فوق جميع كعبات ومعابد الوثنية في شبه الجزيرة •

وأثناء تعرض مكة لمحنتها برز عبد المطلب بن هاشم كزعيم أول لمكة وثيق الصلة بالكعبة ، سلاحه الأول الشجاعة والأخلاق مع شيء من المال ، ولم يسلم رجال مكة الأكثر ثراءا لعبد المطلب ، وكان أهم هؤلاء بنو أمية ومخزوم ، وكيما لا يقف بنو هاشم وحدهم في وجه بني أمية تحالفوا مع قبيلة تيم من قريش ، وهي قبيلة كانت فيما سلف أدنى مكانة من الناحية الاجتماعية ، لكنها حصلت مؤخراً ثروة كبيرة على يد واحد من رجالاتها عرف باسم « عبد الله بن جُدعان » ، وفي دار عبد الله بن جُدعان عقد الحلف الهاشمي التيمي ، ورد بنو أمية ومخزوم على هذا الحلف بحلف مضاد عقدوه مع قبيلة عدي من قريش التي شابهت تيم ، ثم مدوا فروع هذا الحلف إلى أرستقراطية الطائف ورؤساء القبائل في شبه الجزيرة وحتى إلى خارج شبه الجزيرة •

ضمن هـذه المعطيات ولد محمد بن عبد الله بن عبد المطلب ، يتيم الأب ، فاحتضنه جده عبد المطلب ، وقام — على قاعدة ارستقراطية مكة — بدفعه الى مرضعة بدوية من بني سعد ، عرفت باسم حليمة ابنة ذؤيب ، ولدى حليمة ، وعبر خمس سنوات ، رضع محمد ﷺ الحليب ، ونال حظه من الهواء النظيف واللغة السليمة ، والعادات القويمة ، وبعدها عاد الى أمه وجده •

وبعد عودته بقرابة عام سافرت به أمه الى يثرب — المدينة — لزيارة اخوال جده ، وفي طريق العودة توفيت ، فأصبح يتيم الأبوين يرعاه جـده ، ويسـهر على تربيته ويؤثر فيه ، ولما بلغ الثامنة من عمره توفي جده ، فدخل مرحلة اليتم الحقيقية التي أشار الله تعالى إليها بقوله : « ألم يجدك يتيما فآوى » ، وكـان المأوى هذه المرة بيت عمه — شقيق أبيه — أبي طالب ، وكان أبو طالب فقير الحال معيلا لأسرة كبيرة ، وكان بين إخوانه من هو أغنى منه مثل العباس ومثل أبي لهب

الذي « ما أغنى عنه ماله وما كسب » ، لكن ما من واحد من هؤلاء مدّ إليه يد العــون .

وكان أبو طالب يكافح في سبيل لقمة العيش ، ويسافر في رفقة القوافل ، لهذا استعان بابن أخيه ، واصطحبه معه أثناء عمله داخل مكة وخارجها ، وهكذا زار محمد ﷺ بقاع الجزيرة والشام وربما غيرها من البلدان ، فنال بذلك خبرة ومعرفة جغرافية ، وثقافة عامة ، وعرف كيف يكافح من أجل العيش ، وعانى من الاستغلال ، وعاش مشاكل أمته وعصره ، فرأى جشع الأثرياء ونهمهم ، وأمضى وقتا طويلا مع الشقاء والحرمان ، وأبصر عن كثب الصراع بين الديانات ، وشهد عن قرب محاولات بعض بني قومه في البحث عــن المخرج عــن طريق ما عرف بالحنيفية .

وهكذا جاء خريج مدرسة الحياة ، عنده المقدرة والجلد مع الصبر والعزيمة فكان عصامي النفس ، مرهف الأحاسيس ، جياش العاطفة ، صلب المبنى ، واضح الرؤى ، كريم الخلق أمينا بلا سلبيات ، يتألم لشقاء الآخرين ويسعى بكل جهــد لإزالتــه .

وعندما بلغ سن الشباب ، أخذ يشارك في نشاطات مكة التجارية ، والمدنية والحربية ، فلفتت مواهبه انظار المكيين اليه ، وكان بين هؤلاء خديجة بنت خويلد التي كانت « امرأة تاجرة ، ذات شرف ومال » وقد تشاركت مع محمد ﷺ وأدى نجاح أعمالهما إلى الزواج ، وكان هو في الخامسة والعشرين من عمره ، وكانت هي أرملة ربما تقاربه في السن أو تزيده قليلا .

وكان لحادث زواجه من خديجة كبير الأثر على حياته ، فقد وضع هــذا الزواج حداً لشقائه وفقره ، ورفعه إلى موقع المسؤولية التجارية والإدارية ، كما منحه الوقت ...

وأحب محمد ﷺ زوجته الهادئة المجربة الرزينة ، وتعلق بها تعلقاً شديدا ،

وبادلته هي نفس المشاعر ، وكانت تفهمه وتثق به ، لذلك منحته الفرصة للانقطاع طويلا للنظر في أمور الكون ، وللعمل في سبيل إعداد نفسه ، والتهيؤ لتحمل أعباء رسالة أراد الله تعالى بها إسعاد البشرية ورفع الظلم والحيف ، ونفي الضلال عنهم ٠

وتدعى فترة الانقطاع في حياة محمد ﷺ باسم « التحنف أو التحنث » أي العمل للخروج من الحنث إلى جادة الصواب ، وقضى جل خلواته في غار خارج مكة عرف باسم « حراء » ، وفي الخلوات استطاع أن يقهر قوة الذات ، ويزيل « الأنا » من نفسه ويتحول إلى « الغيرية » بلا حدود ، وعندما وصل إلى هذه الحالة جاءه الوحي برسالة السماء ، فطوى بذلك الطور الأول من حياته ، وبدأ الطور الثاني ، وهو طور بالغ الخطورة لا بالنسبة له فقط وإنما بالنسبة للعرب والبشرية جميعا منذئذ وحتى يرث الله الأرض ومن عليها ٠

ولقد مر الطور الثاني من حياة النبي محمد ﷺ بمرحلتين هما : المكية والمدنية ، ففي المرحلة المكية وهي الأولى بداية وطولا ، تم تبليغ مبادىء الرسالة الإلهية « الجديدة الخاتمة » التي عرفت باسم الاسلام ووضعت قواعدها وبنيت مقاصدها وأهدافها ، وشهدت المرحلة الثانية تطوير ذلك كله مع التطبيق العملي ٠

وبدأ تاريخ الاسلام بنزول الوحي على « النبي الجديد » ، « خاتم الانبياء » بقوله تعالى « اقرأ باسم ربك الذي خلق » ، ثم أخبره بأنه رسول الله الواحد الأحد ، إلى قومه وإلى البشر كافة ، وأن عليه تبليغ الرسالة ، وإنارة السبل ، وإرشاد الناس قولاً وعملاً إلى الطريق القويم الذي شرعه الله ، ولم يشرعه البشر ، فالله خلق البشر ، وهو سيرعى خلقه بشرعة كاملة ، توافقهم بلا استثناء : لونا ، وزمانا ، ومكانا ، والمقصد من نزول هذه الشريعة هو هداية البشر إلى الطريق الأقوم عبادة وسلوكا نظريا وتطبيقيا قولاً وعملاً ٠

وكان نزول الوحي للمرة الأولى على النبي ﷺ امتحانا قاسيا ، لكن بعد

أن اعتاد عليه ، وترسخت معالم النبوة في نفسه ، أخذ يبشر بما جاءه من عند الله ، فآمن به عدد من الرجال كان أولهم أبو بكر ، أبرز رجال قبيلة تيم آنئذ ، ومع تطور العمل الدعوي لدى النبي ﷺ تطورت معارضة قريش له ، وخاصة عندما بدأ ينادي بالاصلاح الاجتماعي والمساواة ومنع الظلم والاستغلال ، وبعدما أعلن الحرب على المرابين من أصحاب الأموال ، ثارت زعامة قريش وأخذت تضطهده وتعذب كل من آمن به .

ومرت السنوات الأولى من الدعوة ، واستخدمت الأرستقراطية المكية جميع الأدوات من ترغيب وترهيب فأخفقت واعتمدت الأرستقراطية القرشية في عملياتها على دعم حلفائها لها وخاصة بنو عدي ، الذين آلت زعامتهم إلى عمر بن الخطاب .

لقد كانت معركة بين حلف الفضول وخصومه ، لذلك هدف النبي ﷺ نحو تحطيم حلف الارستقراطية ، وبعد جهد طويل أفلح في ذلك ، حين دخل عمر بن الخطاب الإسلام ، وفور اعتناق عمر للاسلام احتل المرتبة الثالثة بين جماعة المسلمين بعد النبي ﷺ وأبي بكر ...

وإثر ذلك ازدادت شراسة الأرستقراطية المكية ، وتحرج وضع النبي ﷺ وأتباعه في مكة حرجاً شديداً ، واقتنع النبي ﷺ وصحبه بأن فرص النجاح في مكة باتت ضئيلة ، وأخذ النبي ﷺ يبحث عن مخرج ، وهنا اقترح عليه أحد المسلمين الاستيلاء على مكة على حين غرة ـ أو بعبارة اخرى ـ إحداث انقلاب عسكري في مكة ، ومع تقدير النبي ﷺ لصدق نوايا صاحب الاقتراح ، وتأثره بشدة اندفاعه العاطفي ، رفض الفكرة بإصرار ، ذلك أنه كان نبياً ثورياً وليس وصوليا هدفه السلطة ، فهو سبق له أن أعلنها مدوية « والله لو وضعوا الشمس في يميني والقمر في شمالي على أن أترك هذا الأمر ما تركته حتى يظهره الله أو أهلك دونه » .

وأمام اشتداد المحنة ، سمح النبي ﷺ لأتباعه بالهجرة الى الحبشة ، وأخذ

هو بدوره يتصل بالأعراب وسواهم أيام المواسم ويعرض عليهم دينه وعقيدته ، فانتشر ذكره في بلاد العرب وعم بين قبائلها ، وسعى النبي ﷺ نحو التحالف مع قادة بعض القبائل من ثقيف الطائف وسواها ، ولكن الترابط الارستقراطي بين زعامات القبائل وأرستقراطية مكة حال دون نجاح مسعاه ، وهنا توجه ببصره نحو يثرب ، التي هي مدينة على بعد حوالي مائتي ميل من مكة ، وإلى الشمال منها ، وقد قامت ضمن واحة زراعية ، جل انتاجها من التمر ، وسكنت المدينة آنئذ من قبل يهود وعرب ، وكان هنـاك صراع بين اليهود والعرب أساسـه اقتصادي اجتماعي سياسي ، ثم ان العـرب تألفوا مـن قبيلتين رئيسيتين همـا : الأوس والخزرج ، وكانتا في صراع دائم حول السيادة في يثرب ، ولم يكن بالمدينة كعبة ولا أرستقراطية تجارية .

واتصل النبي ﷺ بحجاج من أهل المدينـة وأثمرت الاتصالات باسـلام بعضهم ، ثم بانتشار الإسلام في يثرب ، وبعد عمل دعوي منظم وضعت الترتيبات لهجرة النبي ﷺ وأصحابه من مكة إلى المدينة ، وحدث هـذا في سنة ٦٢٢ م ، وكان هذا الحدث من الخطورة بمكان ، لذلك اتخذه المسلمون فيما بعد منطلقا لتقويم خاص بهم .

وفي المدينة صنعت إنجازات كبيرة للغاية منها إيجاد نواة أمة عقائدية ، حل فيها رابط الإسلام محل رابطة الدم والنسب ، ونظمت العلاقات الداخليـة بين أفرادها والعلاقات الخارجية مع غيرها من الأمم ، وصار النبي ﷺ سيد الأمـة الجديدة وذلك بالإضافة لكونه نبيا ، وغـدا مقر سكناه ودار دعوته وإدارته المسجد ، وتطلبت منه مهمته الجديدة مجهودات كبرى في التنظيم والحكم والإدارة مع متابعة نشر الدعوة ، وبتولي النبي ﷺ للسيادة الزمنية مع صفات النبوة فيه جعل المفهوم الديني ممزوجا بالمفهوم الدنيوي ، وهذه ناحية تفرد بها هذا الدين الذي لم يفرق بين القصر والمعبد .

وما أن استقر به الحال في يثرب حتى أخـذ النبي ﷺ يخطط لاستخدام

القوة المسلحة ضد خصومه من قريش وسواهم ، وكانت حاجته ماسة للسلاح ، وقد استطاع تأمين أول كمية كبيرة من الأسلحة بعد غزوة بني النضير وإجلائهم ، وبعــد ستة أشهر من غزوة بني النضير خــاض المسلمون أول معركة فاصلة في تاريخهم ، حيث هزموا على أرض بدر قوات القرشيين ، وبعد بدر خاض المسلمون عدة معارك أخرى قادتهم أخيرا نحو فتح مكة ثم توحيد شبه الجزيرة ووضعهــا تحت إدارة مركزية •

ولم تكن الجزيرة وأمر إخضاعها شغل النبي ﷺ الشاغل ، بل نجده يهتم بإيصال الاسلام الى البلدان المجاورة ويضع الخطط البعيدة المدى لنشر الاسلام في بقاع العالم أجمع ، وبهذا المنطلق تميز النبي محمد ﷺ عن غيره من الرسل ، فالأنبياء الذين سبقوه جاؤوا برسالات محلية قومية ، فالنبي موسى عليه السلام أراد إخراج قومه من مصر وهدايتهم ، والمسيح عليه السلام ــ تبعا للمصــادر النصرانية ــ ، إنما بعث لهداية الكباش الضالة من بني إسرائيل •

ولا تقاس أهمية النبي محمد ﷺ وعظمته بالإنجازات التي تمت في عصره فقط ، ولكن بما تنتج عن هذه الانجازات ، وما تحقق بعده ، بقيــام الفتوحات الكبرى ، وتأسيس دولة الاسلام العظمى الممتدة من داخل الصين وحتى خليج عمان ومن شواطىء المتوسط في الشام حتى جنوب فرنسة ومشارف روما ، مع إنشاء الأمة العقائدية العالمية •

ولقد كان أثر هذا ، وما زال كبيراً للغاية على البشر وحضارتهم ، وثقافاتهم وأوضاعهم الاجتماعية والعقائدية والعرقية والسياسية والحربية أيضا •

وتأتي أهمية النبي محمد ﷺ في أنه أول مشرع في التاريخ قديمه ووسيطه وحديثه جاء ــ من عند الله ــ بالنظرية ، وقام بعد ذلك بالتطبيق ، لهذا لم يتغير جوهر التشريع الاسلامي ولم يتبدل قط ، وهكذا كان الإسلام واحــداً ، وظل واحداً ، فليس في الإسلام « كنائس » ذات ديانات متباينة بالعقائد والتشاريع

كما هو الحال في المسيحية مثلا ، في الإسلام مذاهب متفقة بالجوهر مختلفة حول بعض التفاصيل والألوان الخارجية .

وتأتي عظمة النبي ﷺ وخلوده في كونه قد نفذ جميع البرامج التي وضعها ؛ ووفى بجميع وعوده ، فعندما أصبح سيد الامة الجديدة ، حقق ما دعا إليه من إصلاح اجتماعي واقتصادي ، حيث أوجد الإخاء ، وأحل العدل القائم على الشريعة الواضحة ذات المضامين الأخلاقية ، محل الظلم والاعتباط ، وحرر المرأة ، وصان كرامتها ، وأحاطها بسياج من القدسية والأخلاق ، وقضى على الفوضى ، وأوجد النظام ورفع من مكانة الأرقاء ، وأوجد سبلا كثيرة لتحرير الرق ، ومحاربة الشقاء والفقر ، وحض على العمل الدؤوب المخلص .

لقد أوجد النبي محمد ﷺ أمة جديدة ككل وكأفراد ، فعظمة النبي ﷺ تظهر جلية في براعته في صنع القادة العظام من رجال كانوا عاديين قبله ، لقد أوجد النبي محمد ﷺ من العربي انساناً متحضراً بعقله وإيمانه ، وحسن أخلاقه ومثله وأمانته ، وسهر منذ بداية الدعوة على نشر الثقافة والقراءة والكتابة بين صفوف أتباعه ، فهيأ طبقة من الناس ستتمكن من إدارة الدولة الكبرى التي ستقام بعد وفاته .

وبفضل ما جاء به من نظم شملت جميع جوانب الحياة ، وما شرعه من قوانين اقتصادية ، ومالية ، واجتماعية ، وسياسية وقضائية ، وإدارية ، ثم بفضل إيجاده لفكرة الجهاد ، وإحلال الحرب المقدسة الهادفة ، محل الحروب الداخلية وأعمال الغزو ،.وبفضل إيجاده لشرعة الحرب ، التي استهدفت تحرير الانسان وصيانته سواء أكان صديقا أم خصما ، بفضل ذلك كله استطاع العرب المسلمون بعد وفاته بفترة وجيزة فتح معظم أجزاء بلاد العالم الوسيط ، ولم يحدث لعرب القرن السابع ما حدث لأسلافهم من المهاجرين إلى خارج الجزيرة ، الذين امتصتهم حضارات البلدان التي هاجروا اليها ، أو مثلما حدث لمغول ما بعد القرن الثاني عشر ، واستطاعوا الحفاظ على شخصيتهم المتميزة لانهم حملوا منطلقات

حضارية جديدة تنبض بالحياة فتمكنوا من صهر الحضارات القديمة في بوتقة عربية ، وأخرجوها للناس حضارة جديدة ، ثم قاموا تحت ظل الاسلام ، بتطوير هذه الحضارة وتنميتها ، وإضافة جوانب مبدعة كثيرة عليها •

والآن حين أخذ الناس يتعرفون بشكل علمي الى تاريخ الاسلام وحضارة المسلمين ، لاحظوا باكبار ودهشة ، أن كل خلجة وحركة تمت في ماضي المسلمين جلي فيها أثر النبي محمد ﷺ الكبير ، وفي هذا ريادة لا يعلوها ريادة ، وخلود ما بعده خلود ، ولم لا فالله تعالى قال وقوله الحق : « إنا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون » •

النبي محمد ﷺ هو الرائد بالنسبة للمسلمين ، وهو الرائد الذي لم يكذب أهله ، وكل ماحدث في تاريخ الاسلام يمكن أن نجد قاعدته في سيرة النبي ﷺ ، وهذا أمر لا نكتشفه الآن ، بل عرفه الأوائل ، ويكفي هنا أن تتذكر أن الخزاعي في كتابه تخريج الدلالات السمعية ومن بعده الكتاني في شرحه لهذا الكتاب بالتراتيب الادارية ، أثبتا أنه ما من إدارة أو وظيفة أحدثت في تاريخ الاسلام ، إلا وأصلها موجود في سيرة النبي ﷺ وأعماله •

وعلى هذا نعاود القول بأن السيرة النبوية هي المدخل الطبيعي لتاريخ الإسلام ، وحيث إننا أمرنا بإتيان البيوت من أبوابها ، فلندخل إلى تاريخ الاسلام من باب السيرة ، ولنفتش في السيرة عن قواعد لتحليل التاريخ الاسلامي وتفسيره، فالتاريخ الاسلامي أساسه ما جاء في القرآن الكريم وسيرة النبي ﷺ الشاملة لأعماله وأقواله وتقريراته وأوصافه •

ونحن عندما نتمعن في آي القرآن والسيرة النبوية ، يمكن أن نجد معالم ما نستطيع تسميته باسم « مدرسة إسلامية لتعليل التاريخ » ، فالاسلام نظر نظرة كلية إلى الانسان ، وقام بالمزج بين المفاهيم ، فليس في الاسلام عمل دنيوي وآخر ديني ، بل كل عمل هو ديني دنيوي •

وحيث أن الحدث التاريخي هو ما كان بطله إنسان ، فكل حدث ليس وراءه إنسان أو ليس مرتبطاً بإنسان ، ليس بحدث تاريخي ، فصراع حيوانات الغابة وأسماك البحار ليست بأحداث تاريخية ، والإنسان هذا المخلوق العجيب فيه مجموعة من القوى والحواس والعوامل ، وهي متقلبة غير ثابتة ومتحولة ، وحياة الإنسان فيها طعام وتفكير وحروب ، وعلوم ، وآداب وفنون ، وعبادات وسياسة وإدارة ، وغرائز مختلفة ، وقوى متشعبة إلى غير ذلك ، والإنسان الذي فقد احدى حواسه أو قواه أو غرائزه ، أو أصيب بخلل في وظائفه ليس إنساناً كاملاً بل فيه عاهة ، وذوو العاهات بين البشر أقلية ، ولهذا فإن تعليل حدث من أحداث التاريخ ـ بطله إنسان ـ اقتصادياً فقط أو دينياً ، أو غريزياً ، أو تقدمياً ، أو رجعياً ، أو ... أو ... فقط فيه تشويه وبتر ، واعتماده كمن يعتبر ذوي العاهات بين البشر هم الأكثرية .

الكمال في شرعة الله وإبداعه ، ولا كمال في شيء أبدعه الإنسان واخترعه ، الكمال الرباني لا خلل فيه ولا عيب ، معصوم كل العصمة في حين أن الإبداع الانساني بعيد عن العصمة قريب من الخطأ ، والخطأ براق مغرٍ ..

إن الحدث التاريخي الكامل مثله مثل الرقم الكامل ، يمكن أن يحوي نسباً من الفعاليات مختلفة ومتباينة متحولة ، ولكنها غير متجمدة ولا متبلورة ، ولقيام أي حدث لا بد من محرض أو دافع ، لكن هذا لا يكفي لوحده ، فالشعور بالجوع غير كاف للدفع إلى نيل الطعام ، والشعور بالظلم والاستغلال لا يؤدي دائماً إلى الثورة ، ثم حدوث الثورة لا يعني نجاحها ، وأكل الطعام لا يعني نهاية الجوع ونيل العافية ، وعليه إذا قلنا لا بد لكل حدث من سبب محرض ، تتبع ذلك بالقول بأنه لا بد بعد ذلك من إرادة للتنفيذ ، وعزيمة على التحرك ، ثم قدرة على التطبيق قائمة على خطة ذات أسس راسخة واضحة ، وبعد هذا قد يحصل نجاح أولي ، يكتب له التأثير الدائم والخلود إذا ما حول إلى نجاح مستمر ، ولا يتأتى

هذا إلاّ بوجود مرتكز عقائدي يملك صفة الاستمرارية والصلاح الدائم لكل زمان ومكان .

ومن يقرأ تاريخ حوادث الاسلام ، يسلم بداهة ــ مع الأخذ بعين التقدير تفاوت الأزمان والنوايا والاخلاص مع درجــة الفهم ــ أن المحرض المسبب لكل حادثة هو من الاسلام ، أو بالحري هو الاسلام ، وأن كل شيء قام بعد قيــام الاسلام ، إنما قام باسمه وبسببه ، متذكرين قاعدة المزج بين المفاهيم ، ومدركين أن حوادث تاريخ الاسلام صنعت بأيدي بشر ارتبطت مثاليتهم بالواقع لابالخيال، وكان كثير منهم ــ إن لم نقل جميعهم ــ يقول : « إن لربك عليك حقاً، وان لجسمك عليك حقاً ، وإن لزوجك عليك حقاً فأعطِ كل ذي حق حقه » وكان المسلم دائماً يعمل على الأرض وقلبه مشدود إلى السماء ، وقد استطاع المسلمون أن يعمــل كل منهم في سبيل دنياه كأنه يعيش أبدا ، وكان العمل الدنيوي عملاً في سبيل الآخرة ، كأن صاحبه سيموت غدا .

هذا الموضوع مثير وبالغ الخطورة يحتاج إلى وقف دراسة مخصصة عليه ، وحيث أنني أقدم هنا لكتاب ، وحتى لا تطول هذه المقدمة ، أتوقف عند هــذا الحد مع نتيجة أساسية هي أننا مع إقرارنا بأن السيرة النبوية هي المدخل لدراسة تاريخ الاسلام ، يقتضي هذا منا الاهتمام الكبير بمصادر أخبار السيرة .

ومع تسليمنا منذ البداية بأن المصــدر الأساسي للسيرة ، والوثيقة التي لا يرقى إليها شك في صحتها هي القرآن الكريم ، ندرك أنه مع القرآن الكريم لا بد من العودة إلى ما جمعه المسلمون من أخبار لشرح المجمل وتبيان المفصل ، لهذا نرى أن المسلمين اهتموا ــ ربما منذ أيام النبي ﷺ ــ بجمع أخبار النبي ﷺ وأقواله وأفعاله ، ونشطوا في هذا الميدان بفعل عوامل كثيرة ، كنت قــد تعرضت لها في كتابي « التأريخ عند العرب » ثم في مقدمة « كتاب السير والمغازي لابن إسحق » ، ويمكن أن أضيف إلى ذلك أن عــدداً من كتب الحديث أفردت

أبواباً خاصة للحديث عن سيرة النبي ﷺ ومغازيه ، وأنه مفيد جداً العودة لهذه المواد ، لأنها أقرب إلى الصحة من سواها ، دونت تحت ضوء قواعد نقدية علمية •

ولدى عودتي لهذه المواد وجدت جلها يعتمد على روايات الإمام الزهري ، وكنت من قبل أدرك مكانة هذا الامام ــ التي سأتحدث عنها فيما يلي ــ وأعرف أنه صنف كتاباً في المغازي ، هو بحكم المفقود ، وعبثاً فتشت في عديد من مكتبات العالم عن هذا الكتاب ، وخاصة أثناء عملي في تحقيق الموجود من كتاب السير والمغازي لمحمد بن اسحق المتوفى سنة ١٥٢ هـ •

وصدف أثناء عودتي إلى كتاب المصنف للامام عبد الرزاق بن همّام الصنعاني ، أن وجدت هذا الامام يفرد قسماً كبيراً من كتابه للمغازي ، ولدى تفحصي لهذا القسم تبين لي أنه يحوي كتاب الزهري في المغازي ، مع زيادات طفيفة ، وقد روى الامام عبد الرزاق هذا القسم عن الامام معمر بن راشد ، تلميذ الزهري وراوية علمه •

وكان قد تم نشر كتاب المصنف في بيروت منذ أكثر من عشر سنوات ، ولدى قراءتي لكثير من مواد المصنف لاحظت أن هذا الكتاب الجليل خرج محشواً بالأخطاء والتصحيفات ، وأن المحقق عجز عن قراءة نص الكتاب ، ثم قرأت قسم المغازي أكثر من مرة فوجدت أن هذا القسم أصابه تشويه كامل ، بحيث تكاد لا تخلو جملة من جمله من تصحيف أو أكثر ، وفكرت في كتابة مقال حول هذا الموضوع ، لكني عدلت عن ذلك وقررت إخراج هذا القسم الهام وتحقيقه مجدداً، ومن ثم العمل على نشره ، وبذلك أقدم للقارىء أصح رواية مدونة وأقدم أثر معروف حتى الآن في سيرة النبي ﷺ ومغازيه مع أخبار بعض الحوادث التي وقعت في تاريخ الاسلام حتى بداية العصر الأموي •

وشرعت في هذا العمل منذ أكثر من عام أثناء وجودي في مدينة فاس ، وعزمت بعد ما قطعت فيه مرحلة طويلة على الوقوف أثناء عودتي من المغرب براً

في مدينة استانبول لمراجعة بعض الأصول الخطية للمصنف وغيره من المصادر ...

وبعد ما قرّ قراري ثانية في دمشق ، تابعت عملي فيه حتى فرغت من ضبط النص ، وتثبيت بعض الحواشي الضرورية ، ولقد كان العمل صعباً بعض الشيء ، إنما أعان الله على تذليل المصاعب بفضل المصادر الكثيرة التي توفرت لي ، وبفضل ما كسبته من خبرة عامة في العمل في المخطوطات العربية ، وخبرة خاصة بالسيرة النبوية ، ذلك أنني وقفت جل وقتي في السنوات الست الماضية على ميدان السيرة ، وكان من ثمرات ذلك إخراج سيرة ابن إسحق ، والآن مغازي الزهري ، وبعدها سيكون بعون الله أشياء أخرى جديدة هامة .

والزهري هو محمد بن مسلم بن عبيد الله بن شهاب بن عبد الله بن الحارث ابن زهرة بن كلاب بن مره ، يلتقي نسبه بنسب النبي ﷺ بكلاب بن مرة ، ذلك أن زهرة هو الأخ الأكبر لقصي بن كلاب ، الذي أسكن قبيلة قريش في مكة بعد ما قام بطرد خزاعة منها ، ثم من زهرة كانت آمنة ابنة وهب أم النبي ﷺ ، ومنها كان سعد بن أبي وقاص الصحابي المشهور ، وقائد المسلمين يوم القادسية .

اختلف في سنة ميلاده ، وأرجح الروايات أن ذلك كان في المدينة سنة إحدى وخمسين للهجرة ، وأمه عربية هي ابنة أهبان بن الدئل بن بكير بن عبد مناة بن كنانة . في المدينة نشأ ، فكان قصيراً ، قليل اللحية ، خفيف العارضين ، وقد وصف في شيخوخته بأنه كان يصبغ رأسه ولحيته بالحناء ، كما وصف بأنه كان أعيشاً .

اشتهر بفصاحة اللسان ، كما وصف بالكرم والسخاء الشديد ، فكان يعطي كل من جاء يسأله ، حتى إذا لم يبق معه شيء استلف من عبيده ، وربما جاءه السائل فلا يجد ما يعطيه ، فيتغير عند ذلك وجهه ، ويقول : أبشر فسوف يأتي الله بخير ، فيقضي الله لابن شهاب على قدر صبره واحتماله ، إما رجلاً يهدي له ما يسعه ، وإما رجلاً يبيعه وينظره .... وكان يمد للناس على الطريق موائد الثريد والعسل ، كما كانت له رحلات إلى البدو يعلمهم ويفقههم ، وينظر في

أحوالهم ويطعمهم في الشتاء عسلاً وزبداً وفي الصيف عسلاً وسمنا ، ولكرمه العجيب هذا كانت تركبه الديون ، وكان يجد نفسه بحاجة أكبر إلى المال ، لذلك وثق صلاته بالخلفاء من بني أمية وسواهم • لكن قبل الاستطراد في الحديث عن صلاته بالخلافة الأموية وأثر ذلك ، لنعد نحو نشأة الزهري والثقافة التي حصلها •

اتصف الزهري منذ صغره بالجد والاندفاع نحو العلم مع الوعي العظيم ، وهو قد أدرك عدداً من الصحابة وسمع ربما من عشرة منهم ، لكن رغم هذا فإنه أخذ علمه عن أبناء الصحابة والتابعين الأوائل ، وكان من شيوخه عبد الله بن عمر ، وسهل بن سعد ، وأنس بن مالك ، وكثير بن العباس بن عبد المطلب ، وسعيد بن المسيب ، وسالم بن عبد الله ، وعبد الله بن جعفر ، وعروة بن الزبير •

وكان أشد الناس تأثيراً به عروة بن الزبير الذي فارق خط إخوانه ، فهجر السياسة والتفت إلى العلم ، فحصل ما لم يحصله سواه ، وخاصة ما رواه عن عائشة أم المؤمنين لوشائج القربى بينهما ، وعلى هذا الأساس نحن حين نتحدث عن علوم الزهري ومادته نجدها قريبة العهد للغاية من النبي ﷺ ، ولهذا كانت على درجة عالية للغاية ، اعتمدها العلماء والرواة ورجال الصحيح من بعد •

واشتهر الزهري ليس فقط بالعلم وإنما بالوعي والصدق والأمانة ، وشدة التدين ، ولهذا أقبل على الأخذ عنه طلاب العلم من عظماء الرجال الذين سيقر لهم فيما بعد بالإمامة على أوسع نطاق مثل : مالك بن أنس ، معمر بن راشد ، الأوزاعي ، الليث بن سعد ، سفيان بن عيينة ، عمر بن عبد العزيز ، ومحمد بن إسحق ، وغيرهم كثير •

لقد ولد ابن شهاب الزهري في خلافة معاوية بن أبي سفيان ، وكان صبياً عندما انتهى العصر السفياني ، وعاصر وهو في مطلع شبابه ، شباب الدولة الأموية في عهد عبد الملك بن مروان ومن بعده أولاده كالوليد وسليمان ، ومعروف أن الخلافة الأموية كان لها سياسة خاصة تجاه أفراد قبيلة قريش وأبناء الصحابة من المهاجرين والأنصار ، وابتغت هذه السياسة منع هؤلاء من النشاط السياسي بكافة

ألوانه ، وصرفهم إلى عمل ليس فيه سياسة ، ونفذت الخلافة الأموية سياستها هذه بالعطاء والحرمان ، وأمام هذا الحال نجد القوى المعارضة تحول بعض عناصرها عن العمل المعارض بشكل ايجابي إلى العمل السلبي ، وأقلع البعض عن ذلك كلياً وانغمس في حياة اللهو والشعر والمتعة والعبث وما شابه ذلك •

وحيث إن الأسرة الأموية قد عارضت بكل قواها الإسلام ، ووقفت في وجه النبي تحاربه حتى هزمت أخيراً يوم فتح مكة ، فإن قوام أخبار سيرة النبي ﷺ الحديث عن الصراع مع بني أمية ، وعلى هذا انصرفت بعض القوى المعارضة للأمويين نحو الاهتمام بسيرة النبي ﷺ ومغازيه كنوع من أنواع المعارضة السلبية ، وكوسيلة غير مباشرة للتذكير والتشهير ، وتصدى الأمويون لمثل هذا النشاط وما واقعة الحرة أيام يزيد بن معاوية وعمليات تصفية رجال العلم في المدينة إلا مثل صارخ على هذا ، ثم إننا نلاحظ أن عصر بني أمية لم يشهد نشاطا تدوينياً للتراث النبوي والراشدي ، ومدهش حقاً أنه ما إن سقط الحكم الأموي حتى خرج إلى النور أعداد لا تحصى من الكتب في السيرة والمغازي والحديث وفنون العلم المختلفة الأخرى ، حتى ليخيل للمرء أن الحكم الأموي كان أشبه بسد مضاد للنتاج الفكري ، ما أن انهار حتى تدفق كل ما تجمع خلفه •

ومعلوم أنه مهما بلغ سد للرقابة الفكرية من إحكام فإنه لا بد من تسرب بعض المواد بشكل غير مباشر أو مباشر أحيانا ، وذلك تبعاً لتقلبات السياسة العامة وللحالة الأمنية وغير الأمنية في الدولة ثم لركوب تيار شديد ولو مؤقتا في سبيل إجهاضه •

وعلى هذا الأساس صنف في العصر الأموي بعض الكتب ، وترجم بعض آخر ، واقتصر الذي وصلنا منهـا في باب السيرة والمغازي على بعض ما صنفه وهب بن منبه اليماني المشهور ، والامام الزهري •

يروى بأن والد الزهري كان من المناوئين الكبار للحكم الأموي ، وأنه

وقف في صف المعارضة الزبيرية ، ومن هنا نفهم العلاقة الخاصة التي قامت بين عروة بن الزبير وابن شهاب الزهري ، ونتيجة لموقف الوالد المعارض ، ولاشتراكه في حروب الزبيريين ضد الأمويين ، ألم به الفقر ، وحذف اسمه من ديوان العطاء ، ومن ثم نشأ ابنه بعد وفاته فقيراً معدماً لا مال لديه ولا متاع ، صحيح أنه كان قرشياً عالي النسب ، ولكن النسب لوحده لا يرفع الانسان ، يحتاج النسب إلى سلطان أو مال ، فإذا انعدم المال فإن خير وسيلة هي العلم ، ومن هنا نرى واحداً من الأسباب الوجيهة التي دفعت ابن شهاب نحو تحصيل العلم .

ومما انتهى إلينا من أخباره ، وجه الزهري عنايته في البداية قبل كل شيء إلى حفظ القرآن الكريم ، حتى أتم ذلك في ثمانين ليلة ، وبعد هذا سعى نحو علم الأخبار والأنساب ، فأخذ يتردد على حلقة عبد الله بن ثعلبة العدوي يتعلم منه نسب قومه وأخبارهم ، ولنستمع إليه يحدثنا عن ذلك بقوله : « نشأت وأنا غلام لا مال لي ، منقطع من الديوان ، وكنت أتعلم نسب قومي من عبد الله بن ثعلبة ابن صعير العدوي ، وكان عالماً بنسب قومي ، وكان ابن أختهم وحليفهم ، فأتاه رجل فسأله عن مسألة في الطلاق ، فأشار به إلى سعيد بن المسيب ، فقلت في نفسي : ألا أراني مع هذا الرجل المسن يعقل أن رسول الله ﷺ مسح رأسه ، ولا يدري ما هذا ؟ » .

ويبدو أن هذه الحادثة كان لها عميق الأثر في نفس الزهري ، حيث قنع بأن معرفة النسب لا تغني عن معرفة الحلال والحرام والأصول ، لهذا اندفع مجدداً بمطامحه نحو العلوم الاسلامية ، فطلب معرفة الحلال والحرام ، ورواية الحديث وأخبار النبي ﷺ وبدأ يطوف على الأحياء من الصحابة ، كما أقبل على العلماء من أبناء الصحابة .

والذي يثير الاهتمام في حياته كطالب للعلم ، هو شدة حرصه على تدوين كل ما كان يسمعه من أساتذته ، ومن ثم كان يسهر الليالي الطوال لحفظ ما دونه في دفاتره وألواحه ، وبحرص ابن شهاب هذا تجمع لديه مع الأيام خزانة علمية

لم تتجمع لدى سواه من قبله ، حتى قال فيه أحد الأئمة « ما أرى أحداً جمع بعد رسول الله عليه السلام ما جمع ابن شهاب » •

كان ابن شهاب يأتي مجالس المسلمين ويطرق نواديهم ، وكان لا يلقى في مجلس كهلاً ولا شاباً إلاّ ساءله ، وكان يأتي دور القوم من المهاجرين والأنصار فلا يلقى رجلاً أو امرأة إلا سأله وجادله ، وقد بلغ من شدة حرصه على العلم أنه كان يتطوع لخدمة بعض الشيوخ ، وكان دائماً يدور على مشايخ الحديث ومعه ألواح يكتب عنهم فيها الحديث ، حتى صار أعلم الناس في زمانه ، واحتاج إليه أهل عصره لأنه تجمع لديه مالم يجتمع لأحد قبله •

ثم إن اهتمامه بالتدوين يشير إلى مرحلة جديدة من مراحل جمع التراث العربي والاسلامي ، والانتقال من الرواية الشفوية نحو الرواية المدونة •

ويبدو أن عمل الزهري لم يقتصر على التدوين والجمع ، بل إنه انتقل إلى مرحلة الفرز حسب الموضوعات والتصنيف ، وهكذا أخذت كتلة تراث الاسلام تتوزع إلى أقسام اختصاصية ، وأخذت مواد الأخبار والمغازي تنفصل عن مواد الحديث الأخرى ، وكان هذا عملاً حاسماً في نشأة علم التاريخ عند العرب •

ومع الأيام بدأت مرحلة الأخذ والجمع لدى الزهري تنتهي وبدأت مرحلة جديدة هي مرحلة العطاء ، وأقبل عليه الناس ينهلون من معارفه ، فقد بات أعلم أهل زمانه بسنة النبي ﷺ وأخباره وأحسنهم سوقاً للحديث إذا حدث ، وتحدث عن نفسه قائلاً : « ما صبر أحد على العلم قط صبري ، ولا نشره أحد قط نشري » و « مكثت خمساً وأربعين سنة أختلف فيما بين الشام والحجاز ماسمعت أحداً يحدثني بحديث أستظرفه » •

وطارت شهرة الزهري في أرجاء العالم الاسلامي ، وأخذ الناس يثنون عليه فهذا الامام مكحول يقول وقد قيل له : « من أعلم من لقيت يا أبا عبد الله ؟ قال :

ابن شهاب الزهري ، قيل : ثم من ؟ قال : ابن شهاب ، قيل : ثم من ؟ قال : ابن شهاب » •

وفي دروسه لم يكتف ابن شهاب الزهري في إملاء الروايات على تلاميذه بل في توجيههم وتدريبهم ، ومن هــذه التوجيهات قوله : « إن للعلم غوائل ، فمن غوائله أن يترك العــالم حتى يذهب علمه ، ومن غوائله النسيان ، ومن غوائله الكذب ، وهو أشد غوائله » وقوله : « ليس بكذاب من درأ عن نفسه » وقوله : « إنما يذهب العلم النسيان وقلة المذاكرة » وقوله : « إذا سرق الحديث زيــد فيه وحسن » •

احتاج الناس إلى علم الزهري ، وكان بين من احتاج إليه خلفاء دمشــق ، وهكذا قامت علاقات بينه وبين الخلافة الأموية ، ويبدو أن هذا كان منــذ أيام عبد الملك ، وتوثقت علاقة الزهري بالبلاط الأموي إلى حد جعل بعض الباحثين المعاصرين يقول بأنه غدا بمثابة المستشار التاريخي والثقافي للبلاط الأموي •

وحيث أن خلفاء بني أمية كانوا يتجولون في بلاد الشام ، فإن الامام الزهري اضطر إلى ترك المدينة ، لكنه لم يسكن في دمشق بل قطن في جنوبي فلسطين على أطراف الحجاز ، ومن مقره هذا كان يقوم بزيارات لكل من الحجاز أو دمشق فيرافق الخلفاء ويبقى معهم فترة طويلة •••

وأينما وجد الزهري كان يخلو مع كتبه ، ويشغل نفسه بمحتوياتها عن كل أمر من أمور الدنيا ، حتى ضاقت به زوجته ذرعاً ، فقالت له ذات ليلة « والله لهذه الكتب أشد علي من ثلاث ضرائر » •

كان الزهري شديد الذكاء ، قوي الذاكرة ، حتى ضربت به الأمثال ، وكان يردد « ما استودعت قلبي علماً فنسيته » سأله هشام بن عبد الملك مرة أن يملي على واحد من أولاده شيئاً من الحديث ، فأملى عليه أربعمائة حديث ، وخلال عدة مناسبات وعبر أشهر كثيرة استعاد هشام بن عبد الملك من الزهري رواية نفس

الأحاديث عارضا الزهري بشكل غير مباشر على الامتحان ، فوجد ذاكرته لا تكاد تقع في خطأ يذكر •

حظي الزهري باحترام الخلفاء ، فقد رافقهم بصفة العالم الصادق ، فلم يراءِ أو يتملق ، وكان يجهر بالحق عند الحاجة بلا اعتبار للعواقب ، مثال ذلك أن هشام بن عبد الملك سأله عن المعني بقوله تعالى : « الـذي تولى كبره منهم » [النور : ١١] • فقال هو عبد الله بن أبي : فقال هشام : كذبت ، هو علي ، فرد عليه الزهري بحنق : أنا أكذب لا أبالك ، والله لو ناداني مناد من السماء : إن الله أحل الكذب ما كذبت •

لقد رويت هذه الحادثة في أكثر من مصدر مع خلاف ببعض التفاصيل ، وهي كما يبدو صحيحة ، انتهت لا بعقوبة من الخليفة ، وكان بإمكانه أن ينزل أقسى العقوبات برجل شتمه مثل هذه الشتيمة الكبيرة ، لكن ذلك لم يحدث ، بل اعتذر الخليفة للإمام العالم وأقر بصدقه وتفسيره •

لقد عرف هشام بن عبد الملك الزهري منذ زمن أبيه وإخوته من بعـده ، فالزهري رافق سليمان بن عبد الملك ، وحضر وفاته بمرج دابق ، وكان له أثره المذكور في تولية سليمان لعمر بن عبد العزيز ، وجاء في الأخبار أنه عندما توفي سليمان نودي في الناس : الصلاة جامعة ، فاجتمع الناس ، وحضر بنو مروان ، كل منهم مشرئب للخلافة ، متشوف نحوها ، فقام الزهري بالناس خطيباً ، فقال : أيها الناس أرضيتم من سماه أمير المؤمنين سليمان في وصيته ؟ فقالوا : نعم ، فقرأ الكتاب ، فإذا فيه اسم عمر بن عبد العزيز ، ومن بعده يزيد بن عبد الملك •

وفي أيام هشام بن عبد الملك كان الزهري يوجه نقده الشديد لولي العهـد الوليد بن يزيد ، ويقدح بأخلاقه ، ويذكر أموراً عظيمة عنه ، ويحرض الخليفـة هشام على خلعه ، وكان هشام لا يجد القدرة على خلعه ، إنما كان يسكت راضياً عن انتقادات الزهري ، وفي المقابل حنق الوليد على الزهري وعاهد الله لئن أمكنه ليقتلن الزهري •

ولم يعش الزهري حتى عصر الوليد حيث توفي أيام هشام وكان ذلك لسبع عشرة ليلة خلت من رمضان سنة أربع وعشرين ومائة ، ودفن بضيعة أدامي حيث كان مقر سكناه آخر حد الحجاز وأول حد فلسطين ، وجعل قبره على قارعة الطريق وذلك بناء على وصيته ، ليقف المارة به ويقرؤوا الفاتحة على روحه ، ويحكى أن عدداً كبيراً من الناس وقفوا على قبره وبكوه وترحموا عليه ، وكان من هؤلاء الإمام الأوزاعي الذي خاطب قبره بقوله : « يا قبرُ كم فيك من علم ومن حلم !! يا قبركم فيك من علم ومن كرم !! وكم جمعت من روايات وأحكام !! » •

لقد كان لوفاة الزهري رنة أسى ترددت في أرجاء الشام والحجاز وبلدان الاسلام ، فهذا الإمام مالك بن أنس يقول : « مات العلم يوم مات الزهري وإن كتبه حملت على البغال » وهذا الإمام سفيان بن عيينة « يقول : مات الزهري يوم مات ، وما أحد أعلم بالسنة منه » •

وعلى الرغم من علاقة الزهري ببني أمية ، هناك إجماع لدى المحدثين على توثيق الزهري واعتماد رواياته ، واعتبارها أعلى ما روي عن النبي ﷺ صدقاً وأمانة ، ذلك أنه لم يتأثر بالصراعات السياسية ولم يتحيز لبني أمية ضد سواهم، وظل دائماً مع الصدق والحق ، ملتزماً بقواعد مدرسة المدينة ، ومفضلاً لهذه المدرسة على سواها من المدارس ، حيث كان ينظر باتهام إلى مدرسة العراق في الحديث وإلى غيرها من مدارس الأمصار •

في الحقيقة كان الزهري أحد المطورين الكبار لمدرسة المدينة، هذه المدرسة التي سترى النور فيما بعد على يد أحد تلامذته وهو الإمام مالك ، وعلى الرغم من أهمية دور الزهري في التشريع والفقه وعلوم الحديث ، فهو مهم لنا هنا ، بسبب إسهاماته في مجالات السيرة والمغازي •

يعتبر الزهري رائداً بين مؤسسي مدرسة المدينة التاريخية التي ستعرف باسم « مدرسة المغازي » ويذهب البعض إلى القول بأن الزهري هو الذي وضع

هذه المدرسة على أسس راسخة ، ورسم لها منهجها الذي ستسير عليه فيما بعد ، فهو حين قام بجمع مواد أخبار المغازي ، لم يقتصر على المواد التي كان جمعها عروة بن الزبير ، بل تقصى روايات أهل المدينة الأخرى ، ولم يقتصر في عمله على الجمع بل زاد على ذلك بالتنسيق والترتيب والتمحيص والتدقيق .

ومن خلال دراسة كتاب المغازي الذي نقدم له اليوم والروايات التي نقلها عنه من جاء بعده مثل ابن اسحق والواقدي وموسى بن عقبة نصل الى نتيجة مفادها أن الزهري هو أول من أعطى السيرة النبوية هيكلا محدداً ، ورسم خطوطها بجلاء ووضوح ، وما كان عمل الذين جاؤوا من بعده إلا تقديم بعض التفاصيل الموضحة الشارحة وزيادة عمل التنسيق والتعمق في الفترة المكية من حياة النبي ﷺ مع مقدمات ما قبل الاسلام اعتماداً على المزيد من تراث الاسرائيليات وتراث جاهلية العرب .

وخطة الزهري في المغازي تبدأ بتناول بعض الأخبار عن مكة وأهلها وأسرة النبي مع حياة النبي ﷺ الخاصة قبل الاسلام ، وبعد هذا تناول بعض الجوانب الهامة من الفترة المكية من حياة النبي ﷺ إلى وقت الهجرة . وبعد هذا تعرض لأخبار المرحلة المدنية من تاريخ الاسلام حتى نهاية العصر الراشدي ، وعلى هذا تحدث عن بعض المعارك ، والسفارات والوفادات ، ومختلف أوجه النشاطات أيام النبي ﷺ حتى مرضه الأخير ﷺ ووفاته ثم يوم السقيفة وبيعة أبي بكر ، وهكذا إلى أن استولى معاوية على مقاليد الأمور وأسس حكم الأسرة الأموية ، ويلاحظ أنه أثناء عرضه للأخبار كان يقدم تواريخ بعض الحوادث بشكل مفصل دقيق .

وفي وقفة منفردة مع الكتاب الذي نقدم له نتساءل كيف صنف الزهري هذا الكتاب وما الاسم الذي أطلقه عليه ؟.

إن الكتاب الذي بين أيدينا يحوي بعض علم الزهري في المغازي ، وليس

جميع ما كان لديه ، لعله يحوي زبدة مواده وأحسنها ، وهو لم يصنف هـذا الكتاب بناء على خطة ابتغت إخراج كتاب في السير والمغازي كامل كما فعل كل من تلميذيه من بعده موسى بن عقبة ومحمد بن اسحق .

إن هذا الكتاب هو عبارة عن مجموع يحوي عدة فتاوى « نوازل » تاريخية ، حيث أن الزهري كان يتلقى أسئلة تستفتيه في جملة من المواضيع التاريخية المترابطة بسبب ما ، فكان يقوم بتقديم إجابته لهذه الأسئلة ، ومجموع أجوبته ، أو لنقل فتاويه ، قام هو أو أحد تلاميذه بتصنيفها وإخراجها للناس ، وأرجح أن معمر بن راشد هو الذي قام بهذا الإنجاز ، لذلك أضاف بعض الأحيان بعض المواد الإخبارية التي رواها عن غير طريق الزهري بغية تدعيم روايات الزهري أو الإشارة إلى وجهة نظر أخرى ، وهذا بحد ذاته فيه عظيم الفائدة ، وعلى أساسه يمكن أن نفترض بأن معمر بن راشد هو الذي أطلق على هـذا المجموع اسم كتاب المغازي ، ذلك أن هذه العبارة تكاد أن تكون مرادفة لعبارة « السيرة » لها ذات المحتوى والمعاني ، فحياة النبي ﷺ كانت كلها مغازي وأعمال جهاد ، ذلك أن الجهاد ليس مقصوراً بمعانيه على الأعمال العسكرية فقط بل له سمة الشمول .

إن هذا الكتاب المجموع على صغر حجمه عظيم الفائدة لا يكاد يعدله في بابه كتاب آخر حتى وإن جاء حجمه أكبر بكثير ، إنه يحوي جواهر الأخبار العالية القيمة ، ومنه يمكن رصد المستوى الثقافي التاريخي ونوعية المسائل التي بحث فيها المسلمون في العصر الأموي ، وهو الأثر التاريخي الوحيد المدون الذي يصلنا كاملاً من العصر الأموي .

ولقصر المدة الفاصلة بين مؤلفه ووفاة النبي ﷺ مع تاريخ حوادث العصر الراشدي ، ترقى مواده به إلى مقام لا يمكن أن يزاحمه عليه كتاب آخر في الثقافة الاسلامية ، ولنتذكر هنا فقط أنه في تراث النصرانية وبين جميع الأناجيل التي فيها سيرة السيد المسيح عليه السلام وأقواله وأعماله مع بعض أقوال وأعمال

حواريبه ليس هناك نص ، تقل المدة الزمنية بين تدوينه وبين عصر المسيح عن قرن من الزمن •

والذي أبغيه من مقالتي هذه أن مواد كتابنا هذا جديرة بالدراسة والاعتماد ، وعلى أساسها يمكن الانطلاق بدراسات تاريخية جديدة ، وبوساطتها نأتي التاريخ الاسلامي من بابه الصحيح ، فندخل بشكل أكثر سلامة بداية ، وبالتالي من حيث النتائج •

جاء في بعض المصادر التي تحدثت عن حياة الزهري أنه صنف في أنساب قومه ، أي قريش كما هو مرجح ، وهذا ليس بمدهش فالزهري انصرف في مطلع حياته العلمية إلى دراسة الأنساب ، وقد قيل بأن خالد بن عبد الله القسري أعظم ولاة العراق أيام هشام بن عبد الملك سأله تصنيف كتاب في النسب عامة ، فاستجاب لمطلبه فبدأ بنسب مضر ، لكن يبدو أنه لم يكمله ، حيث قيل اختلف هو والقسري على مذهبه في العمل به •

لقد عالج الزهري روايات المغازي ودونها على حسب ذات المذهب الذي تعامل به مع مختلف الأحاديث النبوية والآثار الاسلامية ، فقدم معلومات واقعية متزنة ، بأسلوب يتصف بالصراحة والبساطة والتركيز والتناسق ، فيه استقصاء كامل وجري وراء الحقيقة ، واعتمد الأسانيد ، وكان ضد رواية الأحاديث بدون أسانيد ، وقد روي عنه قوله : « إن الحديث ليخرج من عندنا شبراً ، فيرجع من عندهم ذراعاً ـ أي ـ من العراق » ـ وقوله : « ما هذه الأحاديث التي يأتوننا بها ، ليست لها خطم ولا أزمة » ـ يعني الاسناد •

إن خدمات الزهري للتراث النبوي كبيرة للغاية ، تتناسب مع حجم ماحصله من معارف وعلوم ، ويروى بأن الخليفة الصالح عمر بن عبد العزيز كلفه بجمع السنة النبوية ، وأنه كتب إلى عماله « عليكم بابن شهاب فإنكم لا تجدون أحداً أعلم بالسنة الماضية منه » •

لم يهمل الزهري الشعر في رواياته ، لكن روى منه الصحيح وبشكل محدود للغاية ، وبهذه المناسبة يبدو أن الزهري كعربي كان مولعاً بالشعر ، يتذوقه ، ولعله كان ينظمه ، وإنما هذا لم يجرفه كما جرف تلميذه من بعده ابن اسحق ، فأثر قصص الأيام والاسلوب الروائي ليس موجوداً في عمل الزهري ، بل هناك علم ومنطق وجدية محضة ، وحياد رائع •

* * *

إن خير ما يختم به هذا الحديث عن الزهري هو ايراد أقوال بعض كبار الأئمة فيـه •

فقد قال الامام مالك : كان الزهري إذا دخل المدينة لم يحدث بها أحد حتى يخرج •••• كان الزهري ذا عز وسناء وفخر وسخاء ••• ما من أحد أبصر للحديث من ابن شهاب •

وقال الامام أحمد بن حنبل : الزهري أحسن الناس حديثاً ، وأجود الناس إسناداً ••• الزهري بحر ••• الزهري أعلم الناس •

وقال ابن سعد صاحب الطبقات : كان الزهري ثقة كثير الحديث والعلم ، والرواية فقيهاً جامعاً ••• كان من أئمة القرآن •

وقال الإمام الطبري : كان محمد بن مسلم الزهري مقدماً في العلم بمغازي رسول الله ﷺ، وأخبار قريش والأنصار، راوية لأخبار رسول الله ﷺ وأصحابه•

لقد كان شعار الزهري : إن هذا العلم الذي أدب الله به رسول الله ﷺ ، وأدب رسول الله ﷺ به أمته ، أمانة الله إلى رسوله ليؤديه على ما أدي إليه ، فمن سمع علماً فليجعله أمامه حجة فيما بينه وبين الله عز وجل(١) •

---

(١) اعتمدت في ترجمة الزهري على المصادر التالية :

السير والمغازي لابن اسحق • مغازي الواقدي • الكامل في الضعفاء لابن عدي • تاريخ الطبري • الأخبـار الموفقيات للزبير بن بكار • الفهرست لابن النديم • حلية الأوليـاء لابي نعيم • تاريخ خليفة بن =

عملاً بهذا الشعار نقدم هذا الكتاب إلى المسلمين والله تعالى من وراء القصد . وله الحمد والمنة ، والصلاة والسلام على سيد العرب والعجم ، المثل الأعلى والرائد نبينا محمد بن عبد الله .

دمشق : ١٠ جمادى الآخرة ١٤٠٠
٢٤ نيسان ١٩٨٠

=

خياط . طبقات خليفة بن خياط . طبقات ابن سعد . كتاب العلل لعلي المديني . كتاب مشاهير علماء الأمصار لمحمد بن حبان البستي . كتاب في الطبقات أظنه لحميد بن زنجويه ـ مخطوط خاص لدي . مروج الذهب للمسعودي . الجرح والتعديل لابن أبي حاتم . تاريخ مدينة صنعاء . صفة الصفوة لابن الجوزي. تاريخ البخاري الكبير . وفيات الأعيان لابن خلكان . معجم الأدباء لياقوت . النهاية في غريب الحديث لابن الأثير . تهذيب الكمال للمزي ـ نسخة مصورة لدي ـ تذكرة الحفاظ للذهبي . تهذيب التهذيب لابن حجر . الوافي بالوفيات لابن أيبك . البداية والنهاية لابن كثير . مرآة الجنان لليافعي . ميزان الاعتدال للذهبي . فهرسة ابن خير . معجم البلدان . تخريج الدلالات السمعية ـ نسخة خطية مصورة لدي . التراتيب الادارية لعبد الحي الكتاني . بحث في نشأة علم التاريخ لعبد العزيز الدوري . معجم المؤلفين لعمر رضا كحالة . الاعلام للزركلي .

كتاب المغازي

باب ما جاء في حفر زمزم

وقد دخل في الحج أولا(١) .

ذكر من عبد المطلب

عبد الرزاق عن مَعْمَر عن الزُهْري قال : إن أول ما ذكر من عبد المطلب ، جدّ رسول الله ﷺ ، أنّ قريشاً خرجت من الحرم فارةً من أصحاب الفيل ، وهو غلام شاب ، فقال : والله لا أخرج من حرم الله ، أبتغي العزّ في غيره ، فجلس عند البيت ، وأجْلَتْ عنه قريش ، فقال :

اللّهُمّ إنّ المرءَ يَمْنَعُ رحله فامنع رِحَالَكْ
لا يَغْلبَنّ صليبُهم ومحا لهم غدواً مِحالك

فلم يزل ثابتاً ، حتى أهلك الله تبارك وتعالى الفيل ، وأصحابه ، فرجعت قريش ، وقد عظُم فيهم بِصَبْره ، وتعظيمه محارم الله ، فبينا هو على ذلك ، وُلد له أكبر بَنيه ، فأدرك ، وهو الحارث بن عبد المطلب . فأُتِيَ عبد المطلب في المنام ، فقيل له : احفر زَمْزَم ، خبيئة الشيخ الأعظم(٢) .

---

(١) انظر المصنف : ٥/١١٣ .

(٢) أي النبي اسماعيل بن ابراهيم ، انظر ابن اسحق : ٢٣ ، حيث جاء : « هي تراث من أبيك الأقدم » . انظر أيضا الروض الأنف : ١/١٦٧ .

قال : فاستيقظ ، فقال : اللهمّ بَيِّنْ لي ، فأُتي في المنام مرة أخرى ، [فقيل له] :[1] احفر زمزم ، تكتم بين الفرث والدم ، في مبحث الغراب ، في قرية النمل ، مستقبلة الأنصاب الحُمر[2] ، قال : فقام عبد المطلب ، فمشى ، حتى جلس في المسجد الحرام ينظر ما خُبِّيءَ له من الآيات ، فنُحِرت بقرة بالحَزْوَرَة[3] ، فأفلتت من جازرها بحُشاشة نفسها ، حتى غلبها الموت في المسجد ، في موضع زمزم ، فجزرت تلك البقرة في مكانها ، حتى احتُمل لحمها ، فأقبل غراب يهوي حتى وقع في الفرث ، فبحث في قرية النمل ، فقام عبد المطلب يحفر هنالك ، فجاءته قريش ، فقالوا لعبد المطلب : ما هذا الصنيع ، لم نكن نزنك بالجهل ، لِمَ تحفر في مسجدنا[4] ؟ فقال عبد المطلب : إنّي لحافرٌ هذه البئر ، ومجاهدٌ من صدّني عنها ، فطفق يحفر هو وابنه الحارث ، وليس له يومئذ ولد غيره . فسفه عليهما ناس من قريش ، فنازعوهما ، وقاتلوهما ، وتناهى عنه الناس من قريش ، لما يعلمون من عتق[5] نسبه ، وصدقه ، واجتهاده في دينه يومئذ ، حتى إذا أمكن الحفر ، واشتد عليه الأذى ، نذر إنْ وُفِيَ له بعشرة من الولد أن ينحر أحدهم ، ثم حفر حتى أدرك سيوفاً دُفنت في زمزم ، فلما رأت قريش أنه قد أدرك السيوف ، قالوا لعبد المطلب : أحْذِنا[6] مما وجدت ، فقال عبد المطلب : بل هذه السيوف لبيت الله ، ثم حفر حتى أنبط الماء ، فحفرها في القرار ، ثم بحرَها حتى لا تُنزف ، ثم بنى عليها حوضاً ، وطفق هو وابنه ينزعان ، فيملآن ذلك الحوض ، فيشرب منه الحاج ، فيكسره ناس من حَسَدة قريش بالليل ، ويُصلحه عبد المطلب حين يصبح ، فلما أكثروا إفساده ، دعا عبد المطلب ربَّه ، فأُرِيَ في المنام ، فقيل له : قل : اللهم إني لا أُحِلُّها لمغتسل ، ولكن هي لشارب

(١) زيد من الازرقي : ٢٨٢ .

(٢) أي اساف ونائله . انظر ابن اسحق : ٢٤ .

(٣) كانت الحزورة سوق مكة وقد دخلت في المسجد لما زيد فيه ـ ياقوت ـ .

(٤) لا بد من وقفة عند هذه العبارة ، حيث لا ندري فيما اذا كان عرب مكة قد عرفوا السجود في طقوسهم قبل الاسلام .

(٥) أي جودته وأصالته .

(٦) أي أعطنا حصة .

حِلٌ وبلٌ[1] ، ثم كفيتهم ، فقام عبد المطلب حين أحفلت قريش بالمسجد ، فنادى بالذي أُرِيَ ، ثم انصرف ، فلم يكن يفسد عليه حوضه أحد من قريش إلا رُمِيَ بداءٍ في جسده ، حتى تركوا له حوضه ذلك ، وسقايته • ثم تزوج عبد المطلب النساء ، فوُلد له عشرة رهط ، فقال : اللّهمّ إنّي كنت نذرت لك نحر أحدهم ، وإني أقرع بينهم ، فأصِبْ بذلك من شئت ، فأقرع بينهم ، فصارت القرعة على عبد الله بن عبد المطلب ، وكان أحبّ ولده إليه ، ، فقال : اللهمّ هو أحبّ إليكَ أو مئة من الإبل ؟ قال : ثم أقرعَ بينه وبين مئة من الإبل ، فصارت القرعة على مئة من الإبل ، فنحرها عبد المطلب[2] ، مكان عبد الله ، وكان عبد الله أحسن رجل رُئي في قريش قط ، فخرج يوماً على نساءٍ من قريش مجتمعات ، فقالت امرأة منهن : يا نساءَ قريش ، أيتكن يتزوجها هذا الفتى فتصطفي النور الذي بين عينيه ، ــ قال : [وكان] بين عينيه نور[3] ــ فتزوجته آمنة ابنة وهب ابن عبد مناف بن زُهْرة ، فجمعها ، فالتقت ، فحملت برسول الله ﷺ •

ثم بعث عبد المطلب ، عبدَ الله بن عبد المطلب يمتارُ له تمراً من يثرب ، فتُوفيَ عبد الله بها ، وولدت آمنة رسولَ الله ﷺ فكان في حجر عبد المطلب ،

(١) البل : المباح وقيل : الشفاء ــ أساس البلاغة ــ النهاية لابن الاثير •

(٢) أورد الازرقي : ٢٨٢ ــ ٢٨٣ ، هذا الخبر عن الزهري ، انما بخلاف طفيف في بعض العبارات مع زيادة ونقص • وقد قص ابن اسحق : ٢٣ ــ ٤١ هذا الخبر بشكل مفصل مع شعر كثير ، انما من المرجح أن مسألة النذر مخترعة ، وربما استوحت فكرتها من القرآن حيث تم ذكر النبي ابراهيم مع قصة أمره بذبح ابنه ثم الفداء ، ولا شك أن اختراعها استهدف رفع مكانة النبي ﷺ والعناية الخاصة التي أحيط بها والده ، ومما يبرهن على زيفها انعدام الاضاحي البشرية في مجتمع مكة لما قبل الاسلام ، ثم ان القرآن لم يشر الى مثل هذه العادة ولم يذكر حادثة من هذا القبيل وقعت لأبي النبي ﷺ ، علما بأن مكانة النبي جاءت عن طريق الرسالة وليس عن طريق والده ، والمشكلة الاخرى في هذه الرواية هي اتيان الاوامر لعبد المطلب في المنام ، وكما يقال ان الرؤيا جزء من النبوة • انظر مادة رؤيا في كشاف اصطلاحات الفنون •

(٣) عند ابن اسحق : ٤٢ ــ ٤٣ هي أخت اورقة بن نوفل ، كما أضاف تفاصيل أخرى كبيره ، هذا وروايات المتقدمين حول مسألة النور كثيرة متنوعة فيها كيف انتقل نور النبوة من صلب آدم الى كبار الانبياء من بعده حتى وصل الى عبد الله والد النبي ﷺ ، وقد طور الشيعة هذه الروايات بشكل كبير حيث شكلت ركنا أساسيا في عقائدهم حول الامامة من حيث التسلسل ومن حيث اتصالها بالنبوة •

فاسترضعه امرأة من بني سعد بن بكر[1] ، فنزلت به التي ترضعه سوق عكاظ ، فرآه كاهن من الكهّان ، فقال : يا أهل عكاظ ، اقتلوا هذا الغلام ، فإنّ له مُلْكاً ، فراغت به أمّه التي ترضعه ، فنجّاه الله[2] ، ثم شبّ عندها ، حتى إذا سعى وأخته من الرضاعة تحضنه ، فجاءتها أخته من أمه التي ترضعه ، فقالت : أي أمّاه إني رأيت رهطاً أخذوا أخي آنفاً ، فشقوا بطنه ، فقامت أمّه التي ترضعه فزعة ، حتى أتته ، فإذا هو جالس منتقعاً لونه ، لا ترى عنده أحداً ، فارتحلت به ، حتى أقدمته على أمّه فقالت لها : اقبضي عني ابنك فإني قد خشيت عليه ، فقالت أمه : لا والله ، ما بابني [ما] تخافين ، لقد رأيت وهو في بطني أنه خرج نورٌ مني أضاءَت منه قصور الشام ، ولقد ولدته حين ولدته فخرّ معتمداً على يديه ، رافعاً رأسه إلى السماء[3] .

فافتصلته أمّه وجدّه عبد المطلب ، ثم تُوفِّيَت أمه[4] ، فهَمّ[5] في حجر جده ، فكان ـ وهو غلام ـ يأتي وسادة جدّه ، فيجلس عليها ، فيخرج جدّه ، وقد كبر ، فتقول الجارية التي تقوده : انزل عن وسادة جدّك[6] ، فيقول عبد المطلب : دَعِي ابني فإنه محسن بخير .

ثم توفي جدّه ، ورسول الله ﷺ غلام ، فكفله أبو طالب[7] ، وهو أخو عبد الله لأبيه وأمّه ، فلما ناهز الحُلم ، ارتحل به أبو طالب تاجراً قبل الشام ، فلما نزلا تيماء ، رآه حبر من يهود تميم ، فقال لأبي طالب : ما هذا الغلام منك ؟ فقال : هو ابن أخي ، قال له : أشفيق أنت عليه ؟ قال : نعم ، قال : فوالله لئن قدمت به إلى الشام ، لا تصل به إلى أهلك أبداً ، ليقتلُنّه ، إنّ هذا عدوهم ،

---

(١) روى ابن اسحق : ٤٨ ـ ٥٠ هذا الخبر بتفاصيل وافية استهدفت اظهار عناية الله بالنبي ﷺ .

(٢) ربط ابن اسحق : ٧٥ ـ ٧٦ هذه الحادثة بقصة بحير الراهب .

(٣) ذكر ابن اسحق : ٥٠ ـ ٥١ حادثة شق الصدر هذه وما ارتبط بها بشكل أكثر تفصيلا .

(٤) توفيت في طريق عودتها من المدينة كما ذكر ابن اسحق : ٦٥ ، ونقل الرواة عنه .

(٥) أي دب ـ أساس البلاغة .

(٦) في ابن اسحق : ٦٦ ، أعمامه بدلا من الجارية .

(٧) بداية فترة اليتم الحقيقية في حياة النبي ﷺ التي أشار القرآن اليها .

فرجع أبو طالب من تيماء إلى مكة[1] .

فلما بلغ رسول الله ﷺ الحلم ، أجمرت امرأة الكعبة ، فطارت شرارة من مجمرها في ثياب الكعبة ، فأحرقتها ، ووَهَت[2] ، فتشاورت قريش في هدمها ، وهابوا هدمها ، فقال لهم الوليد بن المغيرة : ما تريدون بهدمها ، الإصلاح تريدون أم الإساءة ؟ فقالوا : بل الإصلاح ، قال : فإن الله لا يهلك المصلح ، قالوا : فمن الذي يعلوها ، فيهدمها ؟ قال الوليد : أنا أعلوها ، فأهدمها ، فارتقى الوليد بن المغيرة على ظهر[3] البيت ، ومعه الفأس ، فقال : اللهم إنّا لا نريد إلاّ الإصلاح ، ثم هدم ، فلما رأته قريش قد هدم منها[4] ، ولم يأتهم ماخافوا من العذاب ، هدموا معه ، حتى إذا بنوها ، فبلغوا موضع الركن ، اختصمت قريش في الركن ، أيّ القبائل ترفعه ، حتى كاد يشجر بينهم ، فقالوا : تعالوا نحكّم أوّل من يطلع علينا من هذه السكّة ، فاصطلحوا على ذلك ، فطلع عليهم رسول الله ﷺ ، وهو غلام ، عليه وشاح نمرة[5] ، فحكّموه ، فأمر بالركن ، فوضع في ثوب ، ثم أمر بسيّد كل قبيلة ، فأعطاه بناحية الثوب ، ثم ارتقى ، ورفعوا إليه الركن ، فكان هو يضعه[6] .

---

(١) يقابل هذه الرواية قصة الراهب بحيرا والنفر من أهل الكتاب . انظر ابن اسحق : ٧٣ ـ ٧٨ . الروض الأنف : ١/٢٠٥ .

(٢) أورد الازرقي : ١٠٥ ـ ١٠٦ ، هذه الرواية عن الزهري ، وزاد هنا : « فوها البيت للحريق الذي أصابه » .

(٣) عند الأزرقي : ١٠٥ : « على جدر » .

(٤) عند الازرقي : ١٠٥ : « فلما رأت قريش ما هدم منها » وهو أقوم مما جاء هنا .

(٥) أي مخطط فيه سواد وبياض ـ أساس البلاغة . النهاية لابن الأثير .

(٦) عند الأزرقي : ١٠٦ : ثم ارتقى ، وأمرهم أن يرفعوه اليه ، فرفعوه اليه ، وكان هو الذي وضعه » ، هذا وهناك روايات كثيرة حول أسباب اعادة بناء الكعبة كلها تجمع على دور النبي ﷺ اللهم ما عدا رواية فريدة أوردها ابن اسحق : ١٠٨ ، فيها أن اعادة البناء تمت أيام عبد المطلب وأنه هو الذي وضع الحجر الأسود في مكانه ، ويمكن لبعض المؤرخين النقاد أن يأخذ بهذه الرواية ويفضلها على غيرها ، على أساس أنه واضح أن جميع الروايات أريد بها القول بأن قبيلة قريش كانت تدعو النبي ﷺ قبل الاسلام بالأمين وتضعه في مكانة سامية ، في حين أنه من المنطقي أن تكون قريش قد أعادت ـ اثر الغزو الحبشي لمكة ـ بناء الكعبة ، اما لأنها تصدعت أو أن ذلك جاء ضمن اعادة بناء العقيدة القرشية ، حيث يحدثنا الأزرقي : ١١١ ـ ١١٤ عن صور ايقونية كتابية كانت على جدران الكعبة ، كما حدثنا ابن اسحق =

ثم طفق لا يزداد فيهم بمرّ السنين إلاّ رضىً ، حتى سَمَّوه الأمين ، قبل أن ينزل عليه الوحي ، ثم طفقوا لا ينحرون جزوراً لبيعٍ ، إلا درأوه[1] ، فيدعو لهم فيها .

فلمّا استوى وبلغ أشُدَّه ، وليس له كثير مال ، استأجرته خديجة ابنة خُويلد ، إلى سوق حُباشَة ــ وهو سوق بتهامة ــ واستأجرت معه رجلاً آخر من قريش ، فقال رسول الله ﷺ وهو يحدث عنها : ما رأيت من صاحبة أجير خيراً من خديجة ، ما كنا نرجع أنا وصاحبي إلاّ وجدنا عندها تحفة من طعام تخبئه لنا ، قال : فلما رجعنا من سوق حُباشة ــ قال رسول الله ﷺ ــ : قلت لصاحبي : انطلق بنا نتحدث عند خديجة ، قال : فجئناها ، فبينا نحن عندها ، إذ دخلت علينا مستنشئة من مُوَلَّدات قريش ــ والمستنشئة : الكاهنة التي تستنشىء الرجل[2] ــ قالت : أمحمد هذا ، والذي يُحلف به إن جاءَ لخاطباً ، فقلت : كلاّ ، فلما خرجنا أنا وصاحبي ، قال[3] : أمِنْ خطبة خديجة تستحي ، فوالله ما من قرشيّة إلاّ تراك لها كفواً ، قال : فرجعت إليها مرة أخرى ، فدخلت علينا تلك المستنشئة ، فقالت : أمحمد هذا ؟ والذي يُحلف به إن جاء لخاطباً ، قال : قلتُ على حياءٍ : أجل ، قال : فأرسلت خديجة وراء أختها ، فانطلقت إلى أبيها خويلد بن أسد ــ وهو ثمل من الشراب ــ فقالت : هذا ابن أخيك محمد بن عبد الله يخطب خديجة ، وقد رضيت خديجةُ ، فدعاه ، فسأله عن ذلك ، فخطب إليه ، فأنكحه ، قال : فخلّقته خديجة ، وحلّت عليه حلة ، فدخل رسول الله ﷺ بها ، فلما أصبح ، صحا الشيخ من سكره ، فقال : ما هذا الخلوق ، وماهذه

= وسواه عن التعديلات التي ألمت بديانة قريش وطقوس الحج قبيل الاسلام. انظر ابن اسحق : ١٠١ ، ١٢٠. الازرقي : ١٣٠ ــ ١٣٥ . الروض الانف : ١/٦٣ ، ٢٣١ــ٢٣٢ . مغازي الواقدي : ٢/٨٣٤ . فتح الباري : ٨/١٦ .

(١) أي دفعوه اليه .

(٢) في النهاية لابن الاثير : ٥/٥٢ : هو يستنشيء الأخبار أي يبحث عنها ويتطلبها ... والكاهنة تستحدث الامور وتجدد الاخبار .

(٣) أي قال صاحبه له ﷺ .

الحُلّة ؟ قالت أخت خديجة : هذه حلّة كساكها ابن أخيك محمد بن عبد الله ، أنكحته خديجة ، وقد بنى بها ، فأنكر الشيخ ، ثم سلّم إلى أن صار ذلك ، واستحيى[1] ، وطفقت رُجاز من رُجّاز قريش تقول :

لا تزهدي خديجُ في محمد   جلد يضيءُ كضياء الفرقد

فلبث رسول الله ﷺ مع خديجة ، حتى ولدت له بعض بناته ، وكان لها وله القاسم .

وقد زعم بعض العلماء أنها ولدت له غلاماً آخر يسمى الطاهر ، قال : وقال بعضهم : ما نعلمها ولدت له إلاّ القاسم ، وولدت له بناته الأربع : زينب ، وفاطمة ، ورقية ، وأمّ كلثوم[2] .

وطفق رسول الله ﷺ بعدما ولدت له بعض بناته يتحنّثُ وحُبّبَ إليه الخلاءُ[3] .

عبد الرزاق ، قال : أخبرنا مَعْمر ، قال : أخبرنا الزُهري قال : أخبرني عروة عن عائشة ، قالت : أول ما بُدىء به رسول الله ﷺ من الوحي ، الرُؤيا الصادقة ، فكان لا يرى رؤيا إلاّ جاءت مثل فلق الصبح ، ثمّ حُبّب إليه الخلاءُ[4] ، فكان يأتي حراءَ ، فيتحنّث فيه ، ـ وهو التعبد الليالي ذوات العَدَد ـ ويتزوّد لذلك ، ثم يرجع إلى خديجة ، فيتزود لذلك ، ثم يرجع إلى خديجة فيتزوّد لمثلها ، فحينما جاءه الحق ، وهو في غار حراءَ ، جاءه الملك فيه ،

---

(١) انظر ابن اسحق : ٨١ ـ ٨٢ بتفاصيل أوفى .

(٢) فارق ابن اسحق : ٨٢ هذه الرواية حين قال ـ دون ذكر لاسناده : « فولدت له قبل أن ينزل عليه الوحي ولده كلهم : زينب ، وأم كلثوم ، ورقية ، وفاطمة ، والقاسم ، والطاهر ، والطيب ، فأما القاسم والطاهر والطيب فهلكوا قبل الاسلام ، وبالقاسم كان يكنى ﷺ » .

(٣) عند ابن اسحق : ١١٢ ـ ١٢٠ مادة اخبارية ممتازة حول حركة الأحناف في مكة قبل الاسلام وعلاقة النبي ﷺ بها . انظر أيضا الروض الأنف : ١/٢٥٣ ـ ٢٦٨ .

(٤) أورد ابن اسحق : ١٢٠ هذه الرواية عن شيخه الزهري انما مع بعض الفوراق . انظر أيضا ابن سعد : ١/١٩٤ .

فقال له : اقرأ ، يقول لرسول الله ﷺ : اقرأ ــ فقال رسول الله ﷺ : ــ قلت : ما أنا بقارىءٍ ، فأخذني ، فغتّني[1] حتى بلغ مني الجهد ، ثم أرسلني ، فقال : اقرأ ، فقلت : ما أنا بقارىء ، فأخذني فغتّني الثالثة ، حتى بلغ مني الجهد ، ثم أرسلني فقال : (اقرأ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ) حتى بلغ (مَا لَمْ يَعْلَمْ)[2] ، فرجع بها ترجف بوادره ، حتى دخل على خديجة ، فقال : زمّلوني، فزمّلوه ، حتى ذهب عنه الروع ، فقالت له خديجة : مالك ؟ فأخبرها الخبر ، فقال : قد خشيت عليّ ، فقالت : كلاّ ، والله لا يُخزيك الله أبداً ، إنك لتصلُ الرحم ، وتصدُق الحديث ، وتَقْري الضيف ، وتعين على نوائب الحق ، ثم انطلقت به خديجة ، حتى أتت به ورقة بن نوفل بن أسد بن عبد العزى بن قصي ، وهو ابن عم خديجة ، أخو أبيها ، وكان تنصّر في الجاهلية ، وكان يكتب الكتاب العربي ، فكتب بالعربية من الإنجيل ما شاء [الله] أن يكتب ، وكان شيخاً كبيراً قد عمي ، فقالت خديجة : أيْ ابن عمي ، اسمع من ابن أخيك ، فقال ورقة : يابن أخي ، ما ترى ؟ فقال رسول الله ﷺ ما رأى ، فقال ورقة : هذا الناموس[3] الذي أنزل على موسى عليه السلام ، يا ليتني فيها جذعاً[4] ، حين يُخرجك قومك ، فقال رسول الله ﷺ : أوَ مُخْرِجِيّ هم ؟ فقال ورقة : نعم ، لم يأت أحد بما أتيت به ، إلا عُودِيَ ، وأوذِيَ ، وإن يُدركْني يَومُك أنْصُرْكَ نصراً مؤزّراً ، ثم لم يَنْشَب ورقة أن توفي .

وفتر الوحي فترةً ، حتى حزن رسول الله ﷺ ــ فيما بلغنا حزناً [بدا منه

---

(١) اي عصرني عصرا شديدا .

(٢) انظر تفاصيل أخرى في : ابن اسحق : ١٢١ . ابن سعد : ١/١٩٤ ــ ١٩٧ . الطبري : ٢/٣٠١ . الروض الأنف : ١/٢٦٧ ــ ٢٧٢ .

(٣) في أساس البلاغة : ناموس الأمير : صاحب سره ، وزاد ابن الاثير في النهاية : وهو خاصته الذي يطلعه على ما يطويه عن غيره من سرائره .... واراد به جبريل عليه السلام ، لأن الله تعالى خصه بالوحي والغيب اللذين لا يطلع عليهما غيره .

(٤) الضمير هنا عائد على النبوة ، وقصد ورقه : يا ليتني كنت شابا عند ظهورها .. النهاية لابن الأثير .

أشد حزناً][1] غدا منه مراراً كي يتردّى من رؤوس شواهق الجبال ، فلما أوفى بذروة جبلٍ ، تبدّى له جبريل عليه السلام ، فقال : يا محمد ، يا رسول الله حقاً ، فيسكن لذلك جأشه ، وتَقِرّ نفسه[2] ، فرجع ، فإذا طالت عليه فترة الوحي عاد لمثل ذلك : فإذا أوفى بذروة جبل تبدّى له جبريل عليه السلام ، فقال له مثل ذلك ، قال معمر : قال الزهري : فأخبرني أبو سلمة ابن عبد الرحمن عن جابر بن عبد الله قال : سمعت رسول الله ﷺ وهو يحدث عن فترة الوحي ، فقال في حديثه : بينا أنا أمشي سمعت صوتاً من السماء ، فرفعت رأسي ، فإذا الذي جاءني بحراء جالساً على كرسيٍّ بين السماء والأرض ، فجُئِثْتُ[3] منه رُعباً ، ثم رجعت ، فقلت : زمّلوني ، زمّلوني ، ودثّروني ، فأنزل الله تعالى (يأيّها المُدّثّر) إلى (والرُجْزَ فَاهْجُرْ)[4] ، قبل أن تفرض الصلاة ، وهي الأوثان .

قال مَعْمَر : قال الزُهْري : وأخبر أن خديجة تُوُفّيت ، فقال رسول الله ﷺ : أُريتُ في الجنة بيتاً لخديجة ، من قصب ، لا صخب فيه ولا نصب[5] ، والقصب هو اللؤلؤ .

قال : وسئل رسول الله ﷺ عن ورقة بن نوفل ــ كما بلغنا ــ فقال : رأيته في المنام عليه ثياب بياض[6] ، وقد أظن أن لو كان من أهل النار لم أرَ عليه البياض .

---

(١) كذا ، ولعله مقحم بالأصل .

(٢) رواية ابن اسحق : ١٢١ ــ ١٢٢ حول هذه القضية اوفى وتتوافق أكثر مع ما جاء في سورة النجم .

(٣) أي ذعرت وخفت ــ النهاية لابن الأثير .

(٤) سورة المدثر : ١ ــ ٥ .

(٥) ابن اسحق : ٢٤٣ . وفي النهاية لابن الاثير : القصب في هذا الحديث لؤلؤ مجوف واسع كالقصر المنيف . وقد روى الشيخان والترمذي عن أبي هريرة مثل هذا الحديث ــ انظر التاج الجامع للاصول : ٣٧٨/٣ .

(٦) في ابن اسحق : ١٣٣ : « لقد رأيت القس في الجنة عليه ثياب الحرير ، لأنه آمن بي وصدقني ــ يعني ورقة .

قال : ثم دعا رسول الله ﷺ إلى الإسلام سرًّا وجهراً ، [وإلى نبذ] الأوثان .

قال مَعْمَر : وأخبرنا قتادة عن الحسن وغيره فقال : كان أوَّل من آمن به عليٌّ بن أبي طالب رضي الله عنه ، وهو ابن خمس عشرة ، أو ست عشرة[1] .

قال : وأخبرني عثمان الجزري عن مقسم عن ابن عباس قال : عليٌّ أول من أسلم .

قال : فسألت الزُّهْري ، فقال : ما علمنا أحداً أسلم قبل زيد بن حارثة[2] .

— قال مَعْمَر : فسألت الزُّهْري — قال : فاستجاب له من شاء الله من أحداث الرجال وضعفاء الناس ، حتى كثُرَ من آمن به ، وكفار قريش مُنْكِرين لما يقول ، يقولون إذا مرّ عليهم في مجالسهم فيشيرون إليه : إن غلام عبد المطلب هذا ليُكلّم — زعموا — من السماء .

قال مَعْمَر : قال الزهري : ولم يتبعه من أشراف قومه غير رجلين — أبي بكر وعمر رحمهما الله — وكان عمر شديداً على رسول الله ﷺ وعلى المؤمنين ، فقال النبي ﷺ : اللّهمَّ أيِّدْ دينك بابن الخطاب ، فكان أوَّلُ إسلام عمر — بعدما أسلم قبله ناسٌ كثير — أن حُدِّث أنَّ أخته أمّ جميل ابنة الخطاب أسلمت ، وإن عندها كتفاً اكتتبتها من القرآن ، تقرأه سرًّا ، وحُدِّث أنها لا تأكل من الميتة التي يأكل منها عمر ، فدخل عليها ، فقال : ما الكتف الذي ذكر لي عندك ، تقرئين فيها ما يقول ابن أبي كبشة[3] ؟ — يريد رسول الله

(١) في ابن اسحق : ١٣٧ : « أسلم علي بن أبي طالب ، وهو ابن عشر سنين » . انظر أيضا ص : ١٣٩ .

(٢) هذا مسلم به اذا قلنا من الرجال بشكل اجتماعي مطلق لان الصديق كان أول الرجال الاحرار ايمانا . انظر الروض الانف ١/٢٨٤ — ٢٨٧ .

(٣) أبو كبشه جاهلي من خزاعة ، واسمه جزء ، كان خالف قريشا في عبادة الأوثان ، وعبد الشعرى العبور ، فلما خالفهم النبي ﷺ في عبادة الأوثان شبهوه به : وقيل كان جد جد النبي لأمه ، أرادوا انه نزع اليه في الشبه — المرصع لابن الأثير : ٢٨٧ .

ﷺ ــ فقالت : ما عندي كتف ، فصكّها ــ أو قال : فضربها ــ عمر ، ثم قام ، فالتمس الكتف في البيت ، حتى وجدها ، فقال حين وجدها : أما إني قد حُدّثت أنك لا تأكلين طعامي الذي آكل منه ، ثم ضربها بالكتف فشجّها شجّتين ، ثم خرج بالكتف حتى دعا قارئاً ، فقرأ عليه ، وكان عمر لا يكتب ، فلما قُرئت عليه ، تحرّك قلبه حين سمع القرآن ، ووقع في نفسه الإسلام[1] ، فلما أمسى انطلق حتى دنا من رسول الله ﷺ وهو يصلي ، ويجهر بالقراءة ، فسمع رسول الله ﷺ يقرأ (وَمَا كُنْتَ تَتْلُو مِنْ قَبْلِهِ مِنْ كِتَابٍ وَلاَ تَخُطُّهُ بِيَمِينِكَ) حتى بلغ (الظَّالِمُونَ)[2] وسمعه يقرأها (وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَسْتَ مُرْسلاً) حتى بلغ (عِلْمُ الكِتَابِ)[3] قال : فانتظر عمر رسول الله ﷺ ، حتى سلّم من صلاته ، ثم انطلق رسول الله ﷺ إلى أهله ، فأسرع عمر المشي في أثره حين رآه ، فقال : انظرني يا محمد ، فقال النبي ﷺ : أعوذ بالله منك ، فقال عمر : انْظُرني يا محمد ، يا رسول الله ، قال : فانتظره رسول الله ﷺ ، فآمن به عمر ، وصدقه ، فلما أسلم عمر رضي الله عنه انطلق ، حتى دخل على خاله الوليد بن المغيرة ، فقال : أي خالي ، اشهد أني أؤمن بالله ورسوله ، وأشهد أن لا إله إلا الله ، وأنَّ محمداً عبده ورسوله ﷺ ، فأخْبِرْ بذلك قومك ، فقال الوليد : يابن أخْتي ، تَثَبَّتْ في أمرك ، فأنت على حال تعرف بالناس ، يُصبح المرءُ فيها على حال ، ويمسي على حال ، فقال عمر : والله قد تبيّن لي الأمر ، فأخْبِرْ قومك بإسلامي ، فقال الوليد : لا أكون أوّل من ذكر عنك .

فدخل عمر مجالسهم ، فلما علم عمر أن الوليد لم يذكر شيئاً من شأنه ، دخل على جميل بن مَعْمر الجُمَحي ، فقال : أخبر أني أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله ، قال : فقام جميل بن مَعْمر يَجُرُّ رداءه من العجلة

(١) ذكر ابن اسحق : ١٨١ ــ ١٨٥ خبر اسلام عمر بشكل يخالف بعض ما جاء هنا فلينظر .

(٢) العنكبوت : ٤٨ ــ ٤٩ .

(٣) الرعد : ٤٣ .

جرًّا ، حتى تتبّع مجالس قريش ، يقول : صبأ عمر بن الخطاب ، فلم ترجع إليه قريش شيئاً ، وكان عمر سيّد قومه ، فهابوا الإنكار عليه ، فلما رآهم لا ينكرون ذلك عليه ، مشى ، حتى أتى مجالسهم ، أكمل ما كانت ، فدخل الحِجْر ، فأسند ظهره إلى الكعبة ، فقال : يا معشر قريش ، أتعلمون ، إني أشهد أن لا إله الا الله ، وأن محمداً عبده ورسوله ، فثاروا ، فقاتله رجال منهم قتالاً شديداً ، وضربهم عامّة يومه ، حتى تركوه ، واستعلن بإسلامه ، وجعل يغدو عليهم ويروح ، يشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله ، فتركوه ، فلم يؤذوه بعد ثورتهم الأولى ، فاشتدّ ذلك على كفّار قريش [فعدوا] على كل رجل أسلم ، فعذّبوا من المسلمين نفراً[1] .

قال مَعْمَر : قال الزُّهْري : وذكر[2] هلاك آبائهم الذين ماتوا كفاراً ، فشاقوا رسول الله ﷺ وعادوه ، فلما أسري[3] به إلى المسجد الأقصى ، أصبح الناس[4] يخبر أنه قد أسرِيَ به ، فارتدّ أناس ممن كان قد صدّقه وآمن به ، وفتنوا وكذبوه به ، وسعى رجل من المشركين إلى أبي بكر ، فقال : هذا صاحبك يزعم أنه قد أسري به الليلةَ إلى بيت المقدس ، ثم رجع من ليلته ، فقال أبو بكر : أوَ قالَ ذلك ؟ قالوا : نعم ، فقال أبو بكر : فإني أشهد إن كان قال ذلك لقد صدق ، فقالوا : أتصدّقه بأنه جاء الشام في ليلة واحدة ، ورجع قبل أن يصبح ؟ قال أبو بكر : نعم ، إني أصدقه بأبعد من ذلك ، أصدقه بخبر السماء بكرةً وعشياً ، فلذلك سُمّيَ أبو بكر ، بالصدّيق .

قال مَعْمَر : قال الزُّهْري : وأخبرني أنس بن مالك أن النبي ﷺ فرضت عليه الصلوات ليلةَ أُسري به خمسين ، ثم نقصت إلى خمس ، ثم نودي يا محمد !

---

(١) انظر ابن اسحق : ١٨٩ – ١٩٦ .

(٢) أي الله تعالى في القرآن الكريم ، انظر مثلا سورة الانبياء : ٥٤ . سورة النجم : ٢٣ ، سورة سبأ : ٤٣ .

(٣) أي الله تعالى انظر قوله تعالى في مطلع سورة الاسراء : « سبحان الذي أسرى بعبده ليلا ... »

(٤) أي بعد انتهاء الاسراء الذي كان في الليل ، حيث غدا النبي ﷺ على قومه صباحا فاخبرهم ، انظر الروض الانف : ٢/١٤١ – ١٦٢ .

﴿ مَا يُبَدَّلُ الْقَوْلُ لَدَيَّ ﴾[1] وإن لك بالخمس خمسين[2] .

قال مَعْمَر : قال الزُّهْري : وأخبرني أبو سَلَمة عن جابر بن عبد الله قال : قال النبي ﷺ : قمت في الحِجْر حين كذّبني قومي ، فرُفع لي بيت المقدس حتى جعلت أنْعت لهم[3] .

قال مَعْمَر : قال الزُّهْري : فأخبرني سعيد بن المُسَيَّب عن أبي هُريرة قال : قال النبي ﷺ : ـ حين أسرِيَ به ـ لقيت موسى ، قال : فنَعَتَه ، فإذا رجل ـ حسبته قال ـ مضطرب ، رجل الرأس ، كأنه من رجال شنوءة[4] ، قال : ولقيت عيسى عليه السلام، فنعته فقال : ربعة ، أحمر ، كأنما خرج من دَيْماس[5]، قال : ورأيت إبراهيم وأنا أشبه ولده به ، قال : وأتيت بإنائين : في أحدهما لبن ، وفي الآخر خمر ، فقيل لي : خذ أيّهما شئت ، فأخذت اللبن ، فشربته ، فقيل لي : هديت للفطرة ـ أو أصبت الفطرة ـ أما إنك لو أخذت الخمر غوت أمّتك[6] .

* * *

---

(١) ق : ٢٩

(٢) أخرجه الشيخان .

(٣) أخرجه الشيخان .

(٤) مضطرب مفتعل من الضرب وفلان ضرب من الرجال : هو الخفيف اللحم المشموق المستدق ، ورجل الرأس أي لم يكن شديد الجعودة ولا شديد السبوطة ، بل بينهما ـ النهاية لابن الأثير ـ وشنوءة قبيلة عربية معروفة .

(٥) الديماس : الكن ، أو السرب المظلم وقيل الحمام .

(٦) نهاية أخبار المرحلة المكية من حياة النبي ﷺ .

غزوة الحديبية

عبد الرزاق عن مَعْمَر ، قال : أخبرني الزُّهْري ، قال : أخبرني عُروة بن الزُّبير عن المِسْوَر بن مَخْرَمة ، ومروان بن الحكم ، ــ صدّق كلٌّ واحد منهما صاحبه ــ قالا : خرج رسول الله ﷺ زمن الحُدَيْبِيَة(١) في بضع عشرة مئة(٢) من أصحابه ، حتى إذا كانوا بذي الحُلَيْفَة(٣) ، قلد رسول الله ﷺ الهدي(٤) ، وأشعره ، وأحرم بالعمرة ، وبعث بين يديه عيناً(٥) له من خُزاعة يخبره عن قريش ، وسار رسول الله ﷺ ، حتى إذا كانوا بغدير الأشْطاط(٦) ، قريباً من عُسْفَان أتاه عينُه الخُزاعي ، فقال : إني قد تركت كَعب بن لُؤي ، وعامر بن لُؤي قد جمعوا لك الأحابيش(٧) ، وجمعوا لك جموعاً ، وهم مقاتلوك ، وصادّوك عن البيت ، فقال النبي ﷺ : أشيروا عليّ ، [أترون] أن نميل إلى

---

(١) قرية متوسطة الحجم كانت تبعد عن مكة مرحلة وعن المدينة تسع مراحل ــ ياقوت .

(٢) عند الواقدي : ٢/٥٧٤ ما بين ١٤٠٠ ــ ١٦٠٠ .

(٣) قرية كان بينها وبين المدينة قرابة ستة أميال ــ ياقوت .

(٤) الهدي هو ما يهدى الى البيت الحرام من النعم لتنحر ، « واشعار البدن هو أن يشق أحد جنبي سنام البدنة حتى يسيل دمها ، ويجعل ذلك لها علامة تعرف بها أنها هدي » .. النهاية لابن الأثير ، وجاء في مغازي الواقدي : ٢/٥٧٣ في حديث غزوة الحديبية : « ثم دعا ــ النبي ﷺ ــ بالبدن فحللت ثم أشعر بنفسه منها عدة ، وهن موجهات الى القبلة .... واشعر المسلمون بدنهم ، وقلدوا النعال في رقاب البدن » ، ويطعن البعض في هذا الخبر على أساس أن الاشعار منسوخ بنهي النبي ﷺ عن المثلة .

(٥) اسمه عند الواقدي في مغازيه : ٢/٥٧٣ « بسر بن سفيان » .

(٦) هكذا حدد موقعه ياقوت في معجمه ، وعسفان قرية كانت على الطريق الواصلة بين المدينة ومكة ، وهي من مكة على مرحلتين . انظر صفة الجزيرة : ٢٥٩ . بلاد العرب للاصفهاني : ٣٣٨ .

(٧) هناك خلاف حول تحديد هوية الأحابيش مع أنسابهم . ويبدو أنهم لم يعودوا بنسبهم الى قبيلة واحدة بل كانوا عبارة عن تجمع سكاني ضم الطبقة الثالثة وهي الدنيا من سكان مكة قبل الاسلام أي جاءوا بعد قريش البطاح وقريش الظواهر ، ولربما زودت طبقة الأحابيش هذه تجار قريش بالأجراء وحرس القوافل وما شابه هذا . انظر الروض الانف : ٢/١٢٣ ــ ١٢٥ . النهاية لابن الأثير : ٢/٣٣٠ . أساس البلاغة . معجم البلدان لياقوت ــ مادة حباشة ــ .

ذراريّ هؤلاء الذين أعانوهم فنصيبهم ، فإن قعدوا ، قعدوا موتورين محروبين. وإن يجيئوا تكن عنقاً قطعها الله ،أم ترون أن نؤمّ البيت ، فمن صدّنا قاتلناه ، فقالوا : رسول الله أعلم ، يا نبي الله ، إنما جئنا معتمرين ، ولم نجيء لقتال أحدٍ ، ولكن من حَالَ بيننا وبين البيت قاتلناه ، قال النبي ﷺ : فروحوا إذاً .

قال مَعْمَر : قال الزُهْري : وكان أبو هُريرة يقول : ما رأيت أحداً قط كان أكثر مشورة لأصحابه من رسول الله ﷺ .

قال الزُهْري ، في حديث مِسْوَر بن مَخْرَمة ، ومروان : فراحوا حتى إذا كانوا ببعض الطريق ، قال النبي ﷺ : إن خالد بن الوليد بالغَميم[1] ، في خيل لقريش طليعةً ، فخذوا ذاتَ اليمين ، فوالله ما شعر بهم خالد ، إذا هو بقترة[2] الجيش ، فانطلق ، فإذا هو يركض نذيراً لقريش ، وسار النبي ﷺ ، حتى إذا كانوا بالثنيّة[3] التي يهبط عليهم منها بركت به راحلته ، فقال الناس : حَلْ حَلْ[4] ، فقالوا : خَلأتِ[5] القصواءُ ، خَلأتِ [القصواء] ، فقال النبي ﷺ : ما خلأت القصواء ، وما ذاك لها بخلق ، ولكنها حبسها حابس الفيل، ثم قال : والذي نفسي بيده لا يسألوني خُطّة يعظمون فيها حرمات الله ، إلا أعطيتهم إيّاها ، ثم زجرها ، فوثبت به .

قال : فعدل حتى نزل بأقصى الحديبية على ثَمَد ، قليل الماء ، إنما

---

(١) هو عند الواقدي : ٢/٥٧٩ ـ ٥٨٠ « كراع الغميم » حبنا « والغمبم » حمنا آخر ، وكراع الغمم كما عند ياقوت مكان بين مكة والمدينة ويبدو أن الأصح هو الغميم الذي كان مكانا محجوبا عن الرؤيه قريبا من الحديبية .

(٢) القترة الغبار الكثيف .

(٣) في مغازي الواقدي : ٢/٥٨٧ : وسار رسول الله ﷺ ، فلما دنا من الحديبية وقعت بد راحلته على « ثنية تهبطه على غائط القوم » وعند ابن اسحق : الروض : ٤/٢٥ ـ عن الزهري « ثنية المرار مهبط الحديبية من أسفل مكة » .

(٤) عبارة تقال للناقة اذا وقفت عن السير .

(٥) الخلاء للابل كالحران للدواب ـ النهاية لابن الأثير . شرح السيرة لأبي ذر : ٣٤٠ . والقصواء اسم ناقة النبي ﷺ .

يتبرّضه[1] الناس تبرضاً ، فلم يُلبِثْه الناس أن نزحوه ، فشُكي إلى رسول الله ﷺ فانتزع سهماً من كنانته ، ثم أمرهم أن يجعلوه فيه ، قال : فوالله ما زال يَجِيش لهم بالريّ حتى صدروا عنه[2] .

فبَيْنا هم كذلك إذ جاءَ بُديل بن وَرْقاء الخُزاعي ، في نفر من قومه من خزاعة ، وكانوا عَيْبة نُصح[3] رسول الله ﷺ من أهل تهامة ، فقال : إني تركت كعب بن لؤي ، وعامر بن لؤي ، [نزلوا][4] أعداد مياه الحديبية ، معهم العُوذ المطافيل[5] ، وهم مقاتلوك ، وصادّوك عن البيت ، فقال النبي ﷺ : إنا لم نجيء لقتال أحدٍ ، ولكنا جئنا معتمرين ، وإن قريشاً قد نهكتهم الحرب ، وأضرّت بهم ، فإن شاؤوا مادَدْتُهم[6] مدةً ، ويُخَلّوا بيني وبين الناس ، فإن أظهر ، فإن شاؤوا أن يدخلوا فيما دخل فيه الناس ، فعلوا ، وإن لا فقد جَمّوا[7] ، وإن أبَوْا فوالذي نفسي بيده لأقاتلنهم على أمري هذا حتى تنفرد سالفتي ، أو لينفذنّ [الله] أمره ، فقال بُدَيل : سأبلغهم ما تقول ، فانطلق حتى أتى قريشاً ، فقال : إنّا جئناكم من عند هذا الرجل ، وسمعناه يقول قولاً ، فإن شئتم أن نعرضه عليكم فعلنا ، فقال سفهاؤهم : لا حاجة لنا أن تحدّثنا عنه بشيء ، وقال ذوو الرأي منهم : هاتِ ما سمعته يقول ، قال سمعته يقول : كذا ، وكذا ، فحدثهم بما قال النبي ﷺ ، فقام عروة بن مسعود الثقفي ، فقال : أي قومي ، ألستم بالوالد ؟ قالوا : بلى ، قال : أو لستُ بالولد[8] ؟ قالوا : بلى ، قال : فهل تتهموني ؟ قالوا : لا ، قال : ألستم تعلمون أني استنفرت أهل عكاظ ، فلما

---

(١) أي ياخذونه قليلا قليلا ـ النهاية .

(٢) اورد الواقدي : ٢/٥٨٦ ـ ٥٨٧ رواية الزهري هذه كما حدثه بها معمر مع بعض الفوارق وزاد في آخرها ، حيث قال : « حتى صدروا عنه بعطن » والعطن : وطن الابل ومبركها حول الحوض .

(٣) العيبة زبيل من ادم ، وما يجعل فيه الثياب ، ومن الرجل موضع سره ـ القاموس .

(٤) زيد ما بين الحاصرتين من تاريخ الاسلام للذهبي : ١/٢٨٥ حيث اورد ذات الرواية .

(٥) العوذ المطافيل : النوق ذوات اللبن والاطفال ، أي خرجوا ومعهم اللبن والزاد لطول المقام والدفاع .

(٦) أي جعلت بيني وبينهم هدنة لمدة من الزمن .

(٧) أي استراحوا واستردوا قوتهم وعافيتهم .

(٨) كان عروة لسبيعة بنت عبد شمس ـ الروض الأنف : ٤/٣٦ .

بلَّحوا[1] عليَّ ، جئتكم بأهلي ، وولدي ، ومن أطاعني ؟ قالوا : بلى ، قال : فإن هذا قد عرض عليكم خطة رُشد ، فاقبلوها ، ودَعوني آتِه ، فقالوا : فأتِه ، فأتاه .

قال : فجعل يُكلِّم النبي ﷺ ، فقال رسول الله ﷺ نحواً من قوله لبُديل ، فقال عروة عند ذلك : أي محمد ، أرأيت إن استأصلت قومك ، هل سمعت بأحد من العرب اجتاح أصله قبلك ، وإن تكن الأخرى فإني لأرى وجوهاً، وأرى أشواباً[2] من الناس ، خليقاً أن يفرّوا عنك ، فقال أبو بكر ــ رحمه الله ورضي عنه ــ : امصُص بظر اللات ، أنحن نفرّ عنه وندعه ؟! فقال : من ذا ؟ قالوا : أبو بكر ، قال ، أمَا والذي نفسي بيده ، لولا يد لك عندي ، لم أجزِك بها ، لأجبتك ، قال : وجعل يُكلِّم النبي ﷺ ، فكلَّما كلَّمه أخذ بلحيته ، والمغيرة بن شعبة قائم على رأس النبي ﷺ ، ومعه السيف ، وعليه المغفر ، فكلَّما أهوى عروة يده إلى لحية النبي ﷺ ، ضرب يده بنعل السيف ، وقال : أخِّرْ يدك عن لحية رسول الله ﷺ ، فرفع عروة رأسه ، فقال : من هذا ؟ فقالوا : المغيرة بن شعبة ، فقال : أي غُدَر ، أوَ لستُ أسعى في غدرتك ــ وكان المغيرة ابن شعبة صحب قوماً في الجاهلية فقتلهم ، وأخذ أموالهم ، ثم جاء فأسلم ، فقال رسول الله ﷺ : أمَّا الإسلام فأقبل ، وأمَّا المال فلست منه في شيء[3] ــ ثم إن عروة جعل يرمُق صحابة النبي ﷺ بعينيه ، قال : فوالله ما تنَخَّم رسول الله ﷺ نُخامة إلاّ وقعت في يد رجل منهم ، فدَلَك بها وجهه وجلده ، وإذا أمرهم ابتدروا أمره ، وإذا توضَّأ كادوا يقتتلون على وَضوئه ، وإذا تكلَّموا خفضوا أصواتهم عنده ، وما يُحِدُّون إليه [النظرَ][4] تعظيماً له ، قال : فرجع عروة

---

(١) أي تقاعسوا عن اجابتي .

(٢) أي اخلاط لا قيمة لهم ، وعند الواقدي : ٥٩٥/٢ ، والذهبي : ٢٨٥/١ : اوباشا ، وعند ابن اسحق : الروض ٢٦/٤ والطبري : ٦٢٦/٢ « أو شابا » ، ولا خلاف بالمعنى والقصد .

(٣) قتل المغيرة قبل اسلامه ثلاثة عشر رجلا من ثقيف فودى عروة المقتولين واصلح الامر ـ الواقدي: ٥٩٦/٢ . الروض الانف : ٢٧/٣ .

(٤) زيادة من الذهبي : ٢٨٦/١ .

إلى أصحابه ، فقال : أي قوم ، والله لقد وفدت على الملوك ، ووفدت على قيصر ، وكسرى ، والنجاشي ، والله إنْ رأيت ملكاً قطّ يُعظّمه أصحابه ما يعظم أصحابُ محمد ﷺ محمداً ، والله إن تنخّم نُخامة إلاّ وقعت في كفّ رجل منهم ، فدلك بها وجهه وجلده ، وإذا أمرهم ابتدروا أمره ، وإذا توضّأ كادوا يقتتلون على وضوئه ، وإذا تكلّموا خفضوا أصواتهم عنده ، وما يُحِدّون إليه النظر تعظيماً له ، وإنه قد عرض عليكم خُطّة رُشد ، فاقبلوها ، فقال رجل من كنانة[١] : دعوني آته ، فقالوا : ائته ، فلما أشرف على النبي ﷺ وأصحابه ، قال رسول الله ﷺ هذا فلان ، وهو من قوم يُعظّمون البُدْن ، فابْعثوها له ، فبعثوها له ، واستقبله القوم يُلبّون ، فلما رأى ذلك ، قال : سُبحان الله ، ما ينبغي لهؤلاء أن يُصَدّوا عن البيت ، قال : فلما رجع إلى أصحابه ، قال : رأيت البُدْن قد قُلّدت وأشعرت ، فما أرى أن يُصدّوا عن البيت ، فقال رجل منهم — يقال له مِكْرز بن حفص — : دعوني آته ، قالوا : ائته ، فلما أشرف عليهم ، قال النبي ﷺ : هذا مِكْرز ، وهو رجل فاجر ، فجعل يُكلّم النبي ﷺ ، فبينا هو يكلّمه ، إذ جاءه سهيل بن عمرو .

قال مَعْمَر : فأخبرني أيوب ، عن عكرمة : أنه لما جاء سُهيل قال النبي ﷺ : إنه قد سهل لكم من أمركم .

قال مَعْمَر : قال الزُهْري في حديثه : فجاء سُهيل بن عمرو [فقال : هاتِ اكتب بيننا وبينكم كتاباً ، فدعا النبي ﷺ الكاتب][٢] فقال النبي ﷺ : اكتب : بسم الله الرحمنِ الرحيم ، فقال سهيل : أما الرحمن فوالله ما أدري ما هو ؟ ولكن اكتب : باسمك اللهم ، كما كنت تكتب ، فقال المسلمون : والله لا يكتبها ، إلاّ بسم الله الرحمن الرحيم ، فقال النبي ﷺ اكتب : باسمك اللّهم ،

---

(١) هو الحليس بن علقمة ، أو ابن زبان ، وكان يومئذ سيد الاحابيش ـ الواقدي : ٢/٥٩٩ . ابن سعد : ٢/٩٦ . الطبري : ٢/٦٢٨ . الروض الأنف ٤/٢٦ .

(٢) زيادة من الذهبي : ١/٢٨٧ . والمشهور أن الكاتب كان علي بن أبي طالب ، انظر مغازي الواقدي : ٢/٦١٠ ، ثم انظر ما سيأتي بعد بضع صفحات .

ثم قال : هذا ما قاضى عليه محمد رسول الله ، فقال سهيل : والله لو كنا نعلم أنك رسول الله ، ما صددناك عن البيت ، ولا قاتلناك ، ولكن اكتب : محمد بن عبد الله، فقال النبي ﷺ : والله إني لرسول الله ، وإن كذّبتموني ، اكتب : محمد بن عبد الله ــ قال الزُهْري : وذلك لقوله : لا يسألوني خُطّة يعظمون فيها حرمة الله إلاّ أعطيتهم إياها ــ فقال النبي ﷺ : على أن تُخلّوا بيننا وبين البيت ، فنطوف به ، فقال سهيل : لا تتحدث العرب أنّا أخذنا ضغطةً ، ولكن ذلك من العام المقبل ، فكتب ، فقال سهيل : على أنه لا يأتيك منّا رجل وإن كان على دينك إلاّ رددته إلينا[1] ، فقال المسلمون : سبحان الله كيف يردّ إلى المشركين وقد جاء مسلماً !؟ فبينا هم كذلك إذ جاء أبو جَنْدَل بن سهيل بن عمرو ، يرسف في قيوده ، وقد خرج من أسفل مكة ، حتى رمى بنفسه بين أظهر المسلمين ، فقال سهيل : هذا يا محمد أوّل من أقاضيك عليه ، أن تَرُدّه [إليّ ، فقال النبي ﷺ إنّا لم نقض الكتاب بعد ، قال : فوالله إذاً لم أصالحك على شيء أبداً][2] ، فقال النبي ﷺ : فأجزْه لي ، فقال : ما أنا بمجيزه لك ، قال : بلى فافعل ، قال : ما أنا بفاعل ، قال مكرز : بلى قد أجزناه لك ، فقال أبو جَنْدَل : أي معشر المسلمين أرَدُّ إلى المشركين وقد جئت مسلماً ، ألا ترونَ ما قد لقيتُ ؟ وكان قد عُذّب عذاباً شديداً في الله ، فقال عمر بن الخطاب : والله ما شككت،[3] منذ أسلمت إلاّ يومئذٍ ، قال : فأتيت النبيّ ﷺ فقلت : ألستَ نبي الله حقاً ؟ قال : بلى ، قال : قلت : ألسنا على الحق ، وعدوّنا على الباطل ؟ قال : بلى ، قلت : فلِمَ نُعْطَى الدنيّة في ديننا ؟ فقال : إني رسول الله ، ولست أعصيه ، وهو ناصري . قلت : أولست كنت تحدثنا أنّا سنأتي البيت ، فنطوف به ، قال : بلى . فأخبرتك أنك تأتيه العام ؟ قلت : لا ، قال : فإنك آتيه ، ومطوّف به ، قال:

---

(١) انظر تفاصيل الاتفاق عند الواقدي : ٢/٦١٠ ــ ٦١٢ . ابن سعد : ٢/٩٧ . الطبري : ٢/٦٣٤ ــ ٦٣٥ . الروض الأنف : ٤/٢٨ ــ ٢٩ .

(٢) زيادة من الذهبي : ١/٢٨٨ .

(٣) في رواية الذهبي : ١/٢٨٨ «ما شكلت» أي ما التبس علي الأمر ، وهذا أفضل مما أثبت في المتن .

فأتيت أبا بكر ، فقلت : يا أبا بكر ! أليس هذا نبي الله حقاً ؟ قال : بلى ، قلت : فلِمَ نُعْطَى الدنيّة في ديننا إذاً ؟ قال : أيها الرجل ، إنّه رسول الله ، وليس يعصي ربه ، وهو ناصره ، فاستمسك بغرزه[1] حتى تموت ، فوالله إنه لعلى الحق ، قلت : أوَ ليس كان يُحدّثنا أنّا سنأتي البيت ، ونطوف به ؟ قال : فأخبرك أنه سيأتيه العام ؟ قلت : لا ، قال : فإنّكَ آتيه ، ومطوف به .

قال الزُهْري : قال عمر : فعملت لذلك أعمالاً[2] .

قال : فلما فرغ من قضية الكتاب ، قال رسول الله ﷺ لأصحابه : قوموا، فانحروا ، ثم احلقوا ، قال : فوالله ما قام منهم رجل ، حتى قال ذلك ثلاث مرات، قال : فلما لم يقم منهم أحد ، قام ، فدخل على أمّ سلمة ، فذكر لها ما لقي من الناس ، فقالت أم سلمة : يا نبي الله أتحب ذلك ، اخرج ، ثم لا تُكلّم أحداً منهم ، حتى تنحر بُدْنك ، وتدعو حالقك فيحلقك .

فقام ، فخرج ، فلم يكلّم أحداً منهم ، حتى فعل ذلك ، نحر بُدْنه ، ودعا حالقه فحلقه ، فلما رأوا ذلك قاموا ، فنحروا ، وجعل بعضهم يحلق بعضاً ، حتى كاد يقتل بعضهم بعضاً غمّاً .

ثم جاءه نسوة مؤمنات فأنزل الله (يأيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إذَا جَاءكُمُ المُؤمِنَاتُ مُهَاجِرَاتٍ) حتى بلغ (بِعِصَمِ الكَوَافِرِ)[3] فطلق عمر يومئذٍ امرأتين كانتا له في الشرك ، فتزوج أحدهما معاوية بن أبي سفيان ، والأخرى صفوان بن أمية .

---

(١) أي بركابه ، فالغرز بمنزله الركاب للفرس .

(٢) جاء عند الواقدي : ٢/٦٠٦ ـ ٦٠٧ « فجعلت أتعوذ بالله من الشيطان الرجيم حياء ، فما أصابني قط شيء مثل ذلك اليوم ، ما زلت أصوم وأتصدق من الذي صنعت مخافة كلامي الذي تكلمت يومئذ » .

(٣) الممتحنة : ١٠ ، ويفهم من سياق الخبر للوهلة الاولى أن هذا حدث أثناء مقام النبي ﷺ بالحديبية ، لكن من قراءة هذه الآية والتي تليها ثم مما جاء في مغازي الواقدي : ٢/٦٢٩ ـ ٦٣٣ . الطبري: ٢/٦٤٠ . الروض الأنف : ٤/٣٢ ـ ٣٣ . فتح الباري : ٧/٤٥٤ . يتبين أن ذلك حدث بعد العودة الى المدينة .

ثم رجع النبي ﷺ إلى المدينة ، فجاءه أبو بصير[1] ، رجل من قريش وهو مسلم ، فأرسلوا في طلبه رجلين ، فقالوا : العهد الذي جعلت لنا ، فدفعه إلى الرجلين ، فخرجا حتى إذا بلغا به ذا الحليفة ، فنزلوا يأكلون من تمرٍ لهم ، فقال أبو بَصير لأحد الرجلين : والله إني لأرى سيفك هذا يا فلان جيّداً ، فاستَلّه الآخر ، فقال : أجل والله إنّه لجيّد ، لقد جربت به ، ثم جربت ، فقال أبو بَصير : أرني أنظر إليه ، فأمكنه منه ، فضربه به ، حتى بَرد ، وفَرّ الآخر حتى أتى المدينة ، فدخل المسجد يعدو ، فقال رسول الله ﷺ حين رآه : لقد رأى هذا ذُعراً ، فلما انتهى إلى النبي ﷺ ، قال : قُتل والله صاحبي ، وإني لمقتول ، فجاء أبو بَصير ، فقال : يا نبي الله ، قد والله أوفى الله ذمّتك ، قد رَدَدْتَني إليهم ، ثم أنجاني الله منهم ، فقال النبي ﷺ : وَيْلُ أمّه ، مِسْعَرَ حرب لو كان له أحد ، فلما سمع ذلك عرف أنه سَيردّه إليهم ، فخرج حتى أتى سيف[2] البحر ، قال : وينفلت منهم أبو جَنْدَل بن سُهيل ، فلحق بأبي بصير ، حتى اجتمعت منهم عصابة .

قال : فوالله ما يسمعون بعيرٍ خرجت لقريش إلى الشام ، إلاّ اعترضوا لهم ، فقتلوهم ، وأخذوا أموالهم ، فأرسلت قريش إلى النبي ﷺ ، تُناشده الله والرحم ، إلاّ أرسل إليهم ، فمن أتاه فهو آمن ، فأرسل النبي ﷺ إليهم ، فأنزل الله (هُوَ الَّذِي كَفَّ أيْدِيَهُمْ عَنْكُمْ وأيْدِيَكُمْ عَنْهُمْ) حتى بلغ (حَمِيَّةَ الجَاهِلِيَّة)[3] ، وكانت حميّتهم أنّهم لم يُقرّوا أنه نبي الله ، ولم يُقرّوا ببسم الله الرحمن الرحيم ، وحالوا بينه وبين البيت .

---

(١) هو عتبة بن أسيد بن جارية ـ حليف بني زهرة . انظر مغازي الواقدي : ٢/٦٢٤ ـ ٦٢٩ . الطبري : ٢/٦٣٨ ـ ٦٣٩ . الروض الأنف : ٤/٣١ .

(٢) أي شاطىء البحر .

(٣) الفتح : ٢٤ ـ ٢٦ ، هذا وكانت الحديبية عام ستة للهجرة ، وقد اعتمد الواقدي : ٢/٥٧١ ـ ٦٣٣ . رواية الزهري بشكل رئيسي ، كما اعتمدها البخاري في صحيحه ، وأخذ بمعظمها ابن اسحق ، الروض الأنف : ٤/٢٤ ـ ٣٨ ، وعن ابن اسحق نقل الطبري كما نقل عن غيره : ٢/٦٢٠ ـ ٦٤٢ . هذا ونقل الذهبي في تاريخ الاسلام : ١/٢٨١ ـ ٣١١ . رواية الزهري بشكل كامل . انظر أيضا : طبقات ابن سعد : ٢/٩٥ ـ ١٠٥ . تاريخ خليفه : ١/٤٨ ـ ٤٩ .

عبد الرزاق عن عِكرمة بن عمار قال : أخبرنا أبو زميل سماك الحنفي أنه سمع ابن عباس يقول : كاتب الكتاب يوم الحُدَيبيّة عليٌّ بن أبي طالب .

عبد الرزاق قال : أخبرنا مَعْمَر : قال سألت عنه الزُهْري فضحك ، وقال : هو عليٌّ بن أبي طالب ، ولو سألت عنه هؤلاء ، قالوا : عثمان ، يعني بني أمية .

عبد الرزاق عن مَعْمَر عن الزُهْري قال : كان هرقل حَزّاءً[1] ، ينظر في النجوم ، فأصبح يوماً وقد أنكر أهلُ مجلسه هيئته ، فقالوا : ما شأنك ؟ فقال : نظرت في النجوم الليلة ، فرأيتُ ملك الخِتان قد ظهر ، قالوا : فلا يَشُقّ ذلك عليك ، فإنما يختتن اليهود ، فابعث إلى مدائنك ، فاقتل كل يهوديّ .

قال الزُهْري : وكتب إلى نظيرٍ له حَزّاءٍ أيضاً ، ينظر في النجوم ، فكتب إليه بمثل قوله : قال : ورَفع إليه ملك[2] بُصرى — رجلاً من العرب ، يُخبره عن النبي ﷺ ، فقال : انظروا أمُختتن هو ؟ قالوا : فنظروا ، فإذا هو مُختتن ، فقالوا : هذا ملك الختان قد ظهر .

عبد الرزاق عن مُعْمَر عن الزُهْري قال : أخبرني عبيد بن عبد الله بن عُتبة بن مَسْعُود عن ابن عَبّاس قال : حدثني أبو سُفيان من فيه إلى فيّ ، قال : انطلقت في المدّة التي كانت بيننا وبين رسول الله ﷺ ، قال : فبينا أنا بالشام ، إذ جيء بكتابٍ من رسول الله ﷺ إلى هرقل ، قال : وكان دِحية الكلبي جاء به ، فدفعه إلى عظيم بُصرى ، فدفعه عظيم بصرى الى هرقل ، فقال هرقل : أهاهنا أحد من قوم هذا الرجل ، الذي يزعم أنه نبي ؟ قالوا : نعم ، قال: فدُعيتُ في نفرٍ من قريش ، فدخلنا على هرقل . فجلسنا إليه ، فقال : أيّكم

(١) الحزاء هو الذي يحزر الأشياء ويقدرها بظنه . النهاية لابن الأثير .

(٢) كانت مدينة بصرى الواقعة في جنوبي سورية مركز منطقة حوران وفرضة الشام لتجارة التصدير والاستيراد مع شبه الجزيرة ولرصد أحوال شبه الجزيرة وكانت ادارتها قبيل الاسلام بيد أمراء من غسان ، وتحوي هذه المدينة كمية هائلة من الآثار تشهد بعظمة ماضيها . وانظر حول هذا الخبر الواقدي : ١٠١٨/٣ — ١٠١٩ .

أقرب نسباً من هــذا الرجل ، الــذي يزعم أنّه نبيّ ؟ قال أبو سفيان : قلت : أنا ، فأجلسوني بين يديه ، وأجلسوا أصحابي خلفي ، ثم دعا بترجمانه ، فقال : قل لهم : إني سائل هــذا عن هذا الرجل الــذي يزعم أنه نبيّ ، فإن كذب ، فكذّبوه ، قال أبو سفيان : وايم الله لولا أن يؤثَر عليّ الكذب ، لكذبت ، ثم قال لترجمانه : سله : كيف حسبه فيكم ؟ قال : قلت : هو فينا ذو حسب ، قال : فهل كان من آبائه ملك ؟ قالَ : قلت : لا ، قال : فهل [كنتم][1] تتهمونه بالكذب قبل أن يقوله ؟ قال : قلت : لا ، قال : فَمَنِ اتَّبَعه ، أشداؤكم أم ضعفاؤكم ؟ قلت : بل ضعفاؤنا ، قال : هل يزيدون ، أم ينقصون ؟ قال : قلت : لا بل يزيدون، قال : هل يرتدّ أحد عن دينه ، بعد أن يدخل فيه ، سخطة له ؟ قلت : لا ، قال : فهل قاتلتموه ؟ قلت : نعم ، قال : فكيف يكون قتالكم إياه ؟ قال : قلت : يكون الحرب بيننا وبينه سجالاً ، يُصيب مِنّا ، ونُصيب منه ، قال : فهل يغدر ؟ قلت: لا ، ونحن معه في هدنة لا ندري ما هو صانع فيها ـ قال : فوالله ما أمكنني من كلمة أدخل فيها غير هذه ـ قال : فهل قال هذا القول أحدٌ قبله ؟ قلت : لا ، قال لترجمانه : قل له : إني سألتُكم عن حسبه ، فقلتَ : إنه فينا ذو حسب ، وكذلك الرُسُل تُبعث في أحساب قومها ، وسألتُك هل كان في آبائه ملك ؟ [فزعمت أن : لا ، فقلت : لو كان من آبائه ملك][2] قلت : رجــل يطلب ملك آبائه ، وسألتك عن أتباعه أضعفاؤكم ، أم أشدّاؤكم ؟ قال : فقلتَ : بل ضعفاؤكم ، وهم أتباع الرُسُل ، وسألتُك : هل كنتم تتهمونه بالكذب قبل أن يقول ما قال؟ فزعمت أن : لا ، فقد عرفتُ أنه لم يكن ليَدَع الكذبَ على الناس ، ثُمّ يذهب فيكذب على الله ، وسألتك هل يرتدّ أحدٌ منهم عن دينه ، بعد أن يدخل فيــه ، سخطة له ؟ فزعمت أن : لا ، وكذلك الإيمان ، إذا خالط بشاشــةَ القلوب ، وسألتك : هل يزيدون أم ينقصون ؟ فزعمت : أنهم يزيدون ، وكذلك الإيمان ،

---

(١) زيد من رواية صحيح البخاري . انظر البداية والنهاية : ٤/٢٦٤ ـ ٢٦٥ .

(٢) استدرك ما بين الحاصرتين من صحيح البخاري .

لا يزال إلى أن يتمّ ، وسألتك : هل قاتلتموه ؟ فزعمت أنكم قاتلتموه ، فيكون الحرب بينكم وبينه سجالاً ، ينالُ منكم ، وتنالون منه ، [وكذلك الرسل تبتلى ، ثم تكون لهم العاقبة ، وسألتك : هل يغدر ؟ فزعمت أنه لا يغدر][1] وكذلك الرُسُل لا تغدر ، وسألتك : هل قال أحد هذا القول قبله ؟ فزعمت أن : لا ، فقلتُ : لو كان هذا القول [قاله] أحد قبله ، قلتُ : رجل ائتمّ بقول قيل قبله .

قال : بِمَ يأمركم ؟ قلتُ : يأمرنا بالصلاة ، والزكاة ، والعفاف ، والصلة، قال : إن يكُ ما تقوله حقاً ، فإنه نبيٌ ، وإني كنت أعلم أنه لخارج ، ولم أكن أظنه منكم ، ولو كنت أعلم أني أخلُص إليه ، لأحببت لقاءه ، ولو كنت عنده ، لغسلت [عن][1] قدميه ، وليبلُغَنّ ملكهُ ما تحت قدمَيّ .

قال : ثم دعا بكتاب رسول الله ﷺ ، فقرأه ، فإذا فيه : (بِسْمِ اللهِ الرّحْمنِ الرّحِيمِ ، مِنْ مُحَمد رسول الله ، إلى هرقل عظيم الروم ، سلامٌ على من اتّبَعَ الهُدى ، أما بعد : فإني أدعوك بدعاية الإسلام ، أسلِمْ تَسْلَمْ ، وأسلم يُؤتِكَ الله أجرك مرتين ، وإن توليّتَ فإن عليك إثم الأريسين[2] ، و (يَا أَهْلَ الكِتَابِ تَعَالَوا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَنْ لا نَعْبُدَ إِلاّ اللهَ) إلى قوله (فَاشْهَدُوا بِأَنّا مُسْلِمُون)[3] ، فلما فرغ من قراءة الكتاب ، ارتفعت الأصوات عنده ، وكثر

---

(١) استدرك ما بين الحاصرتين من صحيح البخاري .

(٢) اختلف المفسرون الأوائل حول ضبط هذه الكلمة وشرحها ، ولعل أصح الشروح ما جاء في النهاية لابن الأثير : ٣٨/١ : « وقال بعضهم : ان في رهط هرقل فرقة تعرف بالاروسه » ذلك أن النسبة الى آريوس الذي كان من رجال المسيحية وله ثقافة فلسفية كبيرة ، وقد كان في الاسكندرية في مطلع القرن الرابع أيام حكم الامبراطور قسطنطين الكبير باني القسطنطينية وصاحب الأثر التاريخي الأكبر على المسيحية، وقد اختلف آريوس مع نظير له في الاسكندرية اسمه أثناسيوس حول طبيعة المسيح والعلاقة بين اللاهوت والناسوت فيه ومكانته بالنسبة للاب : وقد أدى الاختلاف بينهما الى شطر العالم المسيحي وكان أول ما تمخض عنه عقد المجمع المسكوني الأول في التاريخ في نيقية ، الذي تلاه عدد آخر من المجامع ، وهذا أمر يمكن متابعته في أي كتاب كتب في تاريخ المسيحية أو تاريخ الامبراطورية البيزنطية .

(٣) آل عمران : ٦٤ .

اللَغَط ، وأمر بنا ، فأخْرِجنا ، قال : فقلت لأصحابي حين خرجنا : لقد أمِر[1] أمرُ ابن أبي كبشة ، حتى أدخل الله عليَّ الإسلام .

قال الزُهْري : فدعا هرقل عظماءَ الروم ، فجمعهم في دارٍ له ، فقال : يا معشر الروم ، هل لكم إلى الفلاح والرشد آخر الأبد ، وأن يثبت لكم ملككم ؟ قال : فحاصوا حيصة حُمر الوحش إلى الأبواب ، فوجدوها قد غُلّقت ، قال : فدعاهم ، فقال : إني اختبرت شدّتكم على دينكم ، فقد رأيت منكم الذي أحببتُ ، فسجدوا له ، ورضوا عنه[2] .

* * *

---

(١) أي علا وعظم .

(٢) ان مما يلفت الانتباه موقف الرواة العرب من هرقل ، حيث وصف بالعلم والتدبر وسوغ بشكل خفي رفضه للاسلام ، مع أنه قاد أول حرب صليبية في التاريخ وتصدى للفتوحات الاسلامية بكل عناد .

وَقْعَةُ بَدْرٍ

عبد الرزاق عن مَعْمر عن الزُهري في قوله : (إنْ تَسْتَفْتِحُوا فَقَدْ جَاءَكُمُ الْفَتْحُ)(١) قال : استفتح أبو جهل بن هشام ، فقال : اللهم أيّنا كان أفجر لك ، وأقطع للرحم ، فأحِنْهُ(٢) اليوم ، ــ يعني محمداً ونفسه ــ فقتله الله يوم بدر كافراً إلى النار .

عبد الرزاق عن مَعْمَر عن الزُهْري في حديثه عن عروة بن الزبير ، قال : أمر رسول الله ﷺ بالقتال بعدُ في آيٍ من القرآن(٣) ، فكان أول مشهد شهده رسول الله ﷺ بدراً ، وكان رأس المشركين يومئذ عُتبة بن رَبيعةَ بن عَبد شمس ، فالتقوا ببدر يوم الجمعة ، لسبع أو ست عشرة ليلة ، مضت من رمضان(٤) ، وأصحاب رسول الله ﷺ ثلاث مئة وبضع عشرة رجلاً ، والمشركون بين الألف والتسع مائة ، وكان ذلك يوم الفرقان ، وهزم الله يومئذٍ المشركين ، فقتل منهم زيادة على سبعين مُهَج ، وأسر منهم مثل ذلك . قال الزُهْري : ولم يشهد بدراً إلاّ قرشيٌ ، أو أنصاري ، أو حليف لأحد الفريقين .

عبد الرزاق عن مَعْمَر قال : أخبرني أيوب عن عِكْرمة ، أن أبا سفيان أقبل من الشام في عِير لقريش ، وخرج المشركون مُغْوِثين لعيرهم ، وخرج النبي ﷺ يريد أبا سفيان وأصحابه ، فأرسل رسول الله ﷺ رجلين من أصحابه عيناً طليعة ، ينظران بأيِّ ماءٍ هو ، فانطلقا حتى إذا علِما عِلْمه ، وخبرا خبره ،

---

(١) الانفال : ١٩ .

(٢) اهلكه .

(٣) انظر مثلا : الحج : ٣٩ . التوبة : ١٢ ـ ١٣ . النساء : ٧٤ . البقرة : ٢١٦ .

(٤) سنة اثنتين للهجرة . انظر تاريخ خليفة : ١/١٦ـ١٧ . الطبري : ٢/٤٢١ ـ ٤٧٩ .

جاءا سريعَيْن ، فأخبرا النبي ﷺ ، وجاء أبو سفيان حتى نزل على الماء[1] الذي كان به الرجلان ، فقال لأهل الماء : هل أحسستم أحداً من أهل يثرب ؟ [قالوا : لا] قال : فهل مرّ بكم أحد ؟ قالوا : ما رأينا إلاّ رجلين من أهل كذا وكذا ، قال أبو سفيان : فأين كان مناخهما ؟ فدلّوه عليه ، فانطلق حتى رأى بعراً لهما ففتّه ، فإذا فيه النوى ، فقال : أنّى لبني فلان هذا النوى ؟ هذي نواضح أهل يثرب ، فترك الطريق ، وأخذ سِيف البحر ، وجاءَ الرجلان ، فأخبرا النبي ﷺ خبره ، فقال : أيّكم أخَذَ هذه الطريق ؟ قال أبو بكر رحمه الله : إنما ، هو بماء كذا وكذا، ونحن بماءٍ كذا وكذا ، فيرتحل فينزل بماء كذا وكذا ، وننزل بماء كذا وكذا ، ثم ينزل بماء كذا وكذا ، وننزل بماء كذا وكذا ، ثم نلتقي بماء كذا وكذا ، كأنا فرسا رهان ، فسار النبي ﷺ حتى نزل بدراً ، فوجد على ماء بدرٍ بعض رقيق قريش ، ممن خــرج يُغيث أبا سفيان ، فأخذهم أصحابه ، فجعلوا يسألونهم ، فإذا صدَقوهم ضربوهم ، وإذا كذبوهم تَركوهم ، فمرّ بهم النبي ﷺ وهم يفعلون ذلك ، فقــال النبي ﷺ : إن صدقوكم ضربتموهم ، وإذا كذبوكم تركتموهم ، ثم دعا واحداً منهم ، فقال : من يطعم القوم ؟ قال : فلان وفلان ، فعدّ رجالاً[2] ، يطعمهم كلّ رجلٍ منهم يوماً ، قال : فكم يُنحر لهم ؟ قال : عشراً من الجزور ، فقال النبي ﷺ : الجزور بمئة ، وهم بين الألف والتسع مئة ، قال : فلما جاء المشركون وصافوهم ، وكان النبي ﷺ قد استشار قبــل ذلك في قتالهم ، فقام أبو بكر يشير عليه ، فأجلسه النبي ﷺ ، ثم استشارهم ، فقام عمر يشير عليه ، فأجلسه النبي ﷺ ، ثم استشارهم ، فقام سعد بن عبادة ،

---

(١) هو ماء بدر · انظر مغازي الواقدي : ٣٩/١ ــ ٤٠ · الروض الأنف : ٣٥/٣ ·

(٢) كان المطعمون من المشركين ببدر :
- من بني عبد مناف : الحارث بن عامر بن نوفل ، وشيبة وعتبه ابني ربيعة ·
- ومن بني أسد : زمعة بن الأسود بن المطلب بن أسد ، ونوفل بن خويلد بن العدوية ·
- **ومن بني مخزوم : أبو جهل ·**
- ومن بني جمح : أمية بن خلف ·
- ومن بني سهم : نبيه ومنبه ابنا الحجاج ·
- وكان سعيد بن المسيب يقول : ما أطعم أحد ببدر الا نسل ــ مغازي الوافدي : ١٢٨/١ ·

فقال : يا نبي الله ، لكأنك تعرض بنا اليوم ، لتعلم ما في نفوسنا ، والذي نفسي بيده ، لو ضربت أكبادها حتى برْك الغِماد ، من ذي يمن[1] ، لكنّا معك ، فوطن رسول الله ﷺ أصحابه على الصبر والقتال ، وسُرّ بذلك منهم .

فلما التقوا ، سار في قريش عُتبة بن ربيعة ، فقال : أي قومي ، أطيعوني ، ولا تقاتلوا محمداً ﷺ وأصحابه ، فإنكم إن قاتلتموهم لم يزل بينكم إحنة ، ما بقيتم ، وفساد ، لا يزال الرجل منكم ينظر إلى قاتل أخيه ، وإلى قاتل ابن عمه، فإن يكن ملكاً أكلتم في ملك أخيكم ، وإن يك نبيّاً ، فأنتم أسعد الناس به ، وإن يك كاذباً كَفَتكُموه ذؤبان العرب ،فأبوا أن يسمعوا مقالته ، وأبوا أن يطيعوه ، فقال : أنشدكم الله في هذه الوجوه التي كأنها المصابيح ، أن تجعلوها أنداداً لهذه الوجوه التي كأنها عيون الحيّات ، فقال أبو جهل : لقد ملأت سحرك[2] رُعْباً ، ثم سار في قريش ، ثم قال : إن عتبة بن ربيعة إنما يشير عليكم بهذا ، لأنّ ابنه مع محمد ﷺ ، ومحمد ﷺ ابن عمه ، فهو يكره أن يقتل ابنه ، وابن عمه ،فغضب عتبة بن ربيعة فقال : أي مُصَفّر إسته ، ستعلم أيّنا أجبن ، وألأم ، وأفشل لقومه اليوم ، ثم نزل ونزل معه أخوه شيبة بن ربيعة ، وابنه الوليد بن عتبة ، فقالوا : أبرز إلينا أكفاءنا ، فثار ناس من بني الخزرج ، فأجلسهم النبي ﷺ ، فقام عليّ ، وحمزة ، وعبيدة بن الحارث بن عبد المطلب بن عبد مناف ، فاختلف كلّ رجل منهم وقرينه ضربتين ، فقتل كل واحد منهم صاحبه[3] ، وأعان حمزةُ علياً على صاحبه ، فقتله ، وقطعت رجل عبيدة ، فمات بعد ذلك .

---

(١) هناك أكثر من موضع في شبه الجزيرة عرف بهذا الاسم ، وحيث قال : « من ذي يمن » ، نجد الهمداني في صفة الجزيرة : ٣٦٦ يقول : « هو اقصى حجر باليمن » وعلى الهمداني اعتمد البكري في معجم ما استعجم . وقد نسب الواقدي : ٤٨/١ هذا القول الى المقداد بن عمرو ، وجعل سعد بن معاذ هو المتحدث باسم الأنصار .

(٢) السحر : الرئة ، والمقصود هنا امتلأ جوفك رعبا . ولمزيد من التفاصيل انظر الذهبي ٩٥/١ - ٩٦ .

(٣) المقصود بهذا عبيدة الذي كان من نصيبه عتبه ، هذا وفي الجملة بعض من اضطراب وتاخير =

وكان أول قتيل قُتل من المسلمين مِهْجَع مولى عمر ، ثم أنزل الله نصره ، وهَزَمَ عدوّه ، وقُتل أبو جهل بن هشام ، فأخبر النبي ﷺ ، فقال : أَفَعَلْتُم؟ قالوا : نعم ، يا نبي الله ، فسُرّ بذلك ، وقال : إن عهدي به في ركبته حوراء ، فاذهبوا ، فانظروا هل ترون ذلك ؟ قال : فنظروا ، فرأوه[1] .

قال : وأسر يومئذٍ ناس من قريش ، ثم أمر النبي ﷺ بالقتلى ، فجرّوا حتى أُلْقوا في قَلِيب[2] ، ثم أشرف عليهم رسول الله ﷺ ، فقال : أي عُتبة بن ربيعة ، أي أميّة بن خلف — فجعل يُسميهم بأسمائهم ، رجلاً ، رجلاً — هل وجدتم ما وعد ربكم حقاً ؟ قالوا : يا نبي الله ، ويسمعون ما تقول ؟ فقال النبي ﷺ : ما أنتم بأعلم بما أقول منهم ، أي إنهم قد رأوا أعمالهم . قال مَعْمَر : وسمعت هشام بن عروة يحدث أن النبي ﷺ بعث يومئذٍ زيد بن حارثة بشيراً، يُبَشّر أهل المدينة ، فجعل ناس لا يصدقونه [ويقولون] : والله ما رجع هذا إلاّ فارًّا ، وجعل يخبرهم بالأسارى ، ويخبرهم بمن قتل ، فلم يُصدّقوه ، حتى جيء بالأسارى ، مقرنين في قِدٍّ ، ثم فاداهم النبي ﷺ .

من أسر النبي ﷺ من أهل بدر

أخبرنا عبد الرزاق قال : أخبرنا مَعْمَر عن قتادة ، وعثمان الجَزَري قالا: فادى رسول الله ﷺ أسارى بدر[3] ، وكان فداءُ كل رجل منهم أربعة آلاف ،

= وتقديم وأوضح منها قول ابن اسحق : « واختلف عبيدة وعتبة بينهما ضربتين كلاهما أثبت صاحبه وكر حمزة وعلي باسيافهما على عتبة فذففا عليه ، واحتملا صاحبهما فحازاه الى أصحابه » حيث مات بعد ذلك ، انظر الروض الأنف : ٣٨/٣ . تاريخ الاسلام : ٩٧/١ .

(١) كانت أول اصابة نالها أبو جهل على يد معاذ بن عمرو بن الجموح حيث قطع ساقه ، ثم جاء معوذ بن عفراء « فضربه حتى أثبته وتركه وبه رمق » ثم مر به عبد الله بن مسعود حين أمر النبي بالتماسه فاجهز عليه وحز رأسه وحمله الى النبي ، وكان النبي حين أمر التماسه قال : « ان خفي عليكم في القتلى، فانظروا الى أثر جرح في ركبته » انظر الروض الأنف : ٤١/٣ — ٤٢ . تاريخ الاسلام : ١٠٠/١-١٠١ .

(٢) القليب : البئر القديمة — القاموس .

(٣) ذكر الواقدي في مغازيه : ١٣٨/١ — ١٤٧ من أسر من المشركين ببدر .

وقُتل عقبة بن أبي مُعيط قبل الفداء ، وقام عليه علي بن أبي طالب فقتله ، فقال: يا محمد ، فمن للصبية ؟ قال : النار .

عبد الرزاق عن مَعْمَر قال : أخبرني عثمان الجَزَري عن مقسم قال : لما أسر العباس في الأسارى يوم بدر ، سمع رسول الله ﷺ أنينَهُ وهو في الوثاق ، جعل النبي ﷺ لا ينام تلك الليلة ، ولا يأخذه نوم ، ففطن له رجل من الأنصار ، فقال : يا رسول الله إنك لتُؤَرَّق منذ الليلة ، فقال : العباس أوجعه الوثاق ، فذلك أرّقني ، قال : أفلا أذهب فأرخي عنه شيئاً ؟ قال : إن شئت فعلت ذلك من قبل نفسك ، فانطلق الأنصاري فأرخى عنه وثاقه ، فسكن وهدأ ، فنام رسول الله ﷺ (١) .

* * *

(١) حاول كتاب السيرة في العصر العباسي اسقاط اسم العباس من بين الأسرى ، أو القول بانه خرج مكرها ، ونلاحظ هذا عند ابن اسحق : ٣٠٧ . والواقدي : ١٣٨/١ .

وَقْعَةُ هذيل بالرَّجيع

ـ والرجيع موضع[1] ـ

عبد الرزاق عن مَعْمَر عن الزُّهْري عن عمرو بن أبي سفيان الثقفي عن أبي هريرة قال : بعث رسول الله ﷺ سرية عيناً له ، وأمّر عليهم عاصم بن ثابت، وهو جد عاصم بن عمر ، فانطلقوا حتى إذا كانوا ببعض الطريق بين عُسفان وَمكة نزولاً ، فذُكِرُوا لحيٍّ من هذيل ، يقال لهم بنو لحيان ، فتبعوهم بقريب من مئة رجل رامٍ ، حتى رأوا آثارهم ، حتى نزلوا منزلاً نزلوه ، فوجدوا فيه نوى تمر تزودوه من تمر المدينة ، فقالوا : هذا من تمر يثرب ،فاتبعوا آثارهم، حتى لحقوهم ، فلما أحسَّهم عاصم بن ثابت وأصحابه لَجأوا إلى فَدْفَدٍ[2] ، وجاء القوم فأحاطوا بهم ، فقالوا : لكم العهد والميثاق ، إن نزلتم إلينا ، لا نقتل منكم رجلاً ، فقال عاصم بن ثابت : أمَّا أنا فلا أنزل في ذِمَّة كافر ، اللَّهمّ أخبر عنَّا رسولك ، قال : فقاتلوهم حتى قتلوا عاصماً في سبعة نفر ، وبقي خُبيب بن عدي ، وزيد بن دَثِنَة ، ورجل آخر[3] ، فأعطوهم العهد والميثاق إن نزلوا إليهم ، فنزلوا إليهم ، فلما استمكنوا منهم ، حَلّوا أوتار قِسيِّهم ، فربطوهم بها ، فقال الرجل الثالث الذي كان معهما : هذا أوّل الغدْر ، فأبى أن يصحبهم ، فجَرَّروه ، فأبى أن يتَّبعهم ، وقال : لي في هؤلاء أسوة ،

---

(1) كان ذلك بعد أحد على رأس ستة وثلاثين شهرا من الهجرة ، والرجيع ماء لهذيل هو موضع عرف بالهدأة بين مكة والطائف ، هذا وفيما رواه الواقدي : ١/٣٥٤ ـ ٣٥٥ مالا يتوافق مع رواية الزهري • أنظر أيضا الروض الأنف : ٣/٢٢٤ ـ ٢٣٤ • معجم البلدان ـ مادة رجيع ـ شرح أبي ذر : ٢٧٦

(٢) الفدفد : الفلاة ، والمكان الصلب الغليظ ، والمرتفع ـ القاموس •

(٣) هو عبد الله بن طارق ـ انظر الواقدي : ١/٣٥٥ •

فضربوا عنقه[1] ، وانطلقوا بخبيب بن عدي وزيد بن دثنة ، حتى باعوهما بمكة، فاشترى خُبيباً بنو الحارث بن عامر بن نوفل ،[2] وكان [هو][3] قتل الحارث يوم بدر ، فمكث عندهم أسيراً حتى [إذا][3] أجمعوا على قتله ، استعار موسى [من][3] إحدى بنات الحارث ليستحدّ بها ، فأعارته ، قالت : فَغَفَلْتُ عن صبيٍّ لي ، فدَرج إليه حتى أتاه ، قالت : فأخذه فوضعه على فخذه ، فلما رأيتُه ، فَزِعتُ فزعاً ، عرفه فيّ ، والموسى بيده ، قال : أتخشينَ أن أقتله ، ما كنت لأن أفعل إن شاء الله ، قال : فكانت تقول[4] : ما رأيت أسيراً خيراً من خُبيب ، لقد رأيته يأكل من قِطْف عنب ، وما بمكة يومئذ ثمرة ، وإنه لموثق في الحديد ، وما كان إلاّ رزق رزقه الله إياه ، ثمّ خرجوا به من الحرم ليقتلوه ، فقال : دَعُوني أصلِّ ركعتين ، فصلّى ركعتين ، ثم قال : لولا أن تروا أن ما بي جزع من الموت لزِدْتُ ، فكان أول من سنّ الركعتين عند القتل هو ، ثم قال : اللهمّ أحصهم عدداً ، [ثم] قال :

ولستُ أبالي حين أقتل مسلماً … على أي شقّ كان لله مصرعي
وذلك في ذات الإله وإن يشأ … يُبارِكْ على أوصال شِلْوٍ ممزّع[5]

ثم قام إليه عقبة بن الحارث فقتله .

قال : وبعثت قريش إلى عاصم ليُؤْتَوا بشيء من جسده يعرفونه ، وكان

---

(١) عند الواقدي : ٣٥٧/١ : وخرجوا بخبيب ، وعبد الله بن طارق ، وزيد بن الدثنة ، حتى اذا كانوا بمر الظهران ، وهم موثقون بأوتار قسيهم ، قال عبد الله بن طارق : هذا أول الغدر ، والله لا أصاحبكم ، ان لي في هؤلاء لاسوة ــ يعني القتلى ، فعالجوه فأبى ، ونزع يده من رباطه ، ثم أخذ سيفه ، فانحازوا عنه ، فجعل يشد فيهم وينفرجون عنه ، فرموه بالحجارة حتى قتلوه .

(٢) وفي رواية أخرى اشتراه حجير بن أبي اهاب ــ انظر الواقدي : ٣٥٧/١ .

(٣) زيد من رواية صحيح البخاري ، انظر فتح الباري : ٣٧٨/٧ ــ ٣٧٩ .

(٤) اسمها عند الواقدي : ٣٥٧/١ . ماوية ، وكانت مولاة لبني عبد مناف والذي حبسه عندها هو حجير بن أبي اهاب .

(٥) الأوصال جمع وصل وهو العضو ، والشلو : الجسد ، والممزع : المقطع .

قتل عظيماً من عظمائهم(١) ، فبعث الله مثل الظُّلَّة(٢) من الدبر ، فحَمَتْه من رُسُلهم ، فلم يقدروا على شيء منه ٠

عبد الرزاق عن مَعْمَر عن عثمان الجَزري عن مقسم مولى ابن عباس ٠

قال مَعْمَر : وحدثني الزُّهْري ببعضه ، قال : إن ابن أبي مُعَيط وأبيّ [بن] خلف الجُمحي إلتقيا ، فقال عُقبة بن أبي مُعَيط لأبَيّ بن خلف ــ وكانا خليلين في الجاهلية ، وكان أبَيّ بن خلف أتى النبي ﷺ ، فعرض عليه الإسلام، فلما سمع ذلك عقبة قال ــ : لا أرضى عنك حتى تأتي محمداً فتتفُل في وجهه ، وتشتمه وتُكَذِّبه ، قال : فلم يُسَلِّطه الله على ذلك ، فلما كان يوم بدر أُسِرَ عقبة بن أبي معيط في الأسارى ، فأمر النبي ﷺ عليّ بن أبي طالب أن يقتله ، فقال عقبة : يا محمد ، مِنْ بين هؤلاء أقتل ؟ قال : نعم ، قال : لِمَ ؟ قال : بكفرك ، وفجورك ، وعُتُوّك على الله ورسوله ٠

قال مَعْمَر : وقال مقسم : فبلغنا ــ والله أعلم ــ أنه قال : فمَن للصبية ؟ قال : النار ، قال : فقام إليه علي بن أبي طالب(٣) ، فضرب عنقه ٠

وأمّا أبَيّ بن خلف فقال : والله لأقتلنّ محمداً ، فبلغ ذلك رسول الله ﷺ ، فقال : بل أنا أقتله إن شاءَ الله ، قال : فانطلق رجل ممن سمع ذلك من النبي ﷺ إلى أبَيّ بن خلف ، فقال : إنّه لَمّا قيل لمحمد ﷺ ما قلتَ ، قال : بل أنا أقتله إن شاء الله ، فأفزعه ذلك ، وقال : أنْشُدُكَ بالله أسمعته يقول ذلك ؟ قال : نعم ، فوقعت في نفسه ، لأنهم لم يسمعوا رسول الله ﷺ يقول قولاً

---

(١) المقصود بذلك عقبة بن أبي معيط الذي أسر يوم بدر ، فأمر النبي بقتله فقتله عاصم صبرا ، وذلك في رواية ٠ انظر الواقدي : ١٣٨/١ ، هذا وجاء أيضا عند الواقدي : ٣٥٦/١ ٠ وكانت سلافة بنت سعد بن الشهيد قد قتل زوجها وبنوها أربعة ، كان عاصم قتل يوم أحد منهم اثنين : الحارث ومسافعا ، فنذرت لئن أمكنها الله منه أن تشرب في قحف رأسه الخمر ، وجعلت لمن جاء برأس عاصم مائة ناقة ٠

(٢) الظلة السحابة ، وجاء عند الواقدي : ٣٥٦/١ : فبعث الله تعالى عليهم الدبر فحمته ، فلم يدن اليه أحد الا لدغت وجهه ٠٠٠٠٠ فقالوا : دعوه الى الليل ، فانه اذا جاء الليل ذهب عنه الدبر ، فلما جاء الليل بعث الله عليه سيلا ٠٠٠٠ فاحتمله فذهب به ، فلم يصلوا اليه ٠ انظر الروض الأنف : ١٥٤/٣٠

(٣) يتعارض هذا مع ما سبق ذكره في مقتل عاصم ٠ انظر أيضا الطبري : ٤٥٩/٢ ٠

إلاّ كان حقاً ، فلما كان يوم أحد ، خرج أبَيّ بن خلف مع المشركين ، فجعل يلتمس غفلةَ النبي ﷺ ليحمل عليه ، فيحُول رجل من المسلمين بينه وبين النبي ﷺ ، فلما رأى ذلك رسول الله ﷺ قال لأصحابه : خَلّوا عنه ، فأخذ الحربة فجندله بها ــ يقول : رماه بها ــ فتقع في ترقوته ، تحت تسبغه[1] البيضة ، وفوق الدّرع ، فلم يخرج منه كبير دمٍ ، واحتقن الدم في جوفه ، فجعل يخور كما يخور الثور ، فأقبل أصحابه ، حتى احتملوه وهو يخور ، وقالوا : ما هذا ؟ فوالله ما بك إلاّ خدش ، فقال : والله لو لم يصبني إلاّ بِرِيقِه لقتلني ، أليس قد قال : أنا أقتله إن شاءَ الله ، والله لو كان الذي بي بأهل [ذي] المجاز لقتلهم ، قال : فما لبث إلاّ يوماً ، أو نحو ذلك حتى مات إلى النار[2] ، فأنزل الله فيه (وَيَوْمَ يَعَضُّ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ) إلى قوله : (الشَّيْطَانُ لِلإِنْسَانِ خَذُولاً)[3] .

* * *

(١) التسبغة ما توصل به الخوذة من حلق الدرع فتستر العنق .

(٢) للزهري رواية أخرى حول الموضوع رواها ابن اسحق وهي تعارض هذه بعض المعارضة انظرها وانظر معها رواية أخرى عن غير الزهري في سيرة ابن اسحق : ٣٣٠ ــ ٣٣١ .

(٣) الفرقان : ٢٧ ــ ٢٩ .

وَقْعَةُ بَنِي ٱلنَّضِير

عبد الرزاق عن مَعْمَر عن الزُّهْري في حديثه عن عروة : ثم كانت غزوة بني النَّضِير ، وهم طائفة من اليهود ، على رأس ستة أشهر من وقعة بدر[1] ، وكانت منازلُهم ونخلُهم بناحية من المدينة فحاصرهم رسول الله ﷺ ، حتى نزلوا على الجلاء ، وعلى أن لهم ما أقلَّت الإبل من الأمتعة والأموال إلاّ الحَلَقة ـ يعني السلاح ـ فأنزل الله فيهم (سَبَّحَ لله مَا في السَّموَاتِ وَمَا في الأرْضِ وَهُوَ العَزِيزُ الحَكِيمُ * هُوَ الَّذِي أخْرَجَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أهْلِ الكِتَابِ مِنْ دِيَارِهِمْ لأوَّلِ الحَشْرِ)[2] فقاتلهم النبي ﷺ حتى صالحهم على الجلاءِ ، فأجلاهم إلى الشام ، فكانوا من سبطٍ لم يصبهم جلاءٌ فيما خلا ، وكان الله قد كتب عليهم الجلاءَ ، ولولا ذلك لعذَّبهم في الدنيا بالقتل والسباءِ ، وأما قوله : (لأول الحشر) فكان جلاءهم ذلك أول حشر في الدنيا إلى الشام .

عبد الرزاق عن مَعْمَر عن الزُّهْري قال : وأخبرني عبد الله بن عبد الرحمن بن كعب بن مالك ، عن رجل من أصحاب النبي ﷺ ، أن كفار قريش كتبوا إلى عبد الله بن أبَيّ بن سلول ، ومن كان يعبد الأوثان من الأوس والخزرج ، ورسول الله ﷺ يومئذٍ بالمدينة ، قبل وقعة بدر ، يقولون : إنكم

(١) كذا ، وعند الواقدي : ٣٦٣/١ « في ربيع الأول ، على رأس سبعة وثلاثين شهرا من مهاجرة النبي ﷺ » وبعد حادثة بئر معونة ، هذا وقد خرج البخاري في صحيحه ـ فتح الباري : ٣٢٩/٧ رواية الزهري هذه ، وقام ابن حجر بشرحها ومعارضتها بسواها خاصة ما ذكره ابن اسحق في مغازيه ، انظر الفتح : ٣٣٠/٧ ـ ٣٣٦ .

(٢) الحشر : ١ ـ ٢ .

آويتم صاحبنا ، وإنكم أكثر أهل المدينة عـدداً ، وإنا نقسم بالله لتقتلنَّه أو لتخرجنَّه ، أو لنستعينن عليكم العرب ، ثم لنسيرنَّ إليكم بأجمعنا ، حتى نقتل مقاتلتكم ، ونستبيح نساءكم ، فلما بلغ ذلك ابن أبَيّ[1] ومن معه من عبـدة الأوثان ، تراسلوا ، فاجتمعوا ، وأرسلوا ، وأجمعوا لقتال النبي ﷺ وأصحابه ، فلما بلغ ذلك النبي ﷺ لقيهم في جماعة ، فقال : لقـد بلغ وعيد قريش منكم المبالغ ، ما كانت لتكيدكم بأكثر مما تريدون أن تكيدوا به أنفسكم ، فأنتم هؤلاء تريدون أن تقتلوا أبناءكم وإخوانكم ، فلما سمعوا ذلك من النبي ﷺ تفرّقوا ، فبلغ ذلك كفار قريش .

وكانت وقعة بدر ، فكتبت كفار قريش بعد وقعة بدر إلى اليهود : إنكم أهل الحلقة ، والحصون ، وإنكم لتقاتلُنَّ صاحبنا ، أو لنفعلنَّ كذا وكذا ، ولا يحول بيننا وبين خَدَم نسائكم [شيء] ــ وهو الخلاخل ــ فلمـا بلغ كتابهم اليهود ، أجمعت بنو النضير [على] الغدر ، فأرسلت إلى النبي ﷺ : أخرج إلينا في ثلاثين رجلاً من أصحابك ، ولنخرج في ثلاثين حبراً ، حتى نلتقي في مكان كذا ، نصف بيننا وبينكم ، فيسمعوا منك ، فإن صدّقوك ، وآمنـوا بك ، آمنَّا كلُّنا ، فخرج النبي ﷺ في ثلاثين من أصحابه ، وخرج إليه ثلاثون حبراً من يهود ، حتى إذا برزوا في براز من الأرض ، قال بعض اليهود لبعض : كيف تخلصون إليه ، ومعه ثلاثون رجلاً من أصحابه ، كلهم يُحِبّ أن يموت قبله ، فأرسلوا إليه : كيف تفهم ونفهم ، ونحن ستون رجلاً ، أخرج في ثلاثة من أصحابك ، ويخرج إليك ثلاثة من علمائنا ، فليسمعوا منك ، فإن آمنـوا بك آمَنَّا كُلُّنا ، وصدقناك ، فخرج النبي ﷺ في ثلاثة نفر من أصحابه ، واشتملوا على الخناجر ، وأرادوا الفتك برسول الله ﷺ ، فأرسلت امرأة ناصحة من بني النضير إلى بني أخيها وهو رجل مسلم من الأنصار ، فأخبرته خبر ما أرادت بنو النضير من الغدر برسول الله ﷺ ، فأقبل أخوها سريعاً ، حتى أدرك النبي ﷺ ،

(١) عبد الله بن أبي رأس المنافقين فيما بعد .

فسار بخبرهم[1] ، قبل أن يصل النبي ﷺ إليهم ، فرجع النبي ﷺ ، فلما كان من الغد ، غدا عليهم رسول الله ﷺ بالكتائب ، فحاصرهم ، وقال لهم : إنكم لا تأمنون عندي ، إلا بعهد تعاهدوني عليه ، فأبوا أن يعطوه عهداً ، فقاتلهم يومهم ذلك ، هو والمسلمون ، ثم غدا الغد على بني قريظة بالخيل والكتائب ، وترك بني النضير ، ودعاهم إلى أن يعاهدوه ، فعاهدوه ، فانصرف عنهم ، وغدا إلى بني النضير بالكتائب ، فقاتلهم حتى نزلوا على الجلاء ، وعلى أن لهم ما أقلّت الإبل إلا الحلقة ، ـ والحلقة : السلاح ـ فجاءت بنو النضير ، واحتملوا ما أقلّت إبل من أمتعتهم ، وأبواب بيوتهم ، وخشبها ، فكانوا يخربون بيوتهم، فيهدمونها فيحملون ما وافقهم من خشبها [2] ، وكان جلاؤهم ذلك أول حشر الناس إلى الشام ، وكان بنو النضير من سبط من أسباط بني إسرائيل ، لم يصبهم جلاء منذ كتب الله على بني إسرائيل الجلاء ، فلذلك أجلاهم رسول الله ﷺ ، فلولا ما كتب الله عليهم من الجلاء لعذبهم في الدنيا ، كما عذبت بنو قريظة ، فأنزل الله (سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ) حتى بلغ (وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ)[3] وكانت نخل بني النضير لرسول الله ﷺ خاصة ، فأعطاه الله إياها ، وخصه بها ، فقال : (مَا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ مِنْهُمْ فَمَا أَوْجَفْتُمْ عَلَيْهِ مِنْ خَيْلٍ وَلَا رِكَابٍ)[4] يقول : بغير قتال ، قال : فأعطى النبي ﷺ أكثرها للمهاجرين ، وقسمها بينهم [وقسم منها][5] لرجلين من الأنصار كانا

---

(١) حيث أن ابن اسحق والواقدي وسواهما قد جعل تاريخ أمر بني النضير بعد حادثة بئر معونة، فقد جاء سبب هذا الأمر عندهم مرتبطا بنتائج بئر معونه ، وهكذا فالرواية هنا غيرها عندهم فلينظر ، مغازي الواقدي : ١/٣٦٣ ـ ٣٦٩ • الروض الأنف : ٣/٢٤٠ ـ ٢٤١ • طبقات ابن سعد : ٢/٥٧ ـ ٥٩ •

(٢) قد يعزو البعض نقل الأبواب والأخشاب الى ندرتها في شبه الجزيرة ، ولكن حيث الجلاء كان الى الشام ومشكلة الخشب في الشام ليست مثلها آنئذ في شبه الجزيرة • لهذا عزا البعض ذلك الى أن الأبواب والاخشاب نقلت لاسباب دينية لانها حملت كتابات دينية يهودية لعدم توفر مواد للكتابة آنذاك بجودة الخشب أو لاسباب أخرى •

(٣) الحشر : ١ ـ ٦ •

(٤) الحشر : ٦ •

(٥) زيد ما بين الحاصرتين من تاريخ الاسلام للذهبي : ١/١٧٢ حيث نقل رواية الزهري •

ذوي حاجة[١] ، لم يقسم لرجل من الأنصار غيرهما ، وبقي منها صدقة رسول الله ﷺ [التي] في يد بني فاطمة[٢] .

عبد الرزاق عن مَعْمَر قال : أخبرني من سمع عكرمة يقول : مكث النبي ﷺ بمكة خمس عشرة سنة ، منها أربع أو خمس يدعو إلى الإسلام سرًّا ، وهو خائف ، حتى بعث الله على الرجال الذين أنزل فيهم (إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ)[٣] (الَّذِينَ جَعَلُوا الْقُرْآنَ عِضِينَ)[٤] ــ والعضين بلسان قريش : السحر ، يقال للساحرة : عاضهة ــ فأمر بعداوتهم ، فقال : (اصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ)[٥] ، ثم أمر بالخروج إلى المدينة ، فقدم في ثمان ليالٍ خَلَوْنَ من شهر ربيع الأول ، ثم كانت وقعة بدر ، ففيهم أنزل الله (وَإِذْ يَعِدُكُمُ اللَّهُ إِحْدَى الطَّائِفَتَيْنِ)[٦] وفيهم نزلت (سَيُهْزَمُ الْجَمْعُ)[٧] وفيهم نزلت (حَتَّى إِذَا أَخَذْنَا مُتْرَفِيهِمْ بِالْعَذَابِ)[٨] ، وفيهم نزلت (لِيَقْطَعَ طَرَفاً مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا)[٩] ، وفيهم نزلت (لَيْسَ لَكَ مِنَ الأَمْرِ شَيْءٌ)[١٠] ، أراد الله القوم ، وأراد رسول الله ﷺ العير ، وفيهم نزلت (أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ بَدَّلُوا نِعْمَةَ اللَّهِ كُفْراً)[١١] الآية ، وفيهم نزلت (أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ)[١٢] الآية ، وفيهم نزلت (قَدْ كَانَ

---

(١) هما : سهل بن حنيف ، وأبو دجانه . انظر مغازي الواقدي : ٣٧٩/١ .

(٢) قامت مشكلة حول ميراث النبي ﷺ بعد وفاته ، انظر خبرها فيما سيأتي تحت عنوان « خصومة علي والعباس » .

(٣) الحجر : ٩٥ .

(٤) الحجر : ٩١ .

(٥) الحجر : ٩٤ .

(٦) الأنفال : ٧ .

(٧) القمر : ٤٥ .

(٨) المؤمنون : ٦٤ .

(٩) آل عمران : ١٢٧ .

(١٠) آل عمران : ١٢٨ .

(١١) ابراهيم : ٢٨ .

(١٢) البقرة : ٢٤٣ ، هذا والآية المناسبة ليست هذه بل الاية « ٤٧ » من سورة الانفال .

لَكُمْ آيَةٌ فِي فِئَتَيْنِ الْتَقَتَا)[1] في شأن العير (وَالرَّكْبُ أَسْفَلَ مِنْكُمْ)[2] أخذوا أسفل الوادي ، هذا كله في أهل بدر ، وكانت قبل بدر بشهرين سرية ، يوم قتل الحضرمي[3] ، ثم كانت أحُد ، ثم يومُ الأحزاب بعد أحُد بسنتين ، ثم كانت الحديبيّة ، وهو يوم الشجرة ، فصالحهم النبي ﷺ على أن يعتمر في عام قابل في هذا الشهر ، ففيها أنزلت (الشَّهْرُ الحَرَامُ بِالشَّهْرِ الحَرَامِ)[4] فشهر عام الأول بشهر العام [الثاني] فكانت (الحُرُمَاتُ قِصَاصٌ)[4] ثم كانت الفتح بعد العمرة ، ففيها نزلت (حَتَّى إِذَا فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ بَابًا ذَا عَذَابٍ شَدِيدٍ إِذَا هُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ)[5] وذلك أن نبي الله ﷺ غزاهم ولم يكونوا أعدّوا له أهبَةَ القتال ، ولقد قُتل من قريش أربعةُ رهط ، ومن حلفائهم من بني بكر خمسين أو زيادة ، وفيهم نزلت لما دخلوا في دين الله (هُوَ الَّذِي أَنْشَأَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالأَبْصَارَ)[6]، ثم خرج إلى حُنين بعد عشرين ليلة ، ثم إلى الطائف ، ثم رجع إلى المدينة ، ثم أمّر أبا بكر على الحج ، ثم حجّ رسول الله ﷺ العام المقبل ، ثم ودّع الناس ، ثم رجع ، فتوفي في ليلتين خلتا من شهر ربيع ، ولما رجع أبو بكر من الحج غزا رسول الله ﷺ تبوكاً .

* * *

---

(١) آل عمران : ١٣ .

(٢) الأنفال : ٤٢ .

(٣) هي سرية نخلة ، انظر الواقدي : ١٣/١ ـ ١٩ . ابن سعد : ١٠/١ ـ ١١ . الروض الانف : ٢٢/٣ . تاريخ الاسلام : ٨٩/١ ـ ٩٠ .

(٤) البقرة : ١٩٤ .

(٥) المؤمنون : ٧٧ .

(٦) المؤمنون : ٦٤ .

وَقعَةُ أُحُدْ

عبد الرزاق عن مَعْمَر عن الزُهْري في حديثه عن عروة قال : كانت وقعة أحُد في شوال ، على رأس ستة أشهر من وقعة بني النَّضِير[١] .

قال الزُهْري عن عروة في قوله (وَعَصَيْتُمْ مِنْ بَعْدِ مَا أَرَاكُمْ مَا تُحِبُّونَ)[٢] : إن النبي ﷺ قال يوم أحُدٍ حين غزا أبو سفيان وكُفَّار قريش : إني رأيت كأني لبست دِرعاً حصينةً ، فأوّلتها المدينة ، فاجلسوا في ضيعتكم ، وقاتلوا من ورائها ، وكانت المدينة قد شُبّكت بالبنيان ، فهي كالحصن[٣] ، فقال رجل ممن لم يشهد بدراً : يا رسول الله ، اخرج بنا إليهم فلنقاتلهم ، وقال عبد الله بن أبيّ بن سلول : نعم ، والله ، يا نبي الله ، مارأيت ، إنّا والله ما نزل بنا عدوّ قطُّ فخرجنا إليه ، إلاّ أصاب فينا ، ولا تنأنا[٤] في المدينة ، وقاتلنا من ورائها إلاّ هزمنا عدوّنا .

فكلّمه أناس من المسلمين ، فقالوا : بلى ، يا رسول الله ، أخرج بنا إليهم ، فدعا بلأمته[٥] فلبسها ، ثم قال : ما أظن الصرعى إلا ستكثر منكم ومنهم ، إني

---

(١) سلفت الاشارة الى الخلاف حول تاريخ وقعة بنى النضير ، وهكذا جاء عند الواقدي : ١٩٩/١، أن غزوة أحد كانت « يوم السبت لسبع خلون من شوال على رأس اثنتين وثلاثين شهرا » ، وجاء عند خليفة بن خياط : ٢٩/١ في حوادث سنة ثلاث « أن رسول الله ﷺ خرج عشية الجمعة لاربع عشره ليلة خلت من شوال » . انظر أيضا تاريخ الاسلام : ١٨٣/١ وفيه « يوم السبت لاحدى عشرة ليلة مضت من شوال » سنة ثلاث .

(٢) آل عمران : ١٥٢ .

(٣) في مغازى الواقدي : ٢٠٩/١ ـ ٢١٠ ، أن عبد الله بن أبي أشار على النبي بعدم مغادرة المدينة وقال فيما قال : « ونسبك المدينة بالبنيان فتكون كالحصن من كل ناحية » .

(٤) تنا : أقام أو تخلف ـ النهاية لابن الأثير .

(٥) أي درعه .

أرى في النوم منحورة ، فأقول بقر ، والله بخير[1] [فقال] رجل : يا رسول الله ، بأبي أنت وأمّي فاجلس بنا ، فقال : إنه لا ينبغي لنبيّ إذا لبس لأمَتَه أن يضعها حتى يلقى الناس ، فهل من رجل يدلنا الطريق على القوم من كثب ؟ فانطلقت به الأدلاء بين يديه ، حتى إذا كان بالشَوْط[2] من الجبّانة ، انخذل عبد الله بن أبَيّ بثُلُث الجيش ، أو قريب من ثلث الجيش ، فانطلق النبي ﷺ حتى لقوهم بأحُد[3] ، وصافوهم ، وقد كان النبي ﷺ عَهِد إلى أصحابه إن هُم هزموهم، أن لا يدخلوا لهم عسكراً ، ولا يتّبعوهم ، فلما التقوا هَزَمُوا ، وعَصَوا النبي ﷺ ، وتنازعوا ، واختلفوا ، ثم صرفهم الله عنهم ليبتليهم ، كما قال الله[4] ، وأقبل المشركون ، وعلى خيلهم خالد بن الوليد بن المغيرة ، فقتل من المسلمين سبعين[5] رجلاً ، وأصابهم جراح شديدة ، وكُسِرت رباعية رسول الله ﷺ ، ودمّي وجهه ، حتى صاح الشيطان بأعلى صوته : قُتِل محمد ، قال كعب بن مالك : فكنت أوّل من عرف النبي ﷺ ، عرفت عينيه من وراء المغفر ، فناديت بصوتي الأعلى : هذا رسول الله ﷺ ، فأشار إليّ أنِ اسكُت[6] ، وكفّ الله المشركين ، والنبي ﷺ وأصحابه وقوف ، فنادى أبو سفيان بعدما مُثّل ببعض أصحاب رسول الله ﷺ ، وجُدِعوا ، ومنهم من بُقِر بطنه[7] ، فقال أبو سفيان: إنكم ستجدون في قتلاكم بعض المثل ، فإن ذلك لم يكن عن ذوي رأينا ،

---

(١) بقر يبقر بقرا : أي قتل يقتل قتلا ، والبقر للمسلم المجاهد خير لأنه طريق الشهادة . هذا وهناك خلاف بين الرواة حول نص الرؤيا وتاويلها ، انظر فتح الباري : ٣٤٦/٧ .

(٢) عند الواقدي : ٢١٨/١ ، كان دليله ﷺ أبو حثمة الحارثي ، ووصف ابن اسحق : ٣٢٤ ، الشوط بانه « بين المدينة وأحد » ، انظر أيضا المغانم المطابة للفيروز أبادي ـ مادة شوط ـ .

(٣) أحد جبل معروف يقع الى الشمال من المدينة ، وكان لا يفصل بينه وبينها الا قرابة ثلاثة أميال ـ معجم البلدان ـ المغانم المطابة ـ مادة أحد ـ .

(٤) أنظر باب « ما نزل من القرآن باحد » في مغازي الواقدي : ٣١٩/١ ـ ٣٢٩ .

(٥) انظر مغازي الواقدي : ٣٠٠/١ ـ ٣٠٧ . تاريخ خليفه : ٣٢/١ ـ ٣٩ . طبقات ابن سعد : ٤٢/٢ .

(٦) انظر ابن اسحق : ٣٣٠ .

(٧) كان حمزة عم النبي أشهر من مثل بجثته يوم أحد . انظر مغازي الواقدي : ٢٨٤ ـ ٢٨٦ . الروض الأنف : ١٦٩/٣ ـ ١٧٠ .

ولا سادتنا ، ثم قال أبو سفيان : اعلُ هبل . فقال عمر بن الخطاب : الله أعلى وأجلّ ، فقال : أنعمت عَيْناً[1] ، قتلى بقتلى بدر ، فقال عمر : لا يستوى القتلى، قتلانا في الجنة ، وقتلاكم في النار ، فقال أبو سفيان : لقد خِبْنا إذاً ، ثم انصرفوا راجعين .

وندب النبي ﷺ أصحابه في طلبهم ، حتى إذا بلغوا قريباً من حمراء الأسد ، وكان فيمن طلبهم يومئذ عبد الله بن مسعود[2] ، وذلك حين قال الله (الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَاناً وَقَالُوا حَسْبُنَا اللهُ وَنِعْمَ الوَكِيلُ)[3] .

عبد الرزاق عن مَعْمَر عن الزُّهْري في حديثه : فلما دخل رسول الله ﷺ المسجد ، دعا المسلمين لطلب الكفار ، فاستجابوا ، فطلبوهم عامّة يومهم ، ثم رجع بهم رسول الله ﷺ ، فأنزل الله (الَّذِينَ اسْتَجَابُوا للهِ وَلِلرَّسولِ مِنْ بَعْدِ مَا أَصَابَهُمُ القَرْحُ)[4] الآية .

ولقد أخبرنا عبد الرزاق أن وجه رسول الله ﷺ ضُرب يومئذ بالسيف سبعين ضربة ، وقاه الله شرّها كلها .

* * *

(١) أي آلهة أبي سفيان ففي رواية الواقدي : ١/٢٩٧ ـ ٢٩٩ : « فقال أبو سفيان : أعل هبل ، فقال عمر : الله أعلى وأجل ، فقال أبو سفيان : انها قد أنعمت ، فعال عنها » أي تجاف عن آلهتنا ولا تذكرها بسوء .... « فلما قدم أبو سفيان على قريش بمكة ، لم يصل الى بيته حتى أتى هبل ، فقال : قد أنعمت ونصرتني وشفيت نفسي من محمد وأصحابه ، وحلق رأسه » .

(٢) جاء عند ابن اسحق : ٣٣٤ « ثم بعث رسول الله ﷺ علي بن أبي طالب ، فقال : أخرج في اثر القوم فانظر ما يصنعون » وقال الواقدي حول نفس الموضوع : ١/٢٩٨ : « فقال رسول الله ﷺ لسعد بن أبي وقاص : ائتنا بخبر القوم » : وحمراء الأسد : موضع على ثمانية أميال من المدينة ـ المغانم المطابة ـ .

(٣) آل عمران : ١٧٣ .

(٤) آل عمران : ١٧٢ .

وَقْعَةُ الأَحْزَابِ وَبَنِي قُرَيْظَة

عبد الرزاق ، ثم كانت وقعة الأحزاب بعد وقعة أحُد بسنتين ، وذلك يومْ الخندق ، ورسول الله ﷺ جانب المدينة ، ورأس المشركين يومئذٍ أبو سفيان ، فحاصر رسول الله ﷺ وأصحابه بضع عشرة ليلة ، حتى خلص إلى كل امرىءٍ منهم الكرب ، وحتى قال النبي ﷺ — كما أخبرني ابن المسيّب — : اللهمّ إني أنشدك عهدك ووعدك ، اللهم إنك إن تشأ أن لا تعبد(٢) .

فبينا هم على ذلك ، أرسل النبي ﷺ إلى عُيَيْنَةَ بن حصن بن بدر الفزاري وهو يومئذ رأس المشركين من غطفان ، وهو مع أبي سفيان : أرأيت إن جعلتُ لك ثلث ثمر الأنصار ، أترجع بمن معك من غطفان ، وتخذل بين الأحزاب ؟ فأرسل إليه عيينة : إن جعلتَ لي الشطر فعلتُ ، فأرسل إلى سعد بن معاذ ، وهو سيد الأوس ، وإلى سعد بن عبادة ، وهو سيد الخزرج ، فقال لهما : إن عُيَينة بن حصن قد سألني نصف ثمركما ، على أن ينصرف بمن معه من غطفان ، ويخذل بين الأحزاب ، وإني قد أعطيته الثلُث ، فأبى إلاّ الشطر ، فماذا تريان ؟ قالا : يا رسول الله ، إن كنت أمرت بشيءٍ فامض لأمر الله ، فقال رسول الله ﷺ : لو كنت أمرت بشيء لم أستأمركما ، ولكن هذا رأيي ، أعرضه عليكما ، قالا : فإنا لا نرى أن نعطيه إلاّ السيف ، قال : فنعم إذاً .

قال مَعْمَر : فأخبرني ابن أبي نجيح أنهما قالا له : والله يا رسول الله ! لقد

---

(١) كان ذلك سنة خمس للهجرة . انظر طبقات ابن سعد : ٦٥/٢ . تاريخ الطبري : ٥٦٤ — ٥٩٤ . تاريخ الاسلام : ٢٤٨/١ . وشارك في الأحزاب قريش مع يهود مع عدد من قبائل العرب من سليم ، وأسد ، وفزاره ، وأشجع ، وسواهم ، وبلغ عدد الأحزاب حوالي عشرة آلاف مقاتل .

(٢) كذا في الاصل ، وأنساب الأشراف عن الزهري : ٣٤٦/١ .

كان [هذا في الجاهلية ليمر يجر سربه ما يطمع منه في بُسرة][1] أفالآن حين جاء الله بالاسلام نعطيهم ذلك ؟! قال النبي ﷺ : فنعم إذاً •

قال الزُهْري في حديثه عن ابن المسيب : فبينا هم كذلك إذ جاءهم نُعَيْم بن مسعود الأشجعي ، وكان يأمنه الفريقان ، كان موادعاً لهما ، فقال : إني كنت عند عُيينة وأبي سفيان إذ جاءهم رسول بني قريظة : أن اثبتوا ، فإنا سنخالف المسلمين إلى بيضتهم ، قال النبي ﷺ فلعلنا أمرناهم بذلك ، وكان نُعَيم رجلاً لا يكتم الحديث ، فقام بكلمة النبي ﷺ ، فجاءه عمر ، فقال : يا رسول الله ، إن كان هذا الأمر من الله فأمضه[2] ، وإن كان رأياً منك فإن شأن قريش وبني قريظة أهون من أن يكون لأحد عليك فيه مقال : فقال النبي ﷺ : عليَّ الرجل رُدُّوه ، فردُّوه ، فقال : انظر الذي ذكرنا لك ، فلا تذكره لأحدٍ ، فإنما أغراه ، فانطلق حتى أتى عُيينة وأبا سفيان ، فقال : هل سمعتم من محمد يقول قولاً إلاّ كان حقاً ؟ قالا : لا ، قال : فإني لما ذكرتُ له شأن قريظة ، قال : فلعلّنا أمرناهم بذلك ، قال أبو سفيان : سنعلم ذلك إن كان مكراً ، فأرسل إلى بني قريظة أنكم قد أمرتمونا أن نثبت ، وأنكم ستخالفون المسلمين إلى بيضتهم ، فأعطونا بذلك رهينة ، فقالوا : إنها قد دخلت علينا ليلة السبت ، وإنا لا نقضي في السبت شيئاً ، فقال أبو سفيان : إنكم في مكر من بني قريظة ، فارتحلوا[3] ، وأرسل الله عليهم الريح ، وقذف في قلوبهم الرعب ، فأطفأت نيرانهم ، وقطعت أرسان خيولهم ، وانطلقوا منهزمين من غير قتال •

قال : فذلك حين يقول : (وَكَفَى اللهُ المؤمنينَ القِتَالَ وَكَانَ اللهُ

---

(١) زيد ما بين الحاصرتين من رواية ابن نجيح في أنساب الأشراف : ٣٤٦/١ ، والسرب القطيع والبسر : التمر قبل ارطابه ـ النهاية لابن الاثير • القاموس المحيط •

(٢) أي أمر المصالحة مع عيينة بن حصن •

(٣) تتعارض رواية الزهري هذه مع رواية ابن اسحق : الروض الانف : ٢٦٤/٣ ، حول نفس الموضوع ، وعندي هي أقرب الى القبول لانها أبعد عن التدليس والصنعة الأسروية ـ أسر الاشراف ـ التي ترسخت في أيام ابن اسحق • انظر أيضا مغازي الواقدي : ٤٨٠/٢ ـ ٤٩٣ •

قَوِيّاً عَزِيزاً)[1] .

قال : فندب النبي ﷺ أصحابه في طلبهم ، فطلبوهم حتى بلغوا حمراءَ الأسد ، قال : فرجعوا ، قال : فوضع النبي ﷺ لأمته ، واغتسل ، واستجمر[2] ، فنادى النبي ﷺ جبريل : عذيرك من محارب ، ألا أراك قد وضعت اللأمة ، ولم نضعها نحن بعد ، فقام النبي ﷺ فَزِعاً ، فقال لأصحابه : عزمتُ عليكم ألا تصلّوا العصر حتى تأتوا بني قريظة ، فغربت الشمس قبل أن يأتوها ، فقالت طائفة من المسلمين : إن النبي ﷺ لم يُرِدْ أن تدعوا الصلاة ، فصلّوا ، وقالت طائفة : إنا لفي عزيمة رسول الله ﷺ ، وما علينا من بأس ، فصلّت طائفة إيماناً واحتساباً ، [وتركت طائفة إيماناً واحتساباً][3] ، قال : فلم يُعنّف النبي ﷺ واحداً من الفريقين .

وخرج النبي ﷺ فمرّ بمجالس[4] بينه وبين بني قريظة ، فقال : هل مرّ بكم من أحد ؟ فقالوا : نعم ، مرّ علينا دحية الكلبيّ على بغلة شهباء ، تحته قطيفة ديباج ، فقال النبي ﷺ : ليس ذلك ، ولكنه جبريل ، أرسل إلى بني قريظة ، ليزلزل حصونهم ، ويقذف في قلوبهم الرعب ، فحاصرهم أصحاب النبي ﷺ ، فلما انتهى أصحاب النبي ﷺ [أمرهم] أن يستروه بجحفهم ليَقُوه الحجارة ، حتى يسمع كلامهم ففعلوا ، فناداهم : يا إخوة القردة والخنازير ، فقالوا : يا أبا القاسم ، ما كنت فاحشاً ، فدعاهم إلى الإسلام ، قبل أن يقاتلهم ، فأبوا أن يجيبوه إلى الإسلام ، فقاتلهم رسول الله ﷺ ومن معه من المسلمين ، حتى نزلوا على حكم سعد بن معاذ ، وأبَوْا أن ينزلوا على حكم النبي ﷺ[5] ،

---

(١) الأحزاب : ٢٥ .

(٢) انظر مغازي الواقدي : ٢/٤٩٧ . أنساب الأشراف : ١/٣٤٧ .

(٣) زيد ما بين الحاصرتين من البداية والنهاية لابن كثير : ٤/١١٨ ، وقد عقب ابن حزم على هذه المسألة في كتابه جوامع السيرة : ١٩٢ ، فلينظر لفائدته الفقهية .

(٤) في مغازي الواقدي : ٢/٤٩٨ ـ ٤٩٩ « فمر رسول الله ﷺ بنفر من بني النجار بالصورين » وهو موضع بأقصى البقيع مما يلي طريق بني قريظة . انظر المغانم المطابة للفيروز أبادي .

(٥) انظر سبب ذلك ودور أبو لبابه بن عبد المنذر في تحذيرهم من النزول على حكم النبي في مغازي =

فنزلوا على ذاك ، فأقبلوا بهم وبسعد بن معاذ على[1] أتان بشنذ ، حتى انتهوا إلى رسول الله ﷺ ، فأخذت قريظة تذكّره بحلفهم ، وطفق سعد بن معاذ ينفلت إلى رسول الله ﷺ مستأمراً ، ينتظره فيما يريد أن يحكم به ، فيجيب له رسول الله ﷺ ، يريد أن يقول : أتقر بما أنا حاكم ، وطفق رسول الله ﷺ يقول : بقول : نعم ، قال سعد : فإني أحكم بأن تقتل مقاتلتهم ، وتقسم أموالهم، وتسبى ذراريهم ، فقال النبي ﷺ : أصاب الحكم .

قال : وكان حيي بن أخطب[2] استجاش المشركين على رسول الله ﷺ ، فجاء لبني قريظة ، فاستفتح عليهم ليلاً ، فقال سيدهم : إن هذا رجل مشئوم ، فلا يشأمنّكم حيي ، فناداهم : يا بني قريظة ، ألا تستجيبوا ، ألا تلحقوني ، ألا تضيفوني ، فإني جائع معرور[3] ، فقالت بنو قريظة : والله لنفتحنّ له ، فلم يزالوا حتى فتحوا له ، فلما دخل عليهم أطمهم ، قال : يا بني قريظة جئتكم في عزّ الدهر ، جئتكم في عارض برد لا يقوم لسيله شيء ، فقال له سيدهم : أتعدنا عارضاً بردا ينكشف عنّا ، وتدعنا عند بحر دائم لا يفارقنا ، إنما تعدنا الغرور .

قال : فواثقهم وعاهدهم لإن انفضّت جموع الأحزاب ، أن يجيء حتى يدخل معهم أطمهم ، فأطاعوه حينئذٍ بالغدر بالنبي ﷺ والمسلمين ، فلما فضّ

=

الواقدي : ٥٠٦/٢ . جوامع السيرة لابن حزم : ١٩٢ . وانظر سورة : التوبة : ١٠٢ . الأنفال : ٢٧ . المائدة : ٤١ .

(١) جاءت هذه الجملة عند ناشر المصنف : « وسعد بن معاذ أسيرا على أتان » ويبدو أن عبارة أسيرا هي تصحيف لعبارة بشنذ ، التي قدمت بدل ، أن تؤخر ، والشنذ في النهاية لابن الأثير : شبه اكاف يجعل لمقدمته حنو ، ومعروف أن ابن معاذ كان رجلا جسيما أصابته جراحه بكاحله يوم الأحزاب . انظر مغازي الواقدي : ٥١١/٢ . تاريخ الطبري : ٥٨٦/٢ ـ ٥٨٧ . جوامع السيرة : ١٩٤ .

(٢) كان من زعماء بني النضير ، وهو والد صفية أم المؤمنين ، وبعد جلاء بني النضير واستقرارهم المؤقت في خيبر ، استجاش قريش مع الأحزاب ليوم الخندق ، انظر مغازي الواقدي : ٤٤١/٢ ـ ٤٤٣ . الطبري : ٥٦٥/٢ . جوامع السيرة : ١٨٥ ـ ١٨٧ .

(٣) المعرور : المقرور ، ومن أصابه مالا يستقر عليه ـ القاموس .

الله جموع الأحزاب ، انطلق حتى إذا كان بالروحاء ، ذكر العهد والميثاق الـذي أعطاهم ، فرجع حتى دخل معهم ، فلما أقبلت بنو قريظة أتي به مكتوفاً يقـاد ، فقال حُيَيّ للنبي ﷺ : أما والله ما لمت نفسي في عداوتك ، ولكنـه من يخذل الله يُخذل ، فأمر به النبي ﷺ ، فضربت عنقه .

* * *

وقعة خيبر(1)

عبد الرزاق عن مَعْمَر عن الزُهْري ، قال : لما انصرف رسول الله ﷺ حتى أتى المدينة ، فغزا خيبر من الحديبية(2) فأنزل الله عليه (وَعَدَكُمُ اللهُ مَغَانِمَ كَثِيرَةً تأخُذُونَهَا فَعَجَّلَ لَكُمْ هَذِهِ) إلى (وَيَهْدِيَكُمْ صِرَاطاً مُسْتَقِيماً)(3) فلما فتحت خيبر جعلها لمن غزا معه الحديبية ، وبايع تحت الشجرة ، ممن كان غائباً أو شاهداً(4) ، من أجل أن الله كان وعدهم إياها ، وخمّس رسول الله ﷺ خيبر ، ثم قسم سائرها(5) مغانم بين من شهدها من المسلمين ، ومن غاب عنها من أهل الحديبية .

ولم يكن لرسول الله ﷺ ولا لأصحابه عمّال يعملون خيبر ، ولا يزرعونها .

قال الزُهْري : فأخبرني سعيد بن المسيب أن رسول الله ﷺ دعا يهود خيبر ، وكانوا خرجوا على أن يسيروا منها ، فدفع إليهم خيبر على أن يعملوها على النصف ، فيؤدّونه إلى رسول الله ﷺ وإلى أصحابه ، وقال لهم رسول الله ﷺ : أقِرّكم على ذلك ما أقرّكم [الله] ، فكان رسول الله ﷺ يبعث إليهم

---

(1) مكان معروف ، كان على ثمانية برد من المدينة لمن يريد الشام ، والخيبر بلسان اليهود : الحصن ، وعرفت بذلك لكون بقعتها كانت تشتمل على سبعة حصون هي : ناعم ، القموص ، الشق ، النطاة ، السلالم ، الوطيح ، الكتيبة . انظر معجم البلدان . المغانم المطابه .

(2) روى الواقدي في مغازيه : ٦٣٤/٢ : « قدم رسول الله ﷺ من الحديبية في ذي الحجة تمام سنة ست ، فاقام بالمدينة بقية ذي الحجة والمحرم ، وخرج في صفر سنة سبع » .

(3) الفتح : ٢٠ .

(4) لفتح خيبر ، ذلك أن بعض من بايع تحت الشجرة لم يشهد وقعة خيبر ، انظر مغازي الواقدي : ٦٨٤/٢ .

(5) علق ابن كثير في تاريخه : ٢٠١/٤ على هذا الخبر بقوله : « وفيما قاله الزهري نظر ، فان الصحيح أن خيبر جميعها لم تقسم ، وانما قسم نصفها بين الناس » ، ثم ساق من الروايات مايثبت هذا .

عبد الله بن رواحة الأنصاري ، فيخرص[1] عليهم النخل حين يطيب أول شيء من تمرها ، قبل أن يؤكل منه شيء" ، ثم يخير اليهود ، أيأخذونها بذلك الخرص ، أم يدفعونها بذلك الخرص[2] ؟

قال الزُهْري : ثم اعتمر[3] رسول الله ﷺ في ذي القعدة[4] من المدة التي كانت بينه وبين قريش ، وخلّوها[5] لرسول الله ﷺ ، وخلّفوا حُويطب بن عبد العزى القرشي ثم العدوي ، وأمروا إذا طاف رسول الله ﷺ ثلاثاً أن يأتيه فيأمره أن يرتحل .

وكان رسول الله ﷺ صالحهم[6] على أن يَمكث ثلاثاً يطوف بالبيت ، فأتى رسول الله ﷺ حُويطب بعد ثلاث ، فكلّمه في الرحيل ، فارتحل رسول الله ﷺ قافلاً إلى المدينة .

ثم غزا رسول الله ﷺ الفتح .

* * *

---

(١) خرص النخلة والكرمة يخرصها خرصا : اذا حزر ما عليها من الرطب ، تمرا ومن العنب زبيبا، فهو من الخرص : الظن ، لأن الحزر انما هو تقدير بظن ــ النهاية لابن الاثير .

(٢) كان لفتح خيبر أثره الكبير على أحوال المسلمين المعاشية ، ومصداقا على هذا يكفي أن نسوق ما رواه البخاري ــ فتح الباري : ٧/٤٩٥ ــ عن ابن عمر قوله : « ما شبعنا حتى فتحنا خيبر » . انظر أيضا مغازي الواقدي : ٢/٦٨٠ .

(٣) عمرة القضاء ــ انظر فتح الباري : ٧/٤٩٩ ــ ٥١٠ .

(٤) من عام سبعة للهجرة .

(٥) أي خلت قريش مكة ، فقد روى موسى بن عقبة في مغازيه : « وتغيب رجال من أشرافهم ، خرجوا الى بوادي مكة كراهية أن ينظروا الى رسول الله ﷺ غيظا وحنقا ، ونفاسة وحسدا » ــ أوراق من كتاب اندلسي في السيرة في خزانتي الخاصة ــ .

(٦) يوم الحديبية .

فتح مكة

قال الزهري : فأخبرني عبيد الله بن عبد الله بن عتبة عن ابن عباس أن النبي ﷺ خرج في شهر رمضان من المدينة ، معه عشرة آلاف من المسلمين ، وذلك على رأس ثمان سنين ونصف ، من مقدمه المدينة ، فسار بمن معه من المسلمين إلى مكة ، يصوم ويصومون ، حتى بلغ الكديد ، وهو ماء بين عسفان وقديد ، فأفطر [1] ، وأفطر المسلمون معه ، فلم يصوموا من بقية رمضان شيئاً •

قال الزهري : فكان الفطر آخر الأمرين ، وإنما يؤخذ من أمر رسول الله ﷺ الآخر فالآخر ، قال : ففتح رسول الله ﷺ مكة ليلة ثلاث عشرة خلت من رمضان •

* * *

(١) خرج البخاري هذا الخبر عن الزهري بنفس الاسناد ، انظر فتح الباري : ٣/٨ ، هذا وروى ايضا كل من ابن اسحق ـ الروض الأنف : ٨٨/٤ ، والحربي في كتاب المناسك : ٤٦٢ ، هذا الخبر عن الزهري بنفس الاسناد ، وعندهما « بين عسفان وأمج » ، وهذه أماكن على مقربة من بعضها البعض ، تقع على ذات الطريق الآخذ الى مكة ، وقد وصفها الحربي وحدد أبعادها ، انظر : ٤٥٩ ـ ٤٦٤ • وانظر أيضا جوامع السيرة : ٢٢٦ • صفة جزيرة العرب : ٣٨٣ • البداية والنهاية : ٢٨٥/٤ •

غَزْوَةُ ٱلفَتْح

عبد الرزاق عن مَعْمَر عن عثمان الجزري ــ قال مَعْمَر : وكان يقال لعثمان الجزري [عثمان][1] المشاهد ــ عن مقسم مولى ابن عباس ، قال لما كانت المدة التي كانت بين رسول الله ﷺ وبين قريش زمن الحُديبية ، وكانت سنتين ، ذكر أنها كانت حربٌ بين بني بكر ــ وهم حلفاءُ قريش، وبين خُزاعة ــ وهم حلفاءُ رسول الله ﷺ ، فأعانت قريش حلفاءها على خُزاعة ، فبلغ ذلك رسول الله ﷺ ، فقال : والذي نفسي بيده لأمنعنَّهم مما أمنع منه نفسي ، وأهل بيتي ، وأخذ في الجهاز إليهم ٠

فبلغ ذلك قريشاً ، فقالوا لأبي سفيان : ما تصنع ، وهذه الجيوش تُجَهَّز إلينا ، انطلق فجدِّد بيننا وبين محمد كتاباً ، وذلك مقدمه من الشام[2] ، فخرج أبو سفيان حتى قدم المدينة ، فكلَّم رسول الله ﷺ ، فقال : هلُمَّ فلنُجَدِّدْ بيننا وبينك كتاباً ، فقال النبي ﷺ : فنحن على أمرنا الذي كان ، وهل أحدثتم من حدث ؟ فقال أبو سفيان : لا ، فقال النبي ﷺ : فنحن على أمرنا الذي كان بيننا ، فجاء علي بن أبي طالب ، فقال : هل لك على أن تسود العرب ، وتَمُنَّ على قومك فتجيرهم ، وتجدد لهم كتاباً ؟ فقال : ما كنت لأفتات على رسول الله ﷺ بأمر ، ثم دخل على فاطمة ، فقال : هل لكِ أن تكوني خير سخلةٍ في العرب، أن تجيري بين الناس، فقد أجارَت أختك على رسول الله ﷺ زوجها أبا العاص بن

---

(١) زيد ما بين الحاصرتين من ترجمته في التاريخ الكبير للبخاري : ٢٥٨/٦ ٠ الجرح والتعديل : ١٧٤/٦ ٠

(٢) أي أبو سفيان ٠

الربيع[1] ، فلم يُغيِّر ذلك ، فقالت فاطمة : ما كنت لأفتات على رسول الله ﷺ بأمر ، ثم قال ذلك للحسن والحسين : أجيرا بين الناس ، قولا : نعم ، فلم يقولا شيئاً ، ونظرا إلى أمهما ، وقالا : نقول ما قالت أمّنا ، فلم ينجح من واحد منهم بما طلب .

فخرج حتى قدم على قريش ، فقالوا : ماذا جئت به ؟ قال : جئتكم من عند قوم قلوبهم على قلب واحد ، واللهِ ما تركت منهم صغيراً ، ولا كبيراً ، ولا أنثى ، ولا ذكراً ، إلاّ كلّمته ، فلم أنجح منهم شيئاً ، قالوا : ما صنعت شيئاً ، ارجع فرجع .

وخرج رسول الله ﷺ يريد قريشاً ، حتى إذا كان ببعض الطريق ، قال رسول الله ﷺ لناس من الأنصار : انظروا أبا سفيان فإنكم ستجدونه ، فنظروه فوجدوه ، فلما دخل العسكر جعل المسلمون يجأونه[2] ، ويتسرعون إليه ، فنادى : يا محمد ، إني لمقتول ، فأمُر بي إلى العباس ، وكان العباس له خِدْناً وصديقاً في الجاهلية ، فأمر به النبي ﷺ إلى العباس ، فبات عنده ، فلما كان عند صلاة الصبح ، وأذّن المؤذّن ، تحرك الناس ، فظنّ أنّهم يريدونه ، قال : يا عباس ، ما شأن الناس ؟ قال : تحرّكوا للمنادي للصلاة ، قال : فكل هؤلاء إنما تحركوا لمنادي محمد ﷺ ؟ قال : نعم ، قال : فقام العباس للصلاة ، وقام معه ، فلما فرغوا ، قال : يا عباس ، ما يصنع محمد شيئاً إلاّ صنعوا مثله ؟ قال : نعم ، ولو أمرهم أن يتركوا الطعام والشراب حتى يموتوا جوعاً لفعلوا ، وإني لأراهم سيهلكون قومك غداً ، قال : يا عباس ، فادخل بنا عليه ، فدخل إلى النبي ﷺ ، وهو في قبة من أدم ، وعمر بن الخطاب خلف القبة ، فجعل النبي ﷺ يعرض عليه الإسلام ، فقال أبو سفيان : كيف أصنع بالعزّى ؟ فقال عمر من

---

(١) هي زينب ، وقد أجارت زوجها بعد ما جيء به أسيرا الى المدينة سنة ست ، اثر سرية زيد بن حارثة الى العيص ، انظر مغازي الواقدي : ٥٥٣/٢ . طبقات ابن سعد : ٨٧/٢ .

(٢) وجاه : ضربه بسكين أو باليد في اي موضع من جسده .

خلف القبة : تَخَشَّرأ عليها ، فقال : وأبيك إنك لفاحش ، إني لم آتك يا بن الخطاب، إنما جئت لابن عمي ، وإياه أكلّم •

قال : فقال العباس : يا رسول الله ، إن أبا سفيان رجل من أشراف قومنا ، وذوي أسنانهم وأنا أحبّ أن تجعل له شيئاً يُعرف ذلك له ، فقال النبي ﷺ : من دخل دار أبي سفيان فهو آمن •

قال : فقال أبو سفيان : أداري ، أداري ؟ فقال النبي ﷺ : نعم ، ومن وضع سلاحه فهو آمن ، ومن أغلق عليه بابه فهو آمن ، فانطلق مع العباس حتى إذا كان ببعض الطريق ، فخاف منه العباس بعض الغدر ، فجلّسه على أكَمَة حتى مرّت به الجنود • قال : فمرت به كبكبة[1] فقال : من هؤلاء ؟ يا عباس ، فقال : هذا الزبير بن العوام على المجنّبة اليمنى ، قال : ثم مرّت كبكبة أخرى ، فقال : مَن هؤلاء يا عباس ؟ قال : هم قُضاعة ، وعليهم أبو عبيدة بن الجراح ، قال : ثم مرّت به كبكبة أخرى ، فقال : من هؤلاء يا عباس ؟ قال : هذا خالد بن الوليد على المجنّبة اليسرى ، قال : ثم مرّ به قوم يمشون في الحديد ، فقال : من هؤلاء يا عباس الذين كأنهم حرة سوداء ؟ قال : هذه الأنصار ، عندها الموت الأحمر ، فيهم رسول الله ﷺ ، والأنصار حوله ، فقال أبو سفيان : سِرْ ياعباس، فلم أرَ كاليوم صباح قوم في ديارهم ، قال : ثم انطلق ، فلما أشرف على مكة نادى — وكان شعار قريش — يا آل غالب أسلموا تسلموا ، فلقيته امرأته هند ، فأخذت بلحيته ، وقالت : يا آل غالب ، اقتلوا الشيخ الأحمق ، فإنه قد صبأ ، فقال : والذي نفسي بيده لتُسلمِنّ أو ليُضربنّ عنقكِ [2] •

قال : فلما أشرف النبي ﷺ على مكة ، كفّ الناس أن يدخلوها حتى يأتيه رسول العباس ، فأبطأ عليه ، فقال النبي ﷺ : لعلهم يصنعون بالعباس ما صنعت

---

(١) الكبكبة : الجماعة المتضامنة من الناس أو الخيل •

(٢) انظر الخبر بتفاصيل أكبر عند الواقدي : ٨١٥/٢ — ٨٢٣ • البداية والنهاية : ٢٨٥/٤-٢٩٢•

ثقيف بعروة بن مسعود(١) ، فوالله إذاً لا أستبقي منهم أحداً .

قال : ثم جاءه رسول العباس ، فدخل رسول الله ﷺ ، فأمر أصحابه بالكف ، فقال : كفوا السلاح ، إلا خزاعة عن بكر ساعة ، ثم أمرهم فكفوا ، فأمن الناس كلهم [إلا] ابن أبي سرح ، وابن خطل ، ومقيس الكناني ، وامرأة أخرى(٢) ، ثم قال النبي ﷺ : إني لم أحرم مكة ، ولكن حرمها الله ، وإنها لم تحلل لأحد قبلي ، ولا تحل لأحد بعدي إلى يوم القيامة ، وإنما أحلها الله [لي](٣) في ساعة من نهار .

قال : ثم جاءه عثمان بن عفان بابن أبي سرح فقال : بايعه يا رسول الله ! فأعرض عنه ، ثم جاء من ناحية أخرى ، فأعرض عنه ثم جاءه أيضاً فقال : بايعه يا رسول الله ، فقال رسول الله ﷺ : لقد أعرضت عنه ، وإني لأظن بعضكم سيقتله ، فقال رجل من الأنصار ، فهلا أومضت إلي يا رسول الله ؟! قال : إن النبي لا يومض ، وكأنه رآه غدراً .

قال الزهري : فبعث رسول الله ﷺ خالد بن الوليد ، فقاتل بمن معه صفوف قريش بأسفل مكة حتى هزمهم الله ، ثم أمر رسول الله ﷺ فرفع عنهم(٤) ، فدخلوا في الدين ، فأنزل الله (إذا جاء نصر الله والفتح)(٥) حتى ختمها .

---

(١) أسلم ، ثم أذن له النبي باتيان قومه بالطائف يدعوهم الى الاسلام ، فلما جاءهم قتلوه ، وهناك خلاف حول تاريخ اسلامه ، فالواقدي يرجح أن ذلك كان بعد انصراف النبي من حصار الطائف ، أي بعد فتح مكة ومعركة حنين ـ انظر مغازي الواقدي : ٣/٩٦٠ ـ ٩٦٢ .

(٢) هم : عبد الله بن سعد بن أبي سرح ، اسلم ثم ارتد ، لم يقتل حيث استأمن له أخوه من الرضاعة عثمان بن عفان . عبد الله بن خطل ، أسلم ، ثم غدر وارتد مشركا ، وقد قتل من قبل المسلمين. مقيس بن صبابه وكان قتل أحد الانصار وارتد ، وقد قتله أحد المسلمين . سارة مولاة بعض بني المطلب ، وكانت ممن يؤذي النبي بمكة ، وقد استؤمن لها ، وأسلمت وعاشت حتى أيام عمر بن الخطاب ، هذا وقد زاد البعض على هؤلاء نفرا آخر ، انظر الواقدي : ٢/٨٢٥ . الروض الأنف : ٤/٩٢ ـ ٩٣ . فتح الباري : ٨/١١ ـ ١٢ .

(٣) زيد من صحيح البخاري ـ انظر فتح الباري : ٨/٣٦ .

(٤) انظر مغازي الواقدي : ٢/٨٢٥ . الروض الأنف : ٤/٩٢ .

(٥) النصر : ١ ، وكان فتح مكة سنة ثمان للهجرة . انظر تاريخ خليفة : ١/٥٦ . الطبري : ٣/٣٨ ـ ٦١ .

قال مَعْمَر : قال الزُهْري : ثم رجع رسول الله ﷺ بمن معه من قريش ــ وهي كِنانة ــ ومن أسلم يوم الفتح قبل حُنين ، وحُنين وادٍ في قِبَل الطائف ذو مياهٍ ، وبه من المشركين يومئذٍ عجز هوازن ، ومعهم ثقيف ، ورأس المشركين يومئذٍ مالك بن عوف النصري ، فاقتتلوا بحُنين ، فنصر الله نبيه ﷺ والمسلمين ، وكان يوماً شديداً على الناس ، فأنزل الله (لَقَدْ نَصَرَكُمُ اللهُ في مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ)[1] ، الآيــة .

قال مَعْمَر : قال الزُهْري : وكان رسول الله ﷺ يتألّفهم[2] ، فلذلك بعث خالد بن الوليد يومئذ .

عبد الرزاق عن مالك بن أنس عن ابن شِهاب أن رسول الله ﷺ دخل مكة يوم الفتح وعليه المغفر[3] .

* * *

(١) التوبة : ٢٥ .

(٢) أي قريش ، انظر مغازي الواقدي : ٢/٨٢٥ ــ ٨٢٦ . فتح الباري : ٨/١١ .

(٣) الخبر في صحيح البخاري ، ويستفاد منه أن النبي دخل مكة بدون احرام ، ويثير هذا مسالة تتعلق بطبيعة ونوعية فتح مكة ــ انظر فتح الباري : ٨/١١ ــ ١٥ .

وَقعَةُ حُنَين

عبد الرزاق عن مَعْمَر عن الزُهْري قال : أخبرني كُثَيِّر بن العباس بن عبد المطلب عن أبيه العباس قال : شهدت مع رسول الله ﷺ يوم حنين ، قال : فلقد رأيت النبي ﷺ وما معه إلاّ أنا وأبو سفيان بن الحارث بن عبد المطلب ، فلزمنا رسول الله ﷺ فلم نفارقه ، وهو على بغلة شهباء ـ وربما قال معمر : بيضاء ـ أهداها له فروة بن نُفاثة[1] الجذامي ، قال : فلما التقى المسلمون والكفار ولّى المسلمون مُدبرين ، وطفق رسول الله ﷺ يركض بغلته نحو الكفار ، قال العباس : وأنا آخذ بلجام بغلة رسول الله ﷺ أكففها ، وهو لا يألو ما أسرع نحو المشركين ، وأبو سفيان بن الحارث آخذ بغرْز[2] رسول الله ﷺ ، فقال : يا عباس ، نادِ أصحاب السَّمُرة[3] ، قال : وكنت رجلاً صيّتاً ، فناديت بأعلى صوتي : أين أصحاب السَّمُرة ؟ قال : فوالله لكأن عَطْفتهم حين سمعوا صوتي عَطْفة البقر على أولادها ، يقولون : يا لبيك ، يا لبيك ، يا لبيك .

وأقبل المسلمون ، فاقتتلوا هم والكفار ، فنادت الأنصار[4] ، يقولون : يا معشر الأنصار ، ثم قصر الداعون على بني الحارث بن الخزرج ، فنادوا : يا بني الحارث بن الخزرج ، قال : فنظر رسول الله ﷺ وهو على بغلته كالمتطاول عليها

---

(١) هو عند ابن سعد : ١/٤٩٠ « فروة بن عمير » و « فروة بن عمرو » عند البلاذري في انساب الاشراف : ١/٥١٠ ـ ٥١٢ ، ولم تتفق المصادر على تحديد ما أهداه فروة للنبي ﷺ . انظر أيضا فتح الباري : ٨/٣٠ .

(٢) الغرز : ركاب للرحل من جلد .

(٣) أي أصحاب بيعة الرضوان ، لأن الشجرة التي تمت تحتها البيعة كانت من السمر ، انظر ما سياتي في خبر الهجرة الى المدينة .

(٤) في مغازي الواقدي : ٣/٨٩٨ ، عن الزهري : « فكانت الدعوة أولا : ثم قصرت الدعوة فنادوا : يا للخزرج » .

إلى قتالهم ، فقال رسول الله ﷺ : هذا[1] حين حمي الوطيس ، قال ثم أخذ رسول الله ﷺ حصيات فرمى بهن وجوه الكفار ، ثم قال : انهزموا ورب الكعبة، قال : فذهبتُ أنظر فإذا القتال على هيئته فيما أرى ، قال : فوالله ما هو إلا أن رماهم رسول الله ﷺ بحصياته ، فما زلت أرى حدّهم كليلاً ، وأمرهم مدبراً حتى هزمهم الله تعالى ، قال : وكأني أنظر إلى النبي ﷺ يركض خلفهم على بغلة له .

قال الزُهْري : وكان عبد الرحمن بن أزهر يحدث أن خالد بن الوليد بن المغيرة يومئذٍ كان على الخيل ، خيل رسول الله ﷺ ، فقال ابن أزهر : فلقد رأيت رسول الله ﷺ بعدما هزم الله الكفار ، ورجع المسلمون إلى رحالهم ، يمشي في المسلمين ، ويقول : مَن يَدُلّني على رحل خالد بن الوليد ؟ فمشيت — أو قال فسعيت — بين يديه وأنا غلام محتلم ، أقول : من يَدُلُّ على رحل خالد ، حتى دُلِلْنا عليه ، فإذا خالد مستند إلى مؤخرة رحله ، فأتاه رسول الله ﷺ فنظر إلى جرحه .

قال الزُهْري ، فأخبرني سعيد بن المسيّب أن النبي ﷺ سبى يومئذٍ ستة آلاف سَبْي من امرأةٍ وغلامٍ ، فجعل عليهم رسول الله ﷺ أبا سفيان بن حرب.

قال الزُهْري : وأخبرني عروة بن الزبير قال : لما رجعت هوازن إلى رسول الله ﷺ ، قالوا : أنتَ أبرّ الناس ، وأوصلهم ، وقد سُبِيَ موالينا ونساؤنا ، وأُخِذَت أموالنا ، فقال رسول الله ﷺ : إني كنت استأنيت بكم ومعي من ترَوْن ، وأحبّ القول إليّ أصدقه ، فاختاروا إحدى الطائفتين : إمّا المال ، وإمّا السَبْي؟ فقالوا : يا رسول الله ، أمّا إذا خيّرتنا بين المال وبين الحسب ، فإنا نختار الحسب — أو قالوا : ما كنا نعدل بالحسب شيئاً — فاختاروا نساءهم وابناءهم ، فقام رسول الله ﷺ [و] خطب في المسلمين ، فأثنى على الله بما هو

(١) في مغازي الواقدي : ٣/٨٩٨ « الآن » بدلا من « هذا حين » .

أهله ، ثم قال : أما بعد ، فإن إخوانكم هؤلاء قد جاءوا مسلمين ، أو مستسلمين ، وإنّا قد خيّرناهم بين الذراري والأموال ، فلم يعدلوا بالأحساب ، وإني قد رأيت أن تردّوا لهم أبناءهم ، ونساءهم ، فمن أحبّ منكم أن يُطيّب ذلك فليفعل ، ومن أحب أن يكتب علينا حصته من ذلك حتى نعطيه من بعض ما يفيئه الله علينا فليفعل ، قال : فقال المسلمون : طيّبْنا ذلك لرسول الله ﷺ ، قال[1] : إني لا أدري من أذن في ذلك ممن لم يأذن ، فامُروا عرفاءكم فليرفعوا ذلك إلينا ، فلما رفعت العرفاءُ إلى رسول الله ﷺ أنّ الناس قد سلموا ذلك ، وأذنوا فيه ، ردّ رسول الله ﷺ إلى هوازن نساءهم وأبناءهم ، وخيّر رسول الله ﷺ نساءً كان أعطاهن رجالاً من قريش بين أن يَلْبَثن عند من عنده ، وبين أن يرجعن إلى أهلهن .

قال الزُهْري : فبلغني أن امرأة منهم كانت تحت عبد الرحمن بن عوف ، فَخُيِّرت فاختارت أن ترجع إلى أهلها ، وتركت عبد الرحمن ، وكان معجباً بها ، وأخرى عند صفوان بن أمية ، فاختارت أهلها .

قال الزُهْري : فأخبرني سعيد بن المُسيب قال : قسم رسول الله ﷺ ما قسم بين المسلمين ، ثم اعتمر من الجِعْرانة[2] بعدما قفل من غزوة حنين ، ثم انطلق إلى المدينة ، ثم أمّر أبا بكر على تلك الحجة .

قال مَعْمَر عن الزُهْري قال : أخبرني ابن كعب بن مالك قال : جاء ملاعب الأسنة[3] إلى النبي ﷺ بهديّة ، فعرض عليه الإسلام ، فأبى أن يُسلم ، فقال النبي ﷺ : إني لا أقبل هدية مشرك ، قال : فابعث إلى أهل نجد من شئت

---

(١) أي النبي ﷺ .

(٢) هي ماء بين الطائف ومكة ، وهي الى مكة اقرب ــ معجم البلدان .

(٣) هو عامر بن مالك بن جعفر بن كلاب ، وسمي ملاعب الاسنة لقوله اثر حضوره أحد أيام العرب في الجاهليــة :

فررت وأسلمت ابن امـك عامـرا ... يـلاعب اطـراف الوشيج المزعزع

انظر الروض الأنف : ٢٣٨/٣ .

فأنا لهم جار»(١) ، فبعث إليهم نفراً(٢) [فيهم] المنذر بن عمرو ، وهو الذي كان يقال المُعْنِق ليموت(٣) ، وفيهم عامر بن فُهَيْرة ، فاستجاش عليهم عامرُ بن الطفيل بني عامر ، فأبوا أن يطيعوه ، وأبَوا أن يُخفروا ملاعب الأسِنَّة ، قال : فاستجاش عليهم بني سُلَيم ، فأطاعوه ، فاتبعوهم بقريب من مئة رجل رامٍ ، فأدركوهم ببئر معونة(٤) ، فقتلوهم إلاّ عمرو بن أمية الضمري فأرسلوه •

قال الزُهْري : فأخبرني عروة بن الزبير أنه لما رجع إلى النبي ﷺ قال له النبي ﷺ : أمِنْ بينهم ؟ قال الزُهْري : وبلغني أنهم لما دفنوا التمسوا جسد عامر بن فُهَيْرة فلم يقدروا عليه ، فيرون أن الملائكة دفنته •

عبد الرزاق عن مَعْمَر قال : أخبرنا ثُمامة بن عبد الله بن أنس عن أنس بن مالك ، أن حَرام بن ملحان — وهو خال أنس — طُعِن يومئذٍ فتلقّى دمه بكفّه ثم نضحه على رأسه ووجهه ، وقال : فزت ورب الكعبة(٥) •

قال مَعْمَر : وأخبرني عاصم أن أنس بن مالك قال : ما رأيت رسول الله ﷺ وجد على شيء قطّ ، ما وجد على أصحاب بئْر مَعُونة ، أصحاب سرية المنذر بن عمرو ، فمكث شهراً يدعو على الذين أصابوهم في قنوت صلاة الغداة ، يدعو على رِعل ، وذكوان ، وعُصَيّة ، ولحيان ، وهم من بني سُلَيم(٦) •

---

(١) في مغازي الواقدي : ٣٤٦/١ : « فعرض رسول الله ﷺ عليه الاسلام ، فلم يسلم ولم يبعد ، وقال : يا محمد ، اني أرى أمرك هذا أمرا حسنا شريفا ، وقومي خلفي ، فلو أنك بعثت نفرا من أصحابك معي لرجوت أن يجيبوا دعوتك ، ويتبعوا أمرك » •

(٢) تجمع غالبية الروايات على أنهم كانوا سبعين رجلا — انظر مغازي الواقدي : ٣٤٧/١ • فتح الباري : ٣٨٥/٧ — ٣٨٦ ، وزيد ما بين الحاصرتين من رواية موسى بن عقبة عن الزهري ، انظر كتابي التأريخ عند العرب : ١٤٤ •

(٣) في عدد من الروايات « أعنق ليموت » والاعناق هو الاسراع ، وعليه فهو أسرع ليموت ، أو المسرع ليموت — انظر النهاية لابن الاثير • الاستبصار في نسب الصحابة من الانصار : ١٠١ •

(٤) قال الواقدي في مغازيه : ٣٤٧/١ : « هو ماء من مياه بني سليم ، وهو بين أرض بني عامر وبني سليم » وعنده أن هذه الغزوة كانت في صفر على رأس ستة وثلاثين شهرا من الهجرة ، وأورد خليفة بن خياط : ٤٢/١ ، الغزوة في حوادث سنة أربع — انظر مادة بئر معونه عند ياقوت •

(٥) خرج البخاري هذا الخبر ، انظر فتح الباري : ٣٨٦/٧ •

(٦) انظر ما آل اليه أمر ابن الطفيل في رواية ابن اسحق — الروض الأنف : ٢٣٢/٣ •

مَن هَاجَرَ إلى الحَبَشَة

عبد الرزاق عن مَعْمَر عن الزُهْري في حديثه عن عروة قال : فلما كثر المسلمون ، وظهر الإيمان ، فتحدث به [ثار][1] المشركون من كفار قريش بمن آمن من قبائلهم ، يعذبونهم ، ويسجنونهم ، وأرادوا فتنتهم عن دينهم .

قال : فبلغنا أن رسول الله ﷺ قال للذين آمنوا به : تفرقوا في الأرض ، قالوا : فأين نذهب يارسول الله ؟ قال : هاهنا ، ــ وأشار بيده إلى أرض الحبشة ، وكانت أحب الأرض إلى رسول الله ﷺ [أن][2] يُهاجر قِبَلها ــ فهاجر ناس ذوي عدد ، منهم من هاجر بأهله ، ومنهم من هاجر بنفسه ، حتى قدموا أرض الحبشة .

قال الزُهْري : فخرج في الهجرة جعفر بن أبي طالب بامرأته أسماء بنت عُميس الخثعمية ، وعثمان بن عفان ــ رحمه الله ــ بامرأته رُقَيَة ابنة رسول الله ﷺ[3] ، وخرج فيها خالد بن سعيد بن العاص بامرأته أُميمة ابنة خلف ، وخرج فيها أبو سلمة بامرأته أم سلمة ابنة أبي أمية بن المغيرة ، ورجال من قريش خرجوا بنسائهم ، فولد بها عبد الله بن جعفر ، وولدت بها أَمَة ابنة خالد بن سعيد ، أم عمرو بن الزبير وخالد بن الزبير ، وولد بها الحارث بن حاطب في ناس من قريش ولدوا بها[4] .

قال الزُهْري : وأخبرني عروة بن الزبير أن عائشة قالت : لم أعقِل أبواي

(١) زيد ما بين الحاصرتين من رواية ابن سعد : ٢٠٣/١ « عن الزهري » وعنده « ثار ناس كثير من المشركين » .

(٢) زيد ما بين الحاصرتين من ابن سعد : ٢٠٤/١ .

(٣) أصاب الجملة هذه في الأصل اضطراب سبب تأخير وتقديم بالكلمات .

(٤) انظر ابن اسحق : ١٧٤ ــ ١٧٩ .

قط إلا وهما يدينان الدين ، ولم يمرر علينا يوم إلا يأتينا فيه رسول الله ﷺ طرفي النهار — بكرة وعشية — فلما ابتلي المسلمون ، خرج أبو بكر رضي الله عنه مهاجراً قبل أرض الحبشة حتى إذا بلغ برك الغماد[1] لقيه ابن الدغنة وهو سيد القارة[2] ، فقال ابن الدغنة : أين تريد يا أبا بكر ؟ فقال أبو بكر : أخرجني قومي ، فأريد أن أسيح في الأرض ، وأعبد ربي ، فقال ابن الدغنة : مثلك يا أبا بكر لا يخرج ، ولا يخرج ، إنك تكسب المعدوم ، وتصل الرحم ، وتحمل الكل ، وتقري الضيف ، وتعين على نوائب الحق ، فأنا لك جار ، فارجع فاعبد ربك ببلدك ، فارتحل ابن الدغنة ، ورجع مع أبي بكر ، فطاف ابن الدغنة في كفار قريش ، فقال : إن أبا بكر خرج ولا يخرج مثله ، أتخرجون رجلاً يكسب المعدوم ، ويصل الرحم ، ويحمل الكل ، ويقري الضيف ، ويعين على نوائب الحق ؟! فأنفذت قريش جوار ابن الدغنة ، وأمنوا أبا بكر ، وقالوا لابن الدغنة : مر أبا بكر فليعبد ربه في داره ، وليصل فيها ما شاء ، ولا يؤذينا ، ولا يستعلن بالصلاة والقراءة في غير داره ، ففعل .

ثم بدا لأبي بكر فبنى مسجداً بفناء داره ، فكان يصلي فيه ويقرأ ، فيتقصف[3] عليه نساء المشركين وأبناؤهم ، يعجبون منه ، وينظرون إليه ، وكان أبو بكر رجلاً بكاء ، لا يملك دمعه حين يقرأ القرآن ، فأفزع ذلك أشراف قريش .

فأرسلوا إلى ابن الدغنة ، فقدم عليهم ، فقالوا : إنا أجرنا أبا بكر على أن يعبد الله في داره ، وإنه قد جاوز ذلك ، وبنى مسجداً بفناء داره ، وأعلن الصلاة والقراءة ، وإنا قد خشينا أن يفتن نساءنا وأبناءنا ، فأته فمره ،

(١) اسم لعدة مواضع واحد منها على مقربة من مكة ، وفي ابن اسحق ، ٢٣٥ « فخرج حتى كان من مكة على يومين » . انظر معجم ما استعجم .

(٢) هو عند ابن اسحق : ٢٣٥ « رجل من بني الحارث بن عبد مناة بن كنانة ، وكان سيد الاحابيش » .

(٣) أي يزدحمون عليه حتى يسقط بعضهم على بعض حتى يكاد ينكسر .

فإن أحبَّ أن يقتصر على أن يعبد الله في داره فعل ، وإن أبى إلاّ أن يُعلن ذلك ، فاسألْهُ أن يَرُدَّ عليك ذِمّتَك ، فإنا قد كرهنا خفرك ، ولسْنَا مقرِّين لأبي بكر بالاستعلان .

قالت عائشة : فأتى ابن الدُّغُنَّة أبا بكر ، فقال : يا أبا بكر قد علمتَ الذي عقدتُ لك ، إمَّا أن تقتصر على ذلك ، وإمَّا أن ترجع إليَّ ذمتي ، فإني لا أحِبّ أن تسمع العرب أني أخْفِرتُ في عهد رجل عقدت له ، فقال أبو بكر : فإني أرُدّ إليك جِوارك ، وأرضى بجوار الله ورسوله(١) .

ورسول الله ﷺ يومئذٍ بمكة ، فقال رسول الله ﷺ للمسلمين : إني قد رأيت دار هجرتكم ، إني أريت داراً سبخةً ذات نخلٍ ، بين لأبتين ــ وهما الحرّتان(٢) ــ .

فهاجر من هاجر قِبَل المدينة ، حين ذكر رسول الله ﷺ ذلك ، ورجع إلى المدينة بعض من كان هاجر إلى أرض الحبشة من المسلمين .

وتجهَّز أبو بكر رضي الله عنه مهاجراً ، فقال رسول الله ﷺ : على رسلك ، فإني أرجو أن يؤذن لي ، فقال أبو بكر : أترجو ذلك يا نبي الله ؟ قال : نعم ، فحبس أبو بكر نفسه على رسول الله ﷺ لصحبته ، وعلف أبو بكر راحلتين كانتا عنده ورق السَّمُر(٣) أربعة أشهر .

قال الزُهْري : قال عروة : قالت عائشة : فبينا نحن يوماً جلوساً في بيتنا ، في نحر الظهيرة ، قال قائل لأبي بكر : هذا رسول الله ﷺ مُقْبِلاً مقنّعاً رأسه ،

---

(١) الخبر في ابن اسحق : ٢٣٥ ، عن الزهري مع شيء من الخلاف .

(٢) انظر مادة « حرة » في معجم البلدان والمغانم المطابة .

(٣) زاد البخاري في روايته ـ وهو الخبط ـ وقال ابن حجر في شرحه ـ فتح الباري ، ٧/٢٣٥ : ويقال السمر شجرة أم غيلان ، وقيل كل ماله ظل ثخين ، والخبط ما يخبط بالعصا فيسقط من ورق الشجر ، وجاء في النهاية في غريب الحديث لابن الأثير : هو ضرب من شجر الطلح ، الواحدة سمرة ، وتحت واحدة منها تمت بيعة الرضوان ، ولهذا جاء النداء يوم حنين « يا أصحاب السمرة » . انظر أيضا القاموس المحيط .

في ساعة لم يكن يأتينا فيها ، فقال أبو بكر : فداء له أبي وأمي ، إن جاء به في هذه الساعة إلا أمر .

قالت : فجاء رسول الله ﷺ ، فاستأذن ، فأذن له ، فدخل [فقال النبي ﷺ لأبي بكر : أخرج من عندك[1]] فقال أبو بكر : إنما هم أهلك بأبي أنت يا رسول الله ، فقال النبي ﷺ : فإنه قد أذن لي في الخروج ، فقال أبو بكر : فالصحابة ، بأبي أنت يا رسول الله ، فقال النبي ﷺ : نعم ، فقال أبو بكر : فخذ — بأبي أنت يا رسول الله وأمي — إحدى راحلتي هاتين ، فقال رسول الله ﷺ : بالثمن .

قالت عائشة : فجهزناهما أحث الجهاز ، فصنعنا لهما سفرة في جراب[2] ، فقطعت أسماء بنت أبي بكر من نطاقها ، فأوكت[3] به الجراب ، فلذلك كانت تسمى ذات النطاقين ، ثم لحق رسول الله ﷺ وأبو بكر بغار في جبل ، يقال له ثور[4] ، فمكثا فيه ثلاث ليال .

قال مَعْمَر : وأخبرني عثمان الجَزَري أن مقسماً مولى ابن عباس أخبره في قوله (وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ)[5] قال : تشاورت قريش بمكة ، فقال بعضهم : إذا أصبح فأثبتوه بالوثاق ، يريدون النبي ﷺ ، وقال بعضهم : بل اقتلوه ، وقال بعضهم : أن أخرجوه ، فأطلع الله نبيه على ذلك ، فبات [علي] على فراش النبي ﷺ تلك الليلة ، وخرج النبي ﷺ حتى لحق بالغار ، وبات المشركون يحرسون علياً ، يحسبون أنه النبي ﷺ ، فلما أصبحوا ثاروا إليه ، فلما رأوا علياً رد الله مكرهم ، فقالوا : أين صاحبك هذا ؟ قال : لا أدري .

---

(١) زيد ما بين الحاصرتين من صحيح البخاري ، الذي خرج الخبر بتمامه عن الزهري ، مع فوارق لفظية ، انظر فتح الباري : ٧/ ٢٣٠ — ٢٣٣ .

(٢) الجراب : المزود ، أو الوعاء .

(٣) أي ربطت .

(٤) ما زال معروفا ، أسفل مكة .

(٥) الأنفال : ٣٠ .

فاقتصّوا أثره ، فلما بلغوا الجبل اختلط عليهم الأمر ، فصعدوا الجبل ، فمرّوا بالغار فرأوا على بابه نسج العنكبوت ، فقالوا : لو دخل هاهنا لم يكن بنسج العنكبوت على بابه ، فمكث فيه ثلاثاً .

قال مَعْمَر : قال قتادة : دخلوا في دار الندوة يأتمرون بالنبي ﷺ ، فقالوا : لا يدخل معكم أحد ليس منكم ، فدخل معهم الشيطان في صورة شيخ من أهل نجد ، فقال بعضهم : ليس عليكم من هذا عينٌ ، هذا رجل من أهل نجد ، قال : فتشاوروا ، فقال رجل منهم : أرى أن تُركبوه بعيراً ثم تُخرجوه ، فقال الشيطان : بئس ما رأى هذا ، هو هذا قد كان يُفسد ما بينكم وهو بين أظهُركم ، فكيف إذا أخرجتموه فأفسد الناس ، ثم حملهم عليكم ، يقاتلوكم ، فقالوا : نعم ما رأي هذا الشيخ ، فقال قائل آخر : فإني أرى أن تجعلوه في بيت وتُطَيِّنوا عليه بابه ، وتدعوه فيه حتى يموت ، فقال الشيطان : بئس ما رأى هذا ، أفترى قومه يتركونه فيه أبداً ، لا بُدّ أن يغضبوا له فيخرجوه ، فقال أبو جهل : أرى أن تخرجوا من كل قبيلة رجلاً ، ثم يأخذوا أسيافهم ، فيضربونه ضربة واحدة ، فلا يُدري من قتله، فتدُونه، فقال الشيطان : نِعم مارأى هذا[1].

فأطلع الله نبيّه ﷺ على ذلك ، فخرج هو وأبو بكر إلى غار في الجبل ، يقال له ثور ، ونام [عليٌ] على فراش النبي ﷺ ، وباتوا يحرسونه يحسبون أنه النبي ﷺ ، فلما أصبحوا ، قام عليٌ لصلاة الصبح ، بادروا إليه فإذا هم بعلي ، فقالوا : أين صاحبك ؟ قال : لا أدري ، فاقتصّوا أثره ، حتى بلغوا الغار ، ثم رجعوا ، فمكث فيه هو وأبو بكر ثلاث ليال .

قال مَعْمَر : قال الزُهري في حديثه عن عروة : فمكثا فيه ثلاث ليالٍ ،

---

(١) يبدو أن صاحب الدور هذا المعزو للشيطان كان واحدا من شخصيات قريش الكبرى ، اسلم فيما بعد ، وعلت مكانته او مكانة أسرته في الاسلام ، فاقتضى الحال عزو دوره الى الشيطان او الغاء الخبر نهائيا اذا أمكن ، خذ مثالا على هذا دور العباس في مسالة بيعة العقبة الثانية وقارن بين رواية وهب بن منبه الذي عاش في العصر الأموي ورواية ابن اسحق الذي عاصر المنصور العباسي ـ انظر التاريخ عند العرب : ١١٥ ـ ١٣٣ .

يبيت عندهما عبد الله بن أبي بكر ، وهو غلام شاب لقن ، ثقف ، فيخرج[١] من عندهما سحراً ، فيصبح عند قريش بمكة ، كبائت ، فلا يسمع أمراً يُكادان به إلا وعاه ، حتى يأتيهما بخبر ذلك ، حين يختلط الظلام ، ويرعى عليهما عامر بن فُهَيرة مولى أبي بكر مِنْحة من غنم ، فيُريحها عليهما حين تذهب ساعة من الليل ، فيبيتان في رِسلها[٢] ، حتى ينعق بها عامر بن فُهَيرة بغلس ، يفعل ذلك كل ليلة من الليالي الثلاث .

واستأجر رسول الله ﷺ وأبو بكر رجُلاً من بني الدِئْل ، من بني عبد ابن عدي ، هادياً خِرِّيتاً ــ والخِرِّيت : الماهر بالهداية ــ قد غمس[٣] يمين حلف في آل العاص بن وائل ، وهو على دين كفّار قريش ، فأمّناه ، فدفعا إليه راحلتيهما ، وواعداه غار ثور بعد ثلاث ، فأتى غارهما براحلتيهما صبيحة ليالٍ ثلاث ، فارتحلا ، وانطلق معهما عامرُ بن فُهَيرة ، مولى أبي بكر ، والدليل الدِئلي ، فأخذ بهم طريق أذاخر[٤] ، وهو طريق الساحل .

قال مَعْمَر : قال الزُهْري : فأخبرني عبد الرحمن بن مالك المُدْلجي ــ وهو ابن أخي سراقة بن جعشم ــ أن أباه أخبره أنه سمع سراقة ، يقول : جاءتنا رُسُل كفار قريش يجعلون في رسول الله ﷺ وأبي بكر دِيَة كل واحد منهما ، لمن قتلهما أو أسرهما .

قال : فبينا أنا جالس في مجلس من مجالس قومي من بني مُدلج ، أقبل

(١) في رواية صحيح البخاري : فيدلج ، وهي أفضل .

(٢) زاد البخاري في روايته شرحا نصه « وهو لبن منحتهما ورضيفهما » .

(٣) شرح ابن حجر ــ فتح الباري : ٢٣٨/٧ ــ هذه العبارة بقوله : « أي كان حليفا ، وكانوا اذا تحالفوا غمسوا أيمانهم في دم أو خلوق أو شيء يكون فيه تلويث ، فيكون ذلك تأكيدا للحلف » ، وهذا الشرح فيه نظر ، ففي القاموس : اليمين الغموس : هي الكاذبة ، التي يتعمدها صاحبها عالما بأن الأمر خلافه ، وقال ابن الاثير في النهاية : « أي أخذ بنصيب من عقدهم وحلفهم يأمن به » .

(٤) لا يزال معروفا بهذا الاسم ، وهو جبل له ثنيتان تفضيان الى مقابلة قصر السقاف ، انظر كتاب المناسك للحربي : ٤٧٤ .

رجل منهم ، حتى قام علينا ، فقال : يا سراقة ، إني رأيت آنفاً أسْوِدةً[1] بالساحل ، أراها محمداً وأصحابه .

قال سُراقة : فعرفت أنهم هم ، فقلت : إنهم ليسوا بهم ، ولكنك رأيت فلاناً وفلاناً ، انطلقوا بِغاةً[2] .

قال : ثم ما لبثتُ في المجلس إلاّ ساعة حتى قمت ، فدخلت بيتي ، فأمرت جاريتي أن تُخرج لي فرسي ، وهي من وراء أكمة تحبسها عليّ ، وأخذت رمحي ، فخرجت به من ظهر البيت ، فخططت بزُجّي[3] بالأرض ، وخفضت عليّة الرمح ، حتى أتيت فرسي ، فركبتها ، فرفعتها تُقَرّبُ[4] بي ، حتى رأيت أسودتهم ، حتى [إذا][5] دنوت منهم ، حيث يسمعون الصوت ، عثرت بي فرسي ، فخررت عنها ، فقمت فأهويت بيدي إلى كنانتي ، فاستخرجت منها ـ أي الأزلام[6] ـ فاستقسمت بها : أضُرّهم أم لا ؟ فخرج الذي أكره ، لا أضرهم ، فركبت فرسي وعَصَيْتُ الأزلام ، فرفعتها تُقَرّبُ بي أيضاً ، حتى إذا دنوت ، سمعت قراءة رسول الله ﷺ ، وهو لا يلتفت ، وأبو بكر يُكثر الالتفات ، ساخَتْ يدا فرسي في الأرض ، حتى بلغت الركبتين ، فخررت عنها ، فزجرتها ، فنهضت ، فلم تكد تخرج يداها ، فلما استوت قائمةً إذا لأثر يديها عُثان[7] ، ساطع في السماء مثل الدخان .

---

(١) أي أشخاصا .

(٢) أي ينشدون ضالة لهم ، أو أمرا ما .

(٣) الحديدة التي توضع في أسفل الرمح ، وهي عكس السنان .

(٤) يقال « رفعت ناقتي » أي كلفتها المرفوع من السير ، وهو فوق الموضوع ودون العدو ، وقرب تقريبا اذا عدا عدوا دون الاسراع ـ النهاية لابن الاثير .

(٥) أضيف ما بين الحاصرتين كيما يستقيم الكلام ، وكان يمكن الاستغناء عن هذه الاضافة وكتابة عبارة « عثرت » باضافة فاء العطف لاولها أخذا برواية صحيح البخاري .

(٦) سهام خشبية غير مريشة قدح عليها افعل ولا تفعل ومنها ما ترك غفلا ، كانت تطمر تحت الرمل ويستخرج الانسان احداها ليرى ما قسم له بالغيب ـ انظر الخبر في سيرة ابن هشام مع النهاية لابن الاثير وفتح الباري : ٧/٢٤١ .

(٧) ساخت : أي غاصت ، والعثان هو الدخان وزنا ومعنى ، وأكثر ما يستعمل فيما يتبخر به ـ القاموس المحيط ـ المصباح المنير .

قال مَعْمَر : قلت لأبي عمرو بن العلاء : ما العُثان ؟ فسكت ساعةً ثم قال : هو الدخان من غير نار •

قال مَعْمَر : قال الزُهْري في حديثه : فاستقسمت بالأزلام ، فخرج الذي أكره ، « لا أضرهم » ، فناديتهما بالأمان ، فوقفا ، وركبت فرسي حتى جئتهم ، وقد وقع في نفسي حين لقيت منهم ما لقيت من الحبس عنهم ، أنه سيظهر أمر رسول الله ﷺ ، فقلت له : إن قومك جعلوا فيك الدية ، وأخبرتهم من أخبار سفري ، وما يريد الناس بهم ، وعرضت عليهم الزاد والمتاع ، فلم يرزءوني[(١)] شيئاً ، ولم يَسْألوني إلاّ : أنْ أخْفِ عنّا ، فسألته أن يكتب لي كتاب موادعةٍ آمن به ، فأمر عامر بن فُهَيْرة فكتبه لي [في][(٢)] رقعة من أدَم ، ثم مضى •

قال مَعْمَر : قال الزُهْري : وأخبرني عروة بن الزبير أنه لقي الزبير ورَكباً من المسلمين ، كانوا تجاراً لمدينة بالشام ، قافلين إلى مكة ، فعرضوا للنبي ﷺ وأبي بكر ثياب بياض •

يقال : كَسَوْهم : أعطوهم •

وسمع المسلمون بالمدينة بمخرج رسول الله ﷺ ، فكانوا يغدون كل غداة إلى الحرّة ، فينتظرونه حتى يؤذيهم حرّ الظهيرة ، فانقلبوا يوماً بعدما أطالوا انتظاره ، فلما انتهوا إلى بيوتهم ، أوفى رجل من يهود أطُماً[(٣)] من آطامهم لأمر ينظر إليه ، فبصر برسول الله وأصحابه مبيّضين ، يزول بهم السراب[(٤)] ، فلم يتماهل اليهودي أن نادى بأعلى صوته : يا معشر العرب ! هذا جَدّكم[(٥)] الذي

---

(١) أي لم يأخذوا شيئا مما كان معي •

(٢) زيد ما بين الحاصرتين من صحيح البخاري ـ انظر فتح الباري : ٢٣٨/٧ • وانظر التاريخ عند العرب : ١٣٤ ـ ١٤٣ ، حيث عدة روايات لخبرسراقة ، احداها مدروس بشكل نقدي •

(٣) بناء مرتفع كالحصن أو البرج •

(٤) أي مستعجلين تبدو حركتهم للعيان ـ فتح الباري : ٢٤٣/٧ •

(٥) أي عظيمكم الذي تتوقعون السعادة على يديه ، وفي تاريخ خليفة : ١٣/١ « يا بني قيلة هذا جدكم » •

تنتظرونه ، فثـار المسلمون إلى السـلاح ، فلـقـوا رسول الله ﷺ ، حتى أتوه بظاهر الحرّة ، فعدل بهم رسول الله ﷺ ذات اليمين ، حتى نزل في بني عمرو بن عوف ، وذلك يوم الاثنين من شهر ربيع الأول ، فقام أبو[1] بكر يذكر الناس ، وجلس رسول الله ﷺ صامتاً ، وطفق من جاء من الأنصار ، ممن لم يكن رأى رسول الله ﷺ يحسبه أبا بكر ، حتى أصابت رسول الله ﷺ الشمس ، فأقبل أبو بكر حتى ظلـّل عليه بردائه ، فعرف الناس رسول الله ﷺ عند ذلك ، فلبث رسول الله ﷺ في بني عمرو بن عوف بضع عشرة ليلة ، وابتنى المسجد الـذي أسِّسَ على التقوى[2] ، وصلـّى فيه .

ثم ركب رسول الله ﷺ راحلته ، فسار ، ومشى الناس حتى بركت به عند مسجد الرسول ﷺ بالمدينة ، وهو يصلـّي فيه يومئذ رجالٌ من المسلمين ، وكان مربداً[3] للتمر لسهل وسهيل غلامين يتيمين ، أخوين في حجر أبي أمامة أسعد بن زرارة ، من بني النجار ، فقال رسول الله ﷺ حين بركت به راحلته : هذا المنزل إن شاء الله ، ثم دعا رسول الله ﷺ الغلامين ، فساومهما بالمربد ليتخذه مسجداً ، فقالا : بل نهبه لك يا رسول الله ، فأبى النبي ﷺ أن يـَقبله هبةً ، حتى ابتاعه منهما ، وبناه مسجداً ، وطفق رسول الله ﷺ ينقل معهم اللبن[4] في ثيـابه ، وهو يقول :

هذا الحمال لا حمـال خيبر   هـذا أبرّ ربـّنـا وأطهـر

ويقول :

[اللهم][5] إن الأجر أجر الآخرة   فارحم الأنصـار والمهاجره

---

(١) في الاصل « فقام رسول الله ﷺ » وواضح أن عبارة رسول الله ﷺ زائـدة ، انظر صحيح البخاري ـ فتح الباري : ٢٣٩/٧ حيث خرج رواية الزهري هذه مع شيء من الخلاف ببعض الالفاظ .

(٢) انظر قوله تعالى : « لمسجد أسس على التقوى من أول يوم » في سورة التوبة : ١٠٨ .

(٣) هو الموضع الذي يجفف فيه التمر ، والمربد أيضا كل شيء حبست فيه الابل والغنم ـ فتح الباري : ٢٤٦/٧ .

(٤) أي الطوب المجفف بالشمس .

(٥) زيد ما بين الحاصرتين من صحيح البخاري ـ فتح الباري : ٢٤٠/٧ .

يتمثل رسول الله ﷺ بشعر رجل من المسلمين لم يُسمَّ لي ، ولم يبلغني في الأحاديث أن رسول الله ﷺ تمثل ببيتٍ قط من شعر تام ، غير هؤلاء الأبيات[1]، ولكن كان يرجزهم لبناء المسجد •

فلما قاتل رسول الله ﷺ كفّار قريش ، حالت الحرب بين مهاجرة أرض الحبشة وبين القدوم على رسول الله ﷺ ، حتى لقوه بالمدينة زمن الخندق ، فكانت أسماء بنت عُميس[2] تحدّث أن عمر بن الخطاب كان يُعَيّرهم بالمكث في أرض الحبشة ، فذكرت ذلك ــ زعمت أسماءُ ــ لرسول الله ﷺ ، فقال رسول الله ﷺ : لستم كذلك •

وكان أول آية أنزلت في القتال (أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا وَإِنَّ اللهَ عَلَى نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ)[3] •

* * *

(١) نقل ابن حجر في فتح الباري : ٧/٢٤٧ « أنكر على الزهري هذا من وجهين : احدهما انه رجز وليس بشعر ، •••• والوجه الثاني : أن العلماء اختلفوا هل ينشد النبي ﷺ شعرا أم لا » ثم تابع ابن‌حجر عرض هذه المسالة بما فيه فوائد لغوية كبيرة وغير لغوية ، فلينظر •

(٢) هاجرت مع زوجها جعفر بن أبي طالب ، وولدت له بارض الحبشة عبد الله بن جعفر ــ انظر ابن اسحق : ٢٢٦ •

(٣) الحج : ٣٩ •

حديث الثلاثة الذين خلفوا

عبد الرزاق عن مَعْمَر عن الزُهْري قال : أخبرني [عبد الرحمن بن عبد الله بن][1] كعب بن مالك عن أبيه ، قال : لم أتخلف عن النبي ﷺ في غزاة غزاها ، حتى كانت غزوة تبوك ، إلاّ بَدْراً ، ولم يعاتب النبي ﷺ أحداً تخلّف عن بدر ، إنما خرج يريد العير ، فخرجت قريش مُغَوِّثين لِعيرِهم ، فالتقوا عن غير موعد ، كما قال الله[2] ، ولعمري إن أشرف مشاهد رسول الله ﷺ في الناس لبدر ، وما أحِبّ أني كنت شهدتها مكان بَيْعَتي ليلة العقبة ، حيث تواثقنا[3] على الإسلام ، ثم لم أتخلّف بعدُ عن النبي ﷺ في غزاة غزاها ، حتى كانت غزوة تبوك ، وهي آخر غزوة غزاها ، وآذن النبي ﷺ الناس بالرحيل ، وأراد أن يتأهّبوا أهْبَةَ غزوهم ، وذلك حين طاب الظلال ، وطابت الثمار ، وكان قلّ ما أراد غزوة إلاّ وارى خبرها[4] ، وكان يقول : الحرب خدعة ، فأراد النبي ﷺ في غزوة تبوك أن يتأهّب الناس أهْبَةً ، وأنا أيسر ما كنت ، قد جمعت راحلتيّ[5] ، وأنا أقدر شيءٍ في نفسي على الجهاد وخفّة الحاذ[6] ، وأنا في ذلك أصغو[7] إلى الظلال ، وطيب الثمار ، فلم أزل كذلك ، حتى قام النبي ﷺ

---

(١) زيد ما بين الحاصرتين من صحيح البخاري ـ فتح الباري : ٨/١١٣ ، ٣٤٢ ، علما بأن الامام احمد خرج هذا الحديث عن الزهري في مسنده : ٦/٣٨٧ ، وعنده « الزهري عن عبد الرحمن بن كعب بن مالك عن أبيه » .

(٢) في سورة الأنفال : ٧ : « واذ يعدكم الله احدى الطائفتين أنها لكم » .

(٣) في مسند الامام أحمد : ٦/٣٨٧ « توافقنا » .

(٤) في مسند الامام أحمد : ٦/٣٨٧ « الا ورى غيرها » .

(٥) في المسند « راحلتين » .

(٦) أي أني أقدر شيء على تحمل مؤنة العيال .

(٧) أي أميل .

غادياً بغداة[1] ، وذلك يوم الخميس [وكان يحب أن يخرج يوم الخميس][2] ، فأصبح غادياً ، فقلت : أنطلق غداً إلى السوق ، فأشتري جهازي ، ثم ألحقهم[3]، فانطلقت إلى السوق من الغد ، فعسّر عليَّ بعض شأني [فرجعت] ، فقلت : أرجع غداً إن شاء الله ، [فألحق بهم فعسر عليّ بعض شأني] أيضا [4] فلم أزل كذلك حتى التبس بي الذنب ، وتخلّفت عن رسول الله ﷺ ، فجعلت أمشي في الأسواق وأطوفُ بالمدينة ، فيحزنني أني لا أرى أحداً تخلف إلاّ رجلاً مغموصاً عليه في النفاق[5] ، وكان ليس أحدٌ تخلّف إلا رأى أن ذلك سيخفى له ، وكان الناس كثيراً لا يجمعهم ديوان ، وكان جميع من تخلّف عن النبي ﷺ بضعة وثمانين رجلاً ، ولم يذكرني النبي ﷺ حتى بلغ تبوكاً ، فلما بلغ تبوكاً ، قال : ما فعل كعب بن مالك ؟ فقال رجل من قومي: خلفه يا رسول الله بُرداه والنظر في عطفيه ، فقال معاذ بن جبل : بئس ما قلت ، والله يا نبي الله ، ما نعلم [عليه][6] إلاّ خيراً .

قال : فبينا هم كذلك ، إذا هم برجل يزول به السراب ، فقال النبي ﷺ : كن أبا خيثمة ، فإذا هو أبو خيثمة .

قال : فلما قضى النبي ﷺ غزوة تبوك ، وقفل ودنا من المدينة ، جعلتُ أنظر بماذا أخرج من سخط[7] النبي ﷺ ، واستعين على ذلك بكل ذي رأي من أهلي ، حتى إذا قيل : النبي ﷺ هو مُصبّحكم غداً بالغداة ، زاح عني الباطل ، وعرفت أني لا أنجو إلاّ بالصدق .

---

(١) في المسند : بالغداة .

(٢) زيد من المسند

(٣) في المسند « الحق بهم » .

(٤) في الأصل : « علي بعض شأني أيضا ، فقلت أرجع غدا ان شاء الله ، فلم ازل كذلك » ، وقد تم التقويم ، وزيد ما بين الحواصر من المسند .

(٥) أي مطعونا في دينة ، متهما بالنفاق .

(٦) ليست في المسند .

(٧) في المسند « سخطة » .

فدخل النبي ﷺ ضحىً ، فصلى في المسجد ركعتين ، وكان إذا جاء من سفر فعل ذلك ، دخل المسجد فصلى فيه ركعتين ، ثم جلس ، فجعل يأتيه من تخلف فيحلفون له ، ويعتذرون إليه ، فيستغفر لهم ، ويقبل علانيتهم ، ويَكِلُ سرائرهم إلى الله ، فدخلت المسجد ، فإذا هو جالس ، فلما رآني تبسَّم تَبَسُّمَ المُغضب، فجئت فجلست بين يديه ، فقال : ألم تكن ابْتَعت ظهرك ؟ فقلت : بلى ، يا نبي الله ، قال : فما خَلَّفك ؟ فقلت : والله لو بين [يدي][1] أحدٍ غيرك من الناس جلست ، لَخرجت من سخطه عليَّ بعذر ، لقد أوتيتُ جَدَلاً ، ولقد علمتُ يا نبيَّ الله ، أني إن أخبرتك اليوم بقول تجد عليَّ فيه وهو حق ، فإني أرجو فيه عفو الله ، وإن حدثتك اليوم حديثاً ترضى عنه فيه ، وهو كذب ، أوشك أن يطلعك الله عليه •

والله يا نبي الله ، ما كنت قط أيْسَر ، ولا أخفَّ حاذاً مني حيث تخلَّفت عنك ، قال : أمَّا هذا فقد صدقكم الحديث ، قم حتى يقضي الله فيك ، فقمت ، فثار بي على أثري أناس من قومي يؤنِّبونَّي ، فقالوا : والله ما نعلمك أذنَبْت ذنباً قطُّ قبل هذا ، فهلاَّ اعتذرت إلى نبي الله ﷺ بعذر رضي عنك فيه ، وكان استغفار رسول الله ﷺ سيأتي من وراء ذنبك ، ولم تَقِفْ [نفسك][2] موقفاً لا تَدري ما يُقضى لك فيه ، فلم يزالوا يؤنِّبونَّي ، حتى هممت أن أرجع فأُكَذِّب نفسي •

فقلت : هل قال هذا القول أحد غيري ؟ قالوا : نعم ، قاله هلال بن أمية ، ومُرَارة بن ربيعة[3] ، فذكروا رجلين صالحين قد شهدا بدراً ، لي فيهما أُسْوَة، فقلت : لا ، والله لا أرجع إليه في هذا أبداً ، ولا أُكَذِّب نفسي •

قال : ونهى النبي ﷺ الناس عن كلامنا أيها الثلاثة ، قال : فجعلت أخرج

---

(١) زيادة من المسند •

(٢) زيد من المسند •

(٣) في المسند : « يعني ابن ربيعة » وفي صحيح البخاري « ابن الربيع » وهو أصح • انظر فتح الباري : ١١٤/٨ •

إلى السوق فلا يكلمني أحد ، وتنكر لنا الناس ، حتى ما هم بالذي نعرف ، وتنكرت لنا الحيطان ، حتى ما هي بالحيطان التي تعرف لنا ، وتنكرت لنا الأرض ، حتى ما هي بالأرض التي نعرف ، وكنت أقوى الناس[1] ، فكنت أخرج في السوق ، فآتي المسجد فأدخل ، وآتي النبي ﷺ فأسلم عليه ، فأقول : هل حرك شفتيه بالسلام ، فإذا قمت أصلي إلى سارية فأقبلت قبل صلاتي ، نظر إلي بمؤخر عينيه ، وإذا نظرت إليه أعرض عني ٠

قال : واستكان صاحباي ، فجعلا يبكيان الليل والنهار ، لا يطلعان رؤوسهما ، فبينا أنا أطوف في السوق ، إذا رجل نصراني ، جاء بطعام له يبيعه ، يقول : من يدلني على كعب بن مالك ؟ قال : فطفق الناس يشيرون له إلي ، فأتاني ، وأتاني بصحيفة من ملك غسان[2] ، فإذا فيها « أما بعد : فإنه بلغني أن صاحبك قد جفاك وأقصاك ، ولست بدار مضيعة ولا هوان ، فالحق بنا نواسك » قال : فقلت : هذا أيضاً من البلاء والشر ، فسجرت بها التنور ، فأحرقتها فيه ، فلما مضت أربعون ليلة[3] ، إذا رسول من النبي ﷺ قد أتاني ، فقال : اعتزل امرأتك ، فقلت : أطلقها ؟ قال : لا ، ولكن لا تقربها ، قال : فجاءت امرأة هلال بن أمية ، فقالت : يا نبي الله ، إن هلال بن أمية شيخ كبير ضعيف ، فهل تأذن لي أن أخدمه ؟ قال : نعم ، ولكن لا يقربك ، قالت : يا نبي الله ، والله ما به من حركة لشيء ، ما زال مكباً يبكي الليل والنهار ، منذ كان من أمره ما كان ٠

قال كعب : فلما طال علي البلاء اقتحمت على أبي قتادة [حائطه ، وهو

---

(١) في المسند « اصحابي » وفي صحيح البخاري « واما أنا فكنت أشب القوم وأجلدهم » ـ فتح الباري : ١١٥/٨ ٠

(٢) في مغازي الواقدي : ١٠٥١/٣ : « فدفع الي كتابا من الحارث بن أبي شمر ملك غسان ، او قال : من جبلة بن الأيهم » ، انظر فتح الباري : ١٢١/٨ ٠

(٣) في صحيح البخاري : « أربعون ليلة من الخمسين » انظر فتح الباري : ١١٥/٨ ٠ مغازي الواقدي : ١٠٥٢/٣ ٠

ابن عمي ، فسلّمت عليه ، فلم يردّ عليّ ، فقلت : أنشدك الله يا أبا قتادة][1]
أتعلم أني أحبّ الله ورسوله ؟ فسكتَ ثم قلتُ : أنشدك الله يا أبا قتادة ، أتعلم أني أحِبّ الله ورسوله ؟ فسكت ، ثم قلت : أنشدك الله يا أبا قتادة ، أتعلم أني أحب الله ورسوله ؟ قال : الله ورسوله أعلم ، قال : فلم أملك نفسي أن بكيت ، ثم اقتحمت الحائط خارجاً ، حتى إذا مضت خمسون ليلة من حين نهى النبي ﷺ عن كلامنا ، صلّيتُ على ظهر بيتٍ لنا صلاة الفجر ، ثم جلست ، وأنا في المنزلة التي قال الله (وَضَاقَتْ عَلَيْهِمُ الأرْضُ بِمَا رَحُبَتْ وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أنْفُسُهُمْ)[2] إذ سمعت نداءً من ذِروة سَلع[3] : أن أبْشِرْ يا كعب بن مالك ، فخررت ساجداً ، وعرفت أن الله قد جاءنا بالفرج ، ثم جاء رجل يركض على فرس يُبَشّرني ، فكان الصوت أسرع من فرسه ، فأعطيته ثوبَيّ بِبشارة ، ولبست ثوبين آخرين[4] .

قال : وكانت أم سلمة محسنة[6] في شأني ، تحزن بأمري ، فانطلقت

قال : وكانت توبتنا نزلت على النبي ﷺ ثلث الليل ، فقالت أمّ سلمة : يا نبي الله ، ألا نُبَشّر كعب بن مالك ؟ قال : إذاً يحطمكم[5] الناس ، ويمنعونكم النوم سائر الليلة .

إلى النبي ﷺ ، فإذا هو جالس في المسجد ، وحوله المسلمون ، وهو يستنير كاستنارة القمر ، وكان إذا سُرّ بالأمر استنار ، فجئتُ ، فجلست بين يديه ، فقال : أبْشِرْ يا كعب بن مالك ، بخير يوم أتى عليك منذ ولدتك أمّك ، قال : قلت : يا نبي الله ، أمرٌ من عند الله ، أم من عندك ؟ قال : بل من

---

(١) زيد ما بين الحاصرتين من المسند .

(٢) التوبة : ١١٨ .

(٣) جبيل بسوق المدينة ـ المغانم المطابة .

(٤) في صحيح البخاري ـ فتح الباري : ٨/١١٥ : « نزعت له ثوبيّ ، فكسوته اياهما ببشراه ، والله ما أملك غيرهما يومئذ ، واستعرت ثوبين فلبستهما » .

(٥) أي يزدحم عليكم الناس .

(٦) في المسند « محسنة محتسبة » .

عنـد الله ، ثـم تـلا عليهـم (لَقَدْ تَابَ اللهُ عَلَى النَّبِيِّ والمُهَاجِرِينَ وَالأَنْصَارِ) حتى بلـغ (التَّوَّابُ الرَّحِيمُ) ، قـال : وفينـا أنزلت أيضـاً (اتَّقُوا اللهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ)(١) ، قال : قلت : يا نبي الله إن من توبتي إذاً ألاّ أحدّث إلاّ صدقاً ، وأن أنخلع من مالي كله صدقة إلى الله والى رسوله ، فقال : أمسك عليك بعض مالك ، فهو خير لك ، فقلت : إني أمسك سهمي الذي بخيبر .

قال : فما أنعم الله عليّ نعمةً بعد الإسلام ، أعظم في نفسي ، مِن صدقي رسولَ الله ﷺ ، حين صدقته أنا وصاحباي ، إلاّ أن(٢) نكون كذبناه ، فهلكنا، كما هلكوا ، وإني لأرجو ألا يكون الله عزّ وجل ابتلى أحداً في الصدق ، مثـل الذي ابتلاني ، ما تعمدت لكذبة بعد ، وإني لأرجو أن يحفظني الله فيما بقي .

قال الزُهري : فهذا ما انتهى إلينا من حديث كعب بن مالك .

مَنْ تَخَلَّفَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ فِي غَزْوَةِ تَبُوك

عبد الرزاق عن مَعْمَر قال : أخبرني قتادة وعلي بن زيد بن جُدْعان أنهما سمعا سعيد بن المسيّب يقول : حدثني سعد بن أبي وقاص أن رسول الله ﷺ لما خرج إلى تبوك استخلف علينا إلى المدينة عليّ بن أبي طالب ، فقـال : يا رسول الله ، ما كنت أحبّ أن تخرج وجهاً إلاّ وأنا معك ، فقال : أمَا ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى ، غير أنه لا نبي بعدي(٤) .

قال مَعْمَر : فأخبرني الزُهري قال : كان أبو لبابـة ممن تخلف عن رسول الله ﷺ في غزوة تبوك ، فربط نفسـه بسارية ، ثم قال : والله لا أحلّ

(١) التوبة : ١١٧ ـ ١١٩ .

(٢) في المسند : أن لا نكون كذبنا .

(٣) هي الآن من أشهر مدن شمال المملكة العربية السعودية ـ انظر أيضا المغانم المطابة ، وكانت غزوة تبوك في سنة تسع للهجرة ـ انظر تاريخ خليفة : ٦٤/١ .

(٤) الخبر في صحيح البخاري مع خلاف بالالفاظ ـ انظر فتح الباري : ١١٢/٨ .

نفسي منها ، ولا أذوق طعاماً ولا شراباً ، حتى أموت ، أو يتوب الله عليّ ، فمكث سبعة أيام لا يذوق فيها طعاماً ولا شراباً ، حتى كان يخرّ مغشياً عليه ، قال : ثم تاب الله عليه ، فقيل له : قد تِيبَ عليك يا أبا لبابة ، فقال : والله لا أحُلّ نفسي حتى يكون رسول الله ﷺ يَحُلّني بيده ، قال : فجاء النبي ﷺ فحلّه بيده ، ثم قال أبو لُبابة : يا رسول الله ، إن من توبتي أن أهجر دار قومي التي أصبتُ فيها الذنب ، وأن أنخلع من مالي كله صدقةً إلى الله وإلى رسوله ، قال : يُجْزيك الثلث يا أبا لبابة .

عبد الرزاق عن مَعْمَر قال : أخبرني الزُهْري قال : أخبرني ابن كعب بن مالك ، قال : أوّل أمر عتب على أبي لُبابة أنه كان بينه وبين يتيم عَذْق[1] ، فاختصما إلى النبي ﷺ ، فقضى به النبي ﷺ لأبي لُبابة ، فبكى اليتيم ، فقال النبي ﷺ : دَعْهُ له ، فأبى ، قال : فأعطه إيّاه ولَكَ مثله في الجنــة ، فأبى ، فانطلق ابنُ الدحداحة ، فقال لأبي لبابة : بِعْنِي هذا العذق بحديقتين ، قال : نعم ، ثم انطلق [إلى] النبي ﷺ فقال : يا رسول الله ، أرأيت إن أعطيت هــذا اليتيم هذا العذق ألي مثلة في الجنة ؟ قال : نعم ، فأعطاه إياه ، قال : فكان النبي ﷺ يقول : كم من عذق مُذلّل[2] لابن الدحداحة في الجنة .

قال : وأشار إلى بني قُريظة حين نزلوا على حكم سعد ، فأشار إلى حلقه ، [هو][3] الذبح ، وتخلف عن النبي ﷺ في غزوة تبــوك ، ثم تاب الله عليــه بعد ذلك[4] .

---

(١) العذق : النخلة .

(٢) مذلل أي ثمارها دانية سهل اجتناؤها ، وجاء الحديث في النهاية لابن الأثير : ١٦٦/٢ ، ١٩٩/٣ ، وعنده « أبو الدحداح » .

(٣) زيد ما بين الحاصرتين من مغازي الواقدي : ٥٠٦/٢ .

(٤) انظر مغازي الواقدي : ٥٠٥/٢ ـ ٥٠٧ ، حيث الخبر عن الزهري ، وعنده « ابن الدحداحة » .

حديث الأوس والخزرج

عبد الرزاق عن مَعْمَر عن الزُّهْري عن عبد الرحمن بن كعب بن مالك قال : إن مما صنع الله لنبيّه أن هذين الحيّين من الأنصار ـ الأوس والخزرج ـ كانا يتصاولان في الإســلام كتصاول الفحلين ، لا تصنع الأوس شيئاً إلاّ قالت الخزرج : والله لا تذهبون به أبداً ، فضلاً علينا في الإسلام ، فإذا صنعت الخزرج شيئاً ، قالت الأوس مثل ذلك .

فلما أصابت الأوس كعب بن الأشرف[1] ، قالت الخزرج : والله لا ننتهي حتى نُجْزِيء عن رسول الله ﷺ مثل الذي أجزءوا عنه فتذاكروا أوزن رجل من اليهود ، فاستأذنوا النبي ﷺ في قتله ، وهو سلاّم بن أبي الحُقيق الأعـور ، أبو رافع ، بخيبر ، فأذن لهم في قتله ، وقال : لا تقتلوا وَليداً ، ولا امرأة ، فخرج إليه رهط[2] فيهم عبد الله بن عَتيك ، وكان أمير القوم ، أحـد بني سلمة[3] ، وعبد الله بن أنَيْس ، ومسعود بن سنان ، وأبو قتادة ، وخُزاعيّ بن أسود[4] ، رجل من أسلم ، حليف لهم ، ورجل آخر يقال له فلان بن سلمة ، فخرجوا حتى جاءوا خيبر ، فلما دخلوا البلد عمدوا إلى كل بيت منها ، فغلّقوه من خارجه على

---

(١) كان قتله على رأس خمســة وعشرين شهرا من الهجــرة ، في ربيع الاول ، انظر مغازي الواقدي : ١/١٨٤ .

(٢) خرجوا ليلة الاثنين في السحر ، لاربع خلون من ذي الحجة ، على راس ستة واربعين شهرا من الهجرة ، وغابوا عشرة أيام . مغازي الواقدي : ١/٣٩١ .

(٣) كانت أم عبد الله بن عتيك بخيبر يهودية ـ مغازي الواقدي : ١/٣٩١ .

(٤) هو في مغازي الواقدي : ١/٣٩١ « الاسود بن خزاعي » .

أهله[1] ، ثم أسندوا إليه[2] في مشربة له في عجلة[3] من نخل ، فأسندوا فيها حتى ضربوا عليه بابه ، فخرجت إليهم امرأته ، فقالت : ممن أنتم ؟ فقالوا : نفر من العرب أردنا المِيرة ، قالت : هذا الرجل فادخلوا عليه ، فلما دخلوا عليه أغلقوا عليهم وعليهما الباب ، ثم ابتدروه بأسيافهم ، قال قائلهم : والله ما دَلَّني عليه إلاّ بياضه ، على الفراش ، في سواد الليل ، كأنّه قُبْطِيَّة[4] مُلْقاة ، قال : وصاحت بنا امرأته ، قال : فيرفع الرجل مِنّا السيف ليضربها به ، ثم يذكر نهي النبي ﷺ ، قال : ولولا ذلك فرغنا منها بليل قال : وتحامل عبد الله بن أنَيْس بسيفه في بطنه حتى أنفذه ، وكان سيء البصر ، فوقع من فوق العجلة ، فوُثِيَتْ[5] رجله وَثْياً مُنكراً .

قال : فنزلنا ، فاحتملناه ، فانطلقنا به معنا ، حتى انتهينا إلى منهر[6] عين من تلك العيون ، فمكثنا فيه ، قال : وأوقدوا النيران ، وأشعلوها في السعف ، وجعلوا يلتمسون ، ويشتدّون ، وأخفى الله عليهم مكاننا ، قال : ثم رجعوا .

قال : فقال بعض أصحابنا : أنذهب فلا ندري أمات عدوّ الله أم لا ؟ قال : فخرج رجل منا حتى حشر في الناس فدخل معهم ، فوجد امرأته مُكِبّة وفي يدها المصباح ، وحوله رجال يهود ، فقال قائل منهم : أما والله لقد سمعت صوت ابن عتيك ، ثم أكذبت نفسي ، فقلت : وأنّى ابن عتيك بهذه البلاد ؟ فقالت

(١) كان من عادة يهود خيبر أن لا يغلقوا عليهم أبوابهم . انظر مغازي الواقدي : ٣٩٢/١ .

(٢) أي صعدوا ، وعند ابن اسحق ـ الروض الأنف : ٢٩٥/٣ : « وكان في علية له » ومعروف أن المشربة هي العلية .

(٣) العجلة ، أن ينقر الجذع ويجعل فيه مثل الدرج ليصعد عليه .

(٤) القبطية : الثوب من ثياب مصر رقيقه بيضاء ، وفي مغازي الواقدي : ٣٩٢/١ « قطنية » ، وهو تصحيف ، انظر النهاية لابن الأثير : ٦/٤ .

(٥) أي انخلعت أو انكسرت ، ووقع عند ابن اسحق ـ الروض الأنف : ٢٩٥/٣ ، والبخاري ـ فتح الباري : ٣٤٠/٧ ـ ٣٤٢ ، أن الذي حدث له ذلك هو « عبد الله بن عتيك » ، وعند الواقدي : ٣٩٣/١ « أبو قتادة » .

(٦) أي مجرى .

شيئاً ، ثم رفعت رأسها ، فقالت : فاظ وإله يهود ، ـ تقول : مات ـ قال : فما سمعت كلمة كانت ألذّ منها إلى نفسي .

قال : ثم خرجت ، فأخبرت أصحابي أنه قد مات ، فاحتملنا صاحبنا فجئنا إلى رسول الله ﷺ ، فأخبرناه بذلك ، قال : وجاءوه يوم الجمعة ، والنبي ﷺ يومئذٍ على المنبر يخطب ، فلما رآهم قال : أفلحت الوجوه(١) .

* * *

(١) وقد ردوا عليه بقولهم : « أفلح وجهك يا رسول الله » ثم قال النبي ﷺ : « اقتلتموه ؟ قلنا : نعم ، وكلنا يدعي قتله ، قال : عجلوا علي بأسيافكم ، فأتينا بأسيافنا ، ثم قال : هذا قتله ، هذا أثر الطعام في سيف عبد الله بن أنيس » ، وكان ابن أبي الحقيق من أكبر تجار الحجاز ، وهو الذي أسهم بشكل فعال في اثارة الأحزاب وتمويلهم في حملتهم المعروفة بغزوة الخندق ـ انظر مغازي الواقدي : ١/٣٩١ ـ ٣٩٥ .

حَدِيثُ الإفك

عبد الرزاق عن مَعْمَر عن الزُّهْري قال : أخبرني سعيد بن المسيّب ، وعروة بن الزبير ، وعلقمة بن وقاص ، وعبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود عن حديث عائشة زوج النبي ﷺ حين قال لها أهل الإفك ما قالوا ، قال : فبرّأها الله ، وكلّهم حدّثني بطائفة من حديثها ، وبعضهم كان أوعى لحديثها من بعض ، وأثبت له اقتصاصا ، وقد وعيت عن كل واحد منهم الحديث الذي حدثني [عن عائشة][1] وبعض حديثهم يُصَدّق بعضاً .

ذَكروا أن عائشة زوج النبي ﷺ قالت : كان رسول الله ﷺ إذا أراد أن يخرج سفراً[2] ، أقرع بين نسائه ، فأيّتهن خرج سهمها خرج بها رسول الله ﷺ معه .

قالت عائشة : فأقرع بيننا في غزاة غزاها[3] ، فخرج فيها سهمي ، فخرجت مع رسول الله ﷺ ، وذلك بعد ما أنزل الله علينا الحجاب[4] ، وأنا أحمل في هودجي ، وأنْزل فيه ، فسرنا حتى إذا فرغ رسول الله ﷺ من غزوه ، قفل ، ودنونا من المدينة ، آذن ليلةً بالرحيل ، فقمت حين آذنوا بالرحيل ، فمشيت ، حتى جاوزت الجيش ، فلما قضيت شأني ، أقبلت إلى رحلي [فلمست صدري][5]

(١) زيد ما بين الحاصرتين من صحيح البخاري حيث خرج رواية الزهري هذه ، انظر فتح الباري : ٤٣١/٧ .

(٢) في البخاري : « اذا أراد سفرا » .

(٣) هي غزوة المريسع ــ بنو المصطلق ــ في شعبان سنة ست للهجرة ــ الروض الأنف : ٤/٦ـ٩ .

(٤) انظر سورة الأحزاب : ٢٨ ــ ٣٤ ، ٥٣ .

(٥) زيد ما بين الحاصرتين من البخاري .

فإذا عقد لي من جزع(١) ظفار قد انقطع ، [فرجعت] فالتمست عِقدي ، فحبَسَني ابتغاؤه .

وأقبلَ الرهط الذين كانوا يَرْحلون بي ، فحملوا الهودج ، فرَحَلوه على بعيري الذي كنت أركب ، وهم يحسبون أني فيه ـ قال : وكانت النساء إذ ذاك خِفافاً ، فلم يهبلن(٢) ، ولم يغشهُنّ اللحمُ ، إنما يأكُلنَ العُلقة(٣) من الطعام ـ فلم يستنكر القوم ثقل(٤) الهودج حين رَحَلوه ، ورفعوه ، وكنتُ جارية حديثة السن ، فبعثوا(٥) الجمل وساروا به ، ووجدت عقدي بعدما استمر الجيش ، فجئت منازلهم ، وليس بها داعٍ ولا مجيب ، فتيمّمت منزلي الذي كنت فيه ، وظننت أن القوم سيفقدُونّي ، فيرجعون إليّ .

فبينا أنا جالسة في منزلي ، غلبتني عيناي ، فنمت ، حتى أصبحت ، وكان صفوان بن المعطّل السُلمي ، ثم الذكواني ، قد عرّس(٦) من وراء الجيش ، فادّلج ، فأصبح عندي ، فرأى سواد إنسان نائم ، فأتاني ، فعرفني حين رآني ، وقد كان رآني قبل أن يُضرب عليّ الحجاب ، فما استيقظت إلاّ باسترجاعه حين عرفني ، فخمّرْتُ وجهي بجلبابي ، ووالله ما كلّمني كلمة غير استرجاعه [وهوى](٧) حتى أناخ راحلته ، فوطىء على يديها [فقمت إليها](٧) ، فركبتُها ، فانطلق يقود بي الراحلة ، حتى أتينا الجيش بعدما نزلوا موغرين(٨) في نحر الظهيرة .

---

(١) الجزع نوع من انواع حجر العقيق ، وظفار مدينة معروفة باليمن .

(٢) اي لم يثقلن .

(٣) أي القليل .

(٤) في البخاري : خفة الهودج .

(٥) جاء في مغازي الواقدي : ٤٢٨/٢ قول عائشة أم المؤمنين : « وكنت قبل لا اتكلم اذ اكون عليه ـ الجمل ـ فلم ينكروا شيئا » .

(٦) اي نزل آخر الليل للاستراحة ، وجاء في مغازي الواقدي : ٤٢٨/٢ : « وكان صفوان .... على ساقة الناس من ورائهم » ، انظر أيضا النهاية لابن الاثير ، والقاموس المحيط .

(٧) زيد ما بين الحاصرتين من صحيح البخاري .

(٨) وقت الوغرة هو وقت شدة الحر .

فهلك من هلك في شأني ، وكان الذي تولّى كبره عبد الله بن أبَيّ بن سلول[١] ، فقدمتُ المدينة فاشتكيت حين قدمنها شهراً ، والناس يخوضون في قول أهل الإفك ، ولا أشعر بشيء من ذلك ، وهو يريبني في وجعي ، أني لا أعرف من رسول الله ﷺ اللطف الذي كنت أرى منه حين أشتكي ، إنما يدخل [عليّ] رسول الله ﷺ فيسلّم ، ويقول : كيف تيكم ؟

فذلك يُريبني ولا أشعرُ [بالشر] ، حتى خرجت بعدما نَقِهْتُ ، وخرجتْ معي أم مِسطح قبل المناصع[٢] ، وهو متبرّزنا ، وكنا لا نخرج إلاّ ليلاً إلى ليلٍ ، وذلك قبل أن تتّخذ الكُنُف قريباً من بيوتنا ، فانطلقت أنا وأم مِسْطَح ، وهي ابنة أبي رُهْم بن عبد المطلب[٣] بن عبد مناف ، وأمها ريطة بنت صخر[٤] بن عامر ، خالةُ أبي بكر الصديق[٥] ، وابنها مِسْطَح[٦] بن أثاثة ابن عباد بن المطلب بن عبد مناف .

فأقبلتُ أنا وابنة أبي رُهْم قِبَل بيتي ، حين فرغنا من شأننا ، فعثرت أم مِسْطَح في مِرطها فقالت : تَعِس مِسْطَح ، فقلت لها : بئس ما قلتِ ، أتسُبّين رجلاً شهد بدراً ، قالت : أي هنتاه[٧] ! أوَ لم تسمعي ما قال ؟ قالت : قلت : وماذا قال ؟.

قالت : فأخبرتني بقول أهل الإفك ، فازددت مرضاً إلى مرضي ، فلما رجعت إلى بيتي ، دخل عليّ رسول الله ﷺ ، فسلّم ، ثم قال : كيف تيكم ؟ قلت : أتأذنُ

---

(١) زاد البخاري في روايته استطرادا : « قال عروة : أخبرت أنه كان يشاع ويتحدث به عنده فيقره ويستمعه ويستوشيه » .

(٢) هي المواضع التي يتخلى فيها لقضاء الحاجة ـ النهاية لابن الأثير .

(٣) في صحيح البخاري : ابن المطلب ، وفي نسب قريش لمصعب الزبيري : ٩٥ ، موافق لما جاء هنا في الأصل .

(٤) في الأصل « وأمها أم صخر » والتقويم من كتاب نسب قريش : ٩٥ .

(٥) أم الصديق هي أم الخير بنت صخر ، انظر نسب قريش : ٩٥ .

(٦) مسطح هو لقبه واسمه عوف ـ انظر جمهرة انساب العرب : ٧٣ .

(٧) أي يا هذه ، أو يا بلهاء ـ النهاية لابن الأثير .

لي أن آتي أبَوَيّ ؟ قالت : وأنا حينئذٍ أريد [أن][1] أتيَقَّن الخبر من قبلهما ، فأذن لي رسول الله ﷺ ، فجئت أبَوَيّ ، فقلت لأمي[2] : يا أمّه ، ما يتحدّث الناس ؟ فقالت : أي بنيةُ هوّني عليك ، فوالله لقلّما كانت امرأة قط وَضِيئَةً عند رجل يُحبّها ولها ضرائر ، إلاّ أكثرن عليها ، قلت : سُبْحان الله، أوَ قد تحدّث الناس بهذا ؟ قالت : نعم .

قالت : فبكيت تلك الليلة لا يرقأ لي دمع ، ولا أكتحل بنوم ، ثم أصبحت أبكي، ودعا رسول الله ﷺ عليَّ بن أبي طالب، وأُسامة بن زيد، حين استلبث[3] الوحي ، يستشيرهما في فراق أهله .

قالت : فأمّا أسامة فأشار على رسول الله ﷺ بالذي يعلم من براءة أهله ، وبالذي يعلم في نفسه من الوُدّ لهم ، فقال : يا رسول الله ، هم أهلُك ، ولا نعلم إلاّ خيراً ، وأمّا علي فقال : لم يضيق الله عليك ، والنساءُ سواها كثير ، وإن تسأل الجارية تَصْدُقك[4] ، قالت : فدعا رسول الله ﷺ بريرة[5] ، فقال : أيْ بريرة ، هل رأيت من شيء يُريبكِ من أمر عائشة ؟ فقالت له بريرة : والذي بعثك بالحق إن رأيتُ عليها أمراً قط أغمصه[6] عليها أكثر من أنها جارية حديثة السن ، تنام عن عجين أهلها ، فتأتي الداجن فتأكله .

---

(١) زيادة من صحيح البخاري .

(٢) هي أم رومان واسمها زينب بنت عبد دهمان ـ احد بني فراس بن غنم ـ الروض الأنف : ٤/١٠.

(٣) أي استبطأ النبي نزوله .

(٤) كان هذا الموقف احدى خلفيات معركة الجمل ، هذا وقد استغل بنو أمية أثناء خلافتهم ، هذا الحادث في دعايتهم ضد علي وأولوا قوله تعالى في سورة النور ـ ١١ ـ : « والذي تولى كبره منهم له عذاب عظيم » بأن المقصود بذلك علي بن أبي طالب ، وقد نقل ابن حجر في فتح الباري : ٧/٤٣٧ : دخل سليمان بن يسار على هشام بن عبد الملك ، فقال له : يا سليمان الذي تولى كبره من هو ؟ قال : عبد الله ابن أبي ، قال : كذبت ، هو علي ، قال أمير المؤمنين أعلم بما يقول ، فدخل الزهري ، فقال : يا ابن شهاب من الذي تولى كبره ؟ قال : ابن أبي ، قال : كذبت هو علي ، فقال : أنا أكذب لا أبالك ، والله لو نادى مناد من السماء ، ان الله أحل الكذب ، ماكذبت : حدثني عروة وسعيد ، وعبيد الله ، وعلقمة عن عائشة : ان الذي تولى كبره عبد الله بن أبي ، هذا وسبق للزهري أن حدث له ما يشبه هذا مع الوليد بن عبدالملك. انظر حلية الاولياء : ٣/٣٦٩ .

(٥) هي مولاة عائشة أم المؤمنين ، اشترتها من بني كاهل ثم أعتقتها ـ انظر الروض الانف : ٤/٢٠.

(٦) أي اعيبه .

قالت : فقام رسول الله ﷺ فاستعذر[1] من عبد الله بن أبَيّ بن سلول ، قالت : فقال رسول الله ﷺ وهو على المنبر : يا معشر المسلمين ، من يعذرني من رجل قد بلغ أذاه في أهل بيتي ، فوالله ما علمت على أهل بيتَي إلاّ خيراً ، ولقد ذكروا رجلاً ، ما علمت عليه إلاّ خيراً ، وما كان يدخل على أهلي إلاّ معي ، فقام سعد بن معاذ الأنصاري ، فقال : أعذرك منه يا رسول الله ، إن كان من الأوس ضربنا عنقه ، وإن كان من إخواننا من الخزرج أمرتنا ففعلنا أمرك ، قالت : فقام سعد بن عبادة[2] ، وهو سيد الخزرج ، وكان رجلاً صالحاً ، ولكنه حملته الجاهلية ، فقال لسعد بن معاذ : لعَمر الله[3] لا تقتلنه ، ولا تقدر على قتله ، فقام أسيد بن حضير ، وهو ابن عم سعد بن معاذ ، فقال لسعد بن عبادة : كذبتَ لعمر الله ، لنقتلنَّه ، فإنك منافق ، تجادل عن المنافقين .

قالت : فثار الحيّان : الأوس والخزرج ، حتى هَمّوا أن يقتتلوا ، ورسول الله ﷺ قائم على المنبر ، فلم يزل يُخَفِّضهم حتى سكتوا ، وسكت النبي ﷺ .

قالت : ومكثت يومي ذلك لا يرقأ لي دمع ، ولا أكتحل بنوم ، وأبوايَ يَظُنّان أن البكاءَ فالق كبدي ، قالت : فبينا هما جالسان عندي ، وأنا أبكي ، استأذنَتْ عليّ امرأة ، فأذنتُ لها ، فجلست تبكي معي ، فبينما نحن على ذلك ، دخل علينا رسول الله ﷺ ، ثم جلس ، قالت : ولم يجلس عندي منذ ما قيل[4] ، وقد لبث شهراً لا يُوحى إليه ، قالت : فتشهد رسول الله ﷺ حين جلس ، ثم قال : أمّا بعد يا عائشة ، فإنه قد بلغني عنك كذا وكذا ، فإن كنتِ بريئةً فسيبرّئك الله ، وإن كنت ألممتِ بذنب ، فاستغفري الله وتوبي إليه ، فإن العبد إذا اعترف بذنبه ، ثم تاب ، تاب الله عليه .

---

(١) أي طلب من ينصفه منه .
(٢) تخلل رواية البخاري شروحات ليست هنا ـ فتح الباري : ٤٣٣/٧ .
(٣) في البخاري : كذبت لعمر الله .
(٤) في البخاري : منذ قيل ما قيل قبلها .

قالت : فلما قضى رسول الله ﷺ مقالته ، قلص دمعي ، حتى ما أحِسّ منه قطـرة : فقلت لأبي : أجبْ عنّي رسـولَ الله ﷺ فيمـا قـال ، فقـال : والله مـا أدري مـا أقـول لرسـول الله ﷺ ، فقلت لأمّي : أجيبـي عنّي رسول الله ﷺ ، قالت : والله ما أدري ما أقول لرسول الله ﷺ ، فقلت ـ وأنـا جارية حديثة السن ، لا أقرأ من القرآن كثيراً ـ : إني والله لقد عرفتُ أنكم قد سمعتم بهذا الأمر حتى استقرّ في أنفسكم ، وصدّقتم به ، فَلَئِن قلتُ لكم : إني بريئة ، والله يعلم براءتي ، لا تصدّقونيّ بذلك ، ولئن اعترفت لكم بذنب ، والله يعلم أني بريئة لتصدقونيّ ، وإني والله ما أجد لي ولكم مثلاً إلاّ كما قال أبـو يوسـف : (فَصَبْـرٌ جَمِيـلٌ وَاللهُ المُسْتَعَانُ عَلَـى مَـا تَصِفُونَ)[1] .

قالت : ثمّ تحوّلتُ ، فاضطجعت على فراشي ، وأنا والله حينئذٍ أعلم أني بريئة ، وأن الله مبرّئي ببراءتي ، ولكن والله ما كنتُ أظن أن يُنزل[2] في شأني وحيٌ يُتلى ، ولَشأني كان أحقر في نفسي من أن يتكلّم الله فِيَّ بأمر يُتلى ، ولكن كنتُ أرجو أن يرى رسول الله ﷺ في المنام رؤيا يُبَرِّئني الله بها .

قالت : فوالله ما رام رسول الله ﷺ مجلسه ، ولا خرج من أهـل البيت أحدٌ ، حتى أنزل الله على نبيّه ﷺ ، فأخذه ما كان يأخذه من البُرَحاء[3] عند الوحي ، حتى أنه ليتحدّر منه [العرق][4] مثل الجُمان[5] ـ وهـو في يوم شات[6] ـ من ثقل الوحي الذي أنزل عليه .

قالت : فلمّا سُرّي عن رسول الله ﷺ [سُري عنه][7] وهو يضحك ،

---

(١) يوسف : ١٨ .
(٢) في البخاري : ماكنت أظن أن الله تعالى منزل في شاني وحيا .
(٣) ما يعتري الانسان في شدة الحمى .
(٤) زيد ما بين الحاصرتين من صحيح البخاري .
(٥) حب اللؤلؤ أو الفضة البيضاء .
(٦) في الأصل : في اليوم الشات ، والتقويم من صحيح البخاري .
(٧) زيد ما بين الحاصرتين من صحيح البخاري .

وكان أولُ كلمة تكلَّم بها أن قال : أبشري يا عائشة ، أما والله قد أبرأكِ الله ، فقالت لي أمّي : قومي إليه ، فقلت : لا والله لا أقوم إليه ، ولا أحمد إلا الله ، هو الذي أنزل براءتي .

قالت : فأنزل الله تبارك وتعالى (إنَّ الَّذِينَ جاؤوا بالإفْكِ عُصْبَةٌ مِنْكُمْ)(1) عشر آيات ، فأنزل الله هذه الآيات في براءتي .

قالت : فقال أبو بكر ـ وكان يُنفق على مِسْطح لقرابته منه ، وفقره ـ : والله لا أنفق عليه شيئاً أبداً ، بعد الذي قال بعائشة ، فأنزل الله (وَلا يَأْتَلِ أُولُو الفَضْلِ مِنْكُمْ وَالسَّعَةِ) إلى قوله : (ألا تُحِبُّونَ أنْ يَغْفِرَ اللهُ لَكُمْ)(2) ، فقال أبو بكر : والله إني لأحبُّ أن يغفر الله لي ، فرجع إلى مِسطح النفقة التي كان ينفق عليه ، وقال : والله لا أنزعها أبداً .

قالت عائشة : وكان رسول الله ﷺ سأل زينب ابنة جحش زوج النبي ﷺ عن أمري : ما علمتِ ، أو ما رأيتِ (3) ؟ فقالت : يا رسول الله ، أحمي سمعي وبصري ، والله ما علمتُ إلاّ خيراً ، قالت عائشة : وهي التي كانت تُساميني(4) من أزواج النبي ﷺ ، فعصمها الله بالورع ، وطفقتْ أختها حمنة ابنة جحش تُحارب لها(5) ، فهلكت فيمن هلك .

قال الزُهْري : فهذا ما انتهى إلينا من أمر هؤلاء الرهط .

عبد الرزاق عن ابن أبي يحيى عن عبد الله بن أبي بكر عن عمرة عن عائشة قالت : لما أنزل الله براءتها حدّ النبي ﷺ هؤلاء النفر الذين قالوا فيها ماقالوا(6) .

عبد الرزاق عن معمر عن الزُهْري أن رسول الله ﷺ حدَّهم .

---

(1) النور : 11 .
(2) النور : 22 .
(3) في البخاري : فقال لزينب : ماذا علمت أو رأيت ؟
(4) أي تنافسني على سمو المكانة .
(5) أي تقول بقول الافك عصبية لأختها .
(6) هم : عبد الله بن أبي ـ مسطح بن أثاثة ـ حسان بن ثابت ، وحمنة بنت جحش . انظر الروض الانف : 4/12 . مغازي الواقدي : 2/434 .

حَدِيثُ أَصْحَابِ الأُخْدُودِ

عبد الرزاق عن مَعْمَر عن ثابت البَنَّاني عن عبد الرحمن بن أبي ليلى عن صُهيب[1] ، قال : كان رسول الله ﷺ إذا صلَّى العصر هَمَسَ ـ والهمس في قول بعضهم ، يُحَرِّكُ شفتيه ، كأنه يتكلَّم بشيءٍ ـ فقيل له : يا نبيَّ الله ، إنك إذا صلَّيت العصر همستَ ، فقال : إن نبيّاً من الأنبياء كان أعجب بأمته ، فقال : من يقوم لهؤلاءِ ؟ فأوحى إليه : أن خيِّرهم بين أن أنتقم منهم ، أو أسلِّط عليهم عدوَّهم ، فاختاروا النقمة ، فسلَّط الله عليهم الموت ، فمات منهم في يوم سبعون ألفاً .

قال : وكان إذا حدَّث بهذا الحديث حدَّث بهذا الحديث الآخر ، قال : وكان ملك من الملوك ، وكان لذلك الملك كاهن يتكهَّن له ، فقال ذلك الكاهن : انظروا لي غلاماً فَطِناً ـ أو قال : لَقِناً ـ أعلِّمه علمي هذا ، فإني أخاف أن أموت فينقطع منكم هذا العلم ، ولا يكون فيكم من يعلمه ، قال : فنظروا له غلاماً على ما وصف ، فأمروه أن يحضر ذلك الكاهن ، وأن يختلف إليه .

قال : وكان على طريق الغلام راهب في صومعةٍ ـ قال مَعْمَر : وأحسب أن أصحاب الصوامع كانوا يومئذٍ مسلمين ـ قال : فجعل الغلام يسأل ذلك الراهب كلما مرَّ به ، فلم يزل حتى أخبره فقال : إنما أعبد الله ، وجعل الغلام يمكث عند الراهب ، ويُبْطِىء عن الكاهن .

---

(١) يلاحظ أن هذا الخبر مع حديث أصحاب الكهف وقصة بنيان بيت المقدس ، وكلها واضح فيها الأثر الكتابي ـ الاسرائيليات ـ ليست مروية عن الزهري .

قال : فأرسل الكاهن إلى أهل الغلام : إنه لا يكاد يحضرني ، فأخبر الغلامُ الراهبَ بذلك ، فقال له الراهب : إذا قال الكاهن : أين كنت ؟ فقل : كنت عند أهلي ، وإذا قال لك أهلك : أين كنت ؟ فقل : كنت عند الكاهن .

قال : فبينا الغلام على ذلك ، إذ مرّ بجماعة من الناس كبيرة ، قد حبستهم دَابّة ـ قال بعضهم : إن تلك الدابة كانت الأسد ـ وأخذ الغلام حجراً ، فقال : اللهم إن كان ما يقول الراهب حقاً ، فأسألك أن أقْتُلَ هذه الدابة ، وإن كان ما يقول الكاهن حقاً فأسألك أن لا أقْتُلَها ، قال : ثم رماها ، فقتل الدابة ، فقال الناس : من قتلها ؟ فقالوا : الغلام ، ففزع إليه الناس ، وقالوا : قد علم هـذا الغلام عِلْماً لم يعلمه أحد" .

فسمع به أعمى ، فجاءه ، فقال له : إنْ أنت رَدَدْتَ عليَّ بصري ، فلك كذا وكذا ، فقال له الغلام : لا أريد منك هذا ، ولكن إن ردّ إليكَ بصركَ ، أتؤْمن بالذي ردّه عليك ؟ قال : نعم ، قال : فدعا الله ، فردّ عليه بصره ، قال : فآمن الأعمى .

فبلغ ذلك الملك أمرهم ، فبعث إليهم ، فأتي بهم ، فقال : لأقتلن كل واحد منكم قتلةً لا أقتلها صاحبه ، قال : فأمر بالراهب وبالرجل الذي كان أعمى ، فوضع المنشار على مفرق أحدهما فقُتِل ، وقتل الآخر بقتلة أخرى ، ثم أمـر بالغلام فقال : انطلقوا به إلى جبل كذا وكذا ، فألقوه من رأسه ، فلما انطلقوا به إلى ذلك المكان الذي أرادوا ، جعلوا يتهافتون من ذلك الجبل ، ويتردّون منه ، حتى لم يبقَ إلاّ الغلام ، فرجع ، فأمر به الملك ، فقال : انطلقوا بـه إلى البحر ، فألقوه فيه ، فانطُلِقَ به إلى البحر ، فغرّق الله من كان معه ، وأنجـاه الله ، فقـال الغـلام : إنك لن تقتلني حتى تصلُبَني ، وترميني ، وتقـول إذا رَمَيْتَني : باسم ربّ الغلام ، أو قال : بسم الله رب الغلام ، فأمر به فصُلبَ ، ثم رماه وقال : بسم الله رب الغلام ، قال : فرفع الغلام يده إلى صدغه ، ثم مات ،

فقال الناس : لقد علم هذا الغلام علماً ما علمه أحد ، فإنا نؤمن برب هذا الغلام ، قال : فقيل للملك : أجزعتَ أن خالفك ثلاثة ؟ فهذا العالم كلهم قد خالفوك ، قال : فخد الأخدود ، ثم ألقى فيها الحطب والنار ، ثم جمع الناس ، فقال : من رجع إلى دينه تركناه ، ومن لم يرجع ألقيناه في النار ، فجعل يلقيهم في تلك الأخدود ، قال : فذلك قول الله (قُتِلَ أصْحَابُ الأخْدُودِ . النَّارِ ذَاتِ الوَقُودِ) حتى بلغ (العزيزِ الحَميدِ)[1] قال : فأما الغلام فإنه دفن ، قال : فيُذكر أنه أخرج في زمن عمر بن الخطاب ـ رحمه الله ـ وإصبعه على صدغه ، كما كان وضعها[2] .

قال عبد الرزاق : والأخدود بنَجْران .

* * *

(١) البروج : ٤ ـ ٥ ، ٨ .

(٢) هذه رواية شاذة حول مسالة أصحاب الاخدود التي عالجها أصحاب كتب السيرة والتواريخ مع كتب التفسير ، وهي لا تتوافق مع شهادات شهود العيان للحادثة التي حفظتها لنا اللغة السريانية ، انظر : التيجان في ملوك حمير : ٣٠١ . سيرة ابن اسحق : ٦٦ . تاريخ الطبري : ١١٩/٢ ـ ١٢٤ ، وانظر أيضا كتاب « الشهداء الحميريون العرب في الوثائق السريانية ، تاليف أغناطيوس يعقوب الثالث بطريرك أنطاكية وسائر المشرق سابقا » . دمشق ١٩٦٦ .

حَدِيثُ أَصْحَابِ الكَهْفِ

عبد الرزاق عن مَعْمَر ، قال : أخبرني إسماعيل بن شروس عن وهب بن مُنبه قال : جاء رجل من حواريي عيسى بن مريم إلى مدينة أصحاب الكهف ، فأراد أن يدخلها ، فقيل : إن على بابها صنماً لا يدخلها أحد إلا سجد له ، فكره أن يدخله ، فأتى حمّاماً ، فكان قريباً من تلك المدينة ، وكان يعمل فيه ، يُؤاجر نفسه من صاحب الحمام ، ورأى صاحب الحمام في حمامة البركة والرفق ، وفوض إليه[1] ، وجعل يسترسل إليه ، وعَلِقه فتية من أهل المدينة ، فجعل يُخبرهم عن خبر السماء والأرض ، وخبر الآخرة ، حتى آمنوا به ، وصدّقوه ، وكانوا على مثل حاله في حسن الهيئة ، وكان يشترط على صاحب الحمام أن الليل لي ، ولا تحول بيني وبين الصلاة إذا حضرت .

حتى جاء ابن الملك بامرأة يدخل بها الحمام ، فعيّره الحواري فقال : أنت ابن الملك ، وتدخل معك هذه الكذا وكذا ، فاستحيى ، فذهب ، فرجع مرة أخرى ، [فقال له مثل ذلك][2] ، فسبّه وانتهره ، ولم يلتفت ، حتى دخل ، ودخلت معه المرأة ، فباتا في الحمام ، فماتا فيه ، [فأُتيَ الملك فقيل له : قتل صاحب الحمام ابنك][2] ، فالتمس فلم يُقْدَر [عليه][2] ، وهرب ، [فقال :][2] من كان يصحبه ؟ فَسَمَّوا الفتية ، فخرجوا مِنَ المدينة ، فمرُّوا بصاحب لهم في زرع له ، وهو على مثل أمرهم ، فذكروا له أنهم ألتُمِسُوا ، فانطلق معهم ، ومعه كلب ، حتى آواهم الليل إلى كهف ، فدخلوا فيه ، فقالوا :

---

(١) في تاريخ الطبري : ٧/٢٠ ، الذي اعتمد نفس الرواية : « ودر عليه الرزق ، فجعل يعرض عليه الاسلام » .

(٢) زيد ما بين الحاصرتين من تاريخ الطبري : ٨/٢ .

نبيت هاهنا الليلة ، ثم نُصبح إن شاء الله ، ثم ترون رأيكم ، قال : فضُرِب على آذانهم ، فخرج الملك بأصحابه يتتبعونهم ، حتى وجدوهم ، فدخلوا الكهف ، فكلما أراد الرجل منهم أن يدخل أرعِب ، فلم يُطق أحد أن يدخل ، فقال له قائل : ألست قلت : لو كنت قدرت عليهم قتلتهم ؟ :قال : بلى ، قال : فابنِ عليهم باباً للكهف ، ودَعْهم ، يموتوا عطاشاً وجُوعاً ففعل ، ثم غَبَرُوا زماناً .

ثم إن راعي غنم أدركه المطر عند الكهف ، فقال : لو فتحت هذا الكهف ، وأدخلت غنمي من المطر ، فلم يزل يعالجه ، حتى فتح لغنمه ، فأدخلها فيه ، ورَدّ الله أرواحهم في أجسادهم من الغد ، حين أصبحوا ، فبعثوا أحدهم بورِق ليشتري لهم طعاماً ، فلما أتى باب مدينتهم ، جعل لا يُرِي أحداً من ورِقه شيئاً إلاّ استنكرها[1] ، حتى جاءَ رجلاً ، فقال : بِعْني بهذه الدراهم طعاماً ، قال : ومن أين هذه الدراهم ؟ قال : خرجت أنا وأصحابٌ لي أمس ، فآوانا الليل ، ثم أصبحنا ، فأرسلوني ، فقال : هذه الدراهم كانت على عهد ملك فلان فأنى لك هذه الدراهم ؟.

فرفعه إلى الملك ، وكان رجلاً صالحاً ، فقال : من أين لك هذه الورِق[2]؟ قال : خرجت أنا وأصاحب لي أمس ، حتى أدركنا الليل في كهف كذا وكذا ، [ثمّ] أمرني أصحابي أن أشتري لهم طعاماً ، قال : وأين أصحابك ؟ قال : في الكهف ، فانطلق معه حتى أتى باب الكهف ، فقال : دعوني حتى أدخل على أصاحبي قبلكم ، فلما رأوه ودنا منهم ، ضُرب على أذُنه وآذانهم ، فأرادوا أن يدخلوا عليهم ، فجعل كلما دخل رجل منهم رُعِبَ ، فلم يقدروا أن يدخلوا عليهم ، فبنوا عندهم كنيسة واتخذوها مسجداً يصلّون فيه[3] .

---

(١) في تاريخ الطبري : ٨/٢ : « فكلما أتى باب مدينتهم رأى شيئا بنكره ، حتى دخل على رجل ».

(٢) نقود الفضة .

(٣) في الأصل « فبنوا كنيسة ، وبنوا مسجدا يصلون فيه » والتقويم من تاريخ الطبري : ٩/٢ ، وقد ورد ذكر أصحاب الكهف في القرآن الكريم في سورة الكهف : ٩ ــ ٢٢ ، وقد اختلف في تحديد هويتهم وزمانهم ، واعتقد البعض في العصر العباسي أنهم في منطقة أفسوس ، ولعل أحدث ما قيل عنهم هو ما نشرته الأوساط الدينية في الاردن حيث قالت بوجودهم في هذه المملكة .

بُنيان بيت المقدس

عبد الرزاق عن مَعْمَر عن قَتادة في قوله (وَأَلْقَيْنَا عَلَى كُرْسِيِّه جَسَداً ثُمَّ أَنَابَ)[1] قال : كان على كرسيّه[2] شيطان أربعين ليلةً ، حتى ردّ الله إليه ملكه ، قال مَعْمَر : ولم يُسلّط على نسائه .

قال مَعْمَر : قال قتادة : إن سليمان قال للشياطين : إني أمرت أن أبني مسجداً ، يعني بيت المقدس ، لا أسمع فيه صوت منقار ولا منشار ، قالت الشياطين : إن في البحر شيطاناً ، فلعلّك إن قدرت عليه يُخْبِرك بذلك ، وكان ذلك الشيطان يرد كل سبعة أيام عيناً يشرب منها ، فعمدت الشياطين إلى تلك العين ، فنزحتها ، ثم ملأتها خمراً ، فجاءَ الشيطان ، قال : إنكِ لطيبة الريح ، ولكنك تسَفِّهِينَ الحليم ، وتزيدين السفيه سفهاً ، ثم ذهب فلم يشرب، فأدركه العطش ، فرجع ، فقال مثل ذلك ، ثلاث مرات ، ثم كرع ، فشرب ، فسكر ، فأخذوه ، فجاءوا به إلى سليمان : فأراه سليمان خاتمه ، فلما أراه ذلك ، وكان مُلك سليمان في خاتمه ، فقال له سليمان : إني قد أمرت أن أبني مسجداً شرط أن لا أسمع فيه صوت منقار ولا منشار ، فأمر الشيطان بزجاجة فصُنعت ، ثم وضعت على بيض الهُدْهُد ، فجاءَ الهدهد للربض على بيضه فلم يقدر عليه ، فذهب ، فقال الشيطان : انظروا ما يأتي به الهُدْهُد فخذوه ، فجاء بالماس فوضعه على الزجاجة ، ففلقها ، فأخذوا الماس ، فجعلوا يقطعون به الحجارة قطعاً، حتى بني بيت المقدس .

---

(١) ص : ٣٤ .

(٢) أي كرسي النبي سليمان .

قال : وانطلق سليمان يوماً إلى الحمام ، وقد كان فارق بعض نسائه ، في بعض المأثم ، فدخل الحمام ومعه ذلك الشيطان ، فلما دخل ذلك ، أخذ الشيطان خاتمه ، فألقاه في البحر ، وألقى على كرسيه جسداً ــ السرير ــ شبه سليمان ، فخرج سليمان ، وقد ذهب ملكه ، فكان الشيطان على سرير سليمان أربعين ليلة ، فاستنكره أصحابه ، وقالوا : لقد فُتِن سليمان من تهاونه بالصلاة ، وكان ذلك الشيطان يتهاون بالصلاة ، وبأشياء من أمر الدين ، وكان معه من صحابة سليمان رجل يشبه بعمر بن الخطاب في الجلد والقوة ، فقال : إني سائله لكم ، فجاءه فقال : يا نبي الله ، ما تقول في أحدنا يصيب من امرأته في الليلة الباردة ، ثم ينام حتى تطلع الشمس ، لا يغتسل ولا يصلي : هل ترى عليه في ذلك بأساً ؟ قال : لا بأس عليه ، فرجع إلى أصحابه ، فقال : لقد افتتن سليمان .

قال : فبينا سليمان ذاهب في الأرض ، إذ أوى إلى امرأة ، فصنعت له حوتاً ــ أو قال : فجاءته بحوت ــ فشَقّت بطنه ، فرأى سليمان خاتمه في بطن الحوت ، فرفعه ، فأخذه ، فلبسه ، فسجد له كل شيءٍ لقيه من دابة ، أو طيرٍ ، أو شيءٍ ، وردّ الله إليه ملكه ، فقال عند ذلك : (رَبِّ اغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي مُلْكاً لا يَنْبَغِي لأحَدٍ مِّنْ بَعْدِي)(٢) قال قتادة : يقول لا تسلبنيه مرة أخرى ، قال مَعْمَر : قال الكلبي : فحينئذٍ سُخّرت له الشياطين معاً والطير .

(١) سيظهر اثر هذه القصة فيما بعد في الف ليلة وليلة .

(٢) ص : ٣٥ .

بدء مرض رسول الله ﷺ

عبد الرزاق عن مَعْمَر عن الزُهري قال : أخبرني أبو بكر بن عبد الرحمن ابن الحارث بن هشام عن أسماء بنت عُمَيس قالت أول ما اشتكى رسول الله ﷺ في بيت ميمونة ، فاشتدّ مرضه حتى أغْمِيَ عليه ، قال : فتشاور نساؤه في لَدِّه ، فلَدّوه[1] ، فلما أفاق ، قال : هذا فعل نساءٍ جئن من هؤلاء — وأشار إلى أرض الحبشة — وكانت أسماءُ بنت عُمَيْس فيهن ، قالوا : كنا نتّهم بك ذات الجنب يا رسول الله ، قال : إن ذلك لداءٌ ما كان الله ليقذفني به ، لا يبقين في البيت أحدٌ إلاّ التدّ[2] ، إلاّ عمّ رسول الله ﷺ — يعني عباساً — قال : فلقد التَدّت ميمونة يومئذ ، وإنها لصائمة ، لعزيمة رسول الله ﷺ .

قال الزُهْري : وأخبرني عبيد الله بن عبد الله بن عُتبة أن عائشة أخبرته ، قالت : أول ما اشتكى رسول الله ﷺ في بيت ميمونة ، فاستأذن أزواجه أن يُمرّض في بيتي ، فأذِنَّ له .

قالت : فخرج ويد له على الفضل بن عباس ، ويدٌ أخرى على يد رجل آخر ، وهو يَخُطُّ برجليه في الأرض — فقال عبيد الله : فحدثت به ابن عباس ، فقال : أتدري من الرجل الذي لم تسمِّ عائشة ، هو علي بن أبي طالب[3] ، ولكن عائشة لا تطيب لها نفساً بخير .

قال الزُهْري : وأخبرني عروة عن غيره عن عائشة ، قالت : قال رسول الله

(١) أي صبوا الدواء في فمه دون اذنه .

(٢) لأنهم لدوه بغير اذنه .

(٣) خرجه البخاري — انظر فتح الباري : ٨/١٤١ .

ﷺ في مرضه الذي مات فيه : صبّوا عليّ من سبع قرب لم تحلل أوكيتهن ، لعلّي أستريح ، فأعهد إلى الناس ، قالت عائشة : فأجلسناه في مخضب لحفصة ، من نحاس ، وسكبنا عليه الماء حتى طفق يشير إلينا أن قد فعلتن ، ثم خرج[1] .

قال الزُهري : وأخبرني عبد الرحمن بن كعب بن مالك ـ وكان أبوه أحدَ الثلاثة الذين تيب عليهم ـ عن رجل من أصحاب النبي ﷺ أن النبي ﷺ قام يومئذ خطيباً فحمد الله ، وأثنى عليه ، واستغفر للشهداء الذين قتلوا يوم أحد ، قال : إنكم يا معشر المهاجرين ، إنكم تزيدون ، والأنصار لا يزيدون ، الأنصار عيبتي التي أويت إليها ، فأكرموا كريمهم ، وتجاوزوا عن مسيئهم[2] .

قال الزهري : سمعت رجلاً يذكر أن النبي ﷺ قال : إن عبداً خيّره ربه بين الدنيا والآخرة ، فاختار ما عند ربّه ، ففطن أبو بكر أنه يريد نفسه ، فبكى ، فقال له النبي ﷺ : على رسلك ، ثم قال : سدّوا هذه الأبواب الشوارع في المسجد ، إلاّ باب أبي بكر ـ رحمه الله ـ فإني لا أعلم رجلاً أحسن يداً عندي من الصحابة من أبي بكر[3] .

قال الزهري : وأخبرني عبيد الله بن عبد الله بن عتبة أن عائشة وابن عباس أخبراه أن النبي ﷺ حين نزل به ، جعل يلقي خميصة[4] له على وجهه ، فإذا اغتم ، كشفها عن وجهه ، وهو يقول : لعنة الله على اليهود والنصارى ، اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد ، قال : تقول عائشة : يحذّر مثل الذي فعلوا[5] .

قال مَعْمَر : قال الزُهري : وقال النبي ﷺ لعبد الله بن زَمْعَة : مُر الناس فليصلّوا ، فخرج عبد الله بن زَمْعَة ، فلقي عمر بن الخطاب ، فقال : صلّ بالناس ، فصلّى عمر بالناس ، فجهر بصوته ـ وكان جهير الصوت ـ فسمع

---

(١) زاد في البخاري ـ فتح الباري : ١٤١/٨ « خرج الى الناس فصلى بهم وخطبهم » .
(٢) انظر طبقات ابن سعد : ٢/ ٢٥٠ ـ ٢٥٢ .
(٣) انظر صحيح البخاري ـ فتح الباري : ١٢/٧ . طبقات ابن سعد : ٢٢٧/٢ ـ ٢٢٨ .
(٤) هي ثوب خز أو صوف معلم ـ النهاية لابن الأثير .
(٥) خرجه البخاري ـ فتح الباري : ١٤٠/٨ . انظر أيضا طبقات ابن سعد : ٢٤٠/٢ ـ ٢٤٢ .

رسول الله ﷺ ، فقال : أليس هذا صوت عمر ؟ قالوا : بلى ، يا رسول الله ، فقال: يأبى الله ذلك والمؤمنون ، لِيُصَلِّ بالناس أبو بكر ، فقال عمر لعبد الله بن زَمْعَة : بئس ما صنعت ، كنتُ أرى أن رسول الله ﷺ أمرك أن تأمرني ، قال: لا والله ، ما أمرني أن آمر أحداً(١) .

قال الزُهْري : وأخبرني [حمزة بن عبد الله قال :](٢) عبد الله بن عمر عن عائشة قالت : لما ثقل رسول الله ﷺ قال : مروا أبا بكر فليصلِّ بالناس ، قالت : قلت : يا رسول الله ، إن أبا بكر رجل رقيق ، إذا قرأ القرآن لا يملك دمعه ، فلو أمرت غير أبا بكر ، قالت : والله ما بي إلاّ كراهية أن يتشاءم الناس بأول من يقوم في مقام رسول الله ﷺ ، قالت : فراجعته مرتين أو ثلاثاً ، فقال : ليصلِّ بالناس أبو بكر ، فإنكن صواحب يوسف(٣) .

قال الزُهْري : وأخبرني أنس بن مالك قال : لما كان يوم الإثنين كشف رسول الله ﷺ ستر الحجرة ، فرأى أبا بكر وهو يصلي بالناس ، قال : فنظرتُ إلى وجهه كأنّه ورقة مصحف ، وهو يتبسم ، قال : وكِدْنا أن نفتتن في صلاتنا فرحاً برؤية رسول الله ﷺ ، فإذا أبو بكر دار ينكُص ، فأشار إليه النبي ﷺ : أن كما أنت ، ثم أرخى الستر(٤) ، فقبض من يومه ذلك .

وقام عمر فقال : إن رسول الله ﷺ لم يمت ، ولكن ربّه أرسل إليه كما أرسل إلى موسى فلبث عن قومه أربعين ليلة(٥) ، والله إني لأرجو أن يعيش رسول الله ﷺ حتى يقطع أيدي رجال من المنافقين وألسنتهم ، يزعمون — أو قال : يقولون — إن رسول الله ﷺ قد مات .

---

(١) انظر طبقات ابن سعد : ٢/٢١٥ — ٢٢٤ .

(٢) زيد ما بين الحاصرتين من طبقات ابن سعد : ٢/٢١٧ ، ٣/٣٥٦ حيث روى بهذا الاسناد .

(٣) انظر صحيح البخاري — فتح الباري : ٨/١٤٠ .

(٤) خرجه البخاري الى هاهنا — فتح الباري : ٨/١٤٣ .

(٥) في الاصل « موسى أربعين ليلة عن أربعين ليلة » والتقويم من طبقات ابن سعد : ٢/٢٦٦ ، حيث خرج رواية الزهري هذه .

قال معمر : وأخبرني أيوب عن عكرمة قال : قال العباس بن عبد المطلب : والله لأعلمنّ ما بقاءُ رسول الله ﷺ فينا ، فقلت : يا رسول الله ، لو اتخذت شيئاً تجلس عليه يدفع عنك الغبار ، ويردّ عنك الخصم ، فقال النبي ﷺ : لأدعَنَّهم ينازعوني ردائي ويطؤنّ عقبي ، ويغشاني غبارهم ، حتى يكون الله يريحني منهم ، فعلمت أن بقاءه فينا قليل[1] .

قال : فلما توفي[2] رسول الله ﷺ قام عمر ، فقال : إن رسول الله ﷺ لم يَمُتْ ، ولكن صعق كما صعق موسى ، ولله إني لأرجو أن يعيش رسول الله ﷺ حتى يقطع أيدي رجال وألسنتهم من المنافقين ، يقولون : إن رسول الله ﷺ قد مات ، فقام العباس بن عبد المطلب ، فقال : أيها الناس ، هل عند أحد منكم عهدٌ أو عقد من رسول الله ﷺ ؟ قالوا : اللهمّ لا ، قال : فإن رسول الله ﷺ لم يَمُتْ حتى أحل الحلال ، ثم حارب ، وواصل ، وسالم ، ونكح النساء ، وطلّق ، وترككم عن محجة بينة ، وطريق ناهجة ، فإن يكُ ما تقول يا بن الخطاب حقاً ، فإنّه لن يُعجز الله أن يحثو عنه[3] ، فيخرجه إلينا ، وإلا فَخَلِّ بيننا وبين صاحبنا ، فإنه يأسن كما يأسن الناس[4] .

قال الزُهري : وأخبرني ابن كعب بن مالك عن ابن عباس قال : خرج العباس وعلي من عند رسول الله ﷺ في مرضه ، فلقيهما رجل ، فقال : كيف أصبح رسول الله ﷺ ، يا أبا حسن ؟ فقال : أصبح رسول الله ﷺ بارئاً ، فقال العباس لعليّ بن أبي طالب : أنت بعد ثلاث لعَبْدُ العصا[5] ، ثم خلا به ، فقال : إنه

---

(١) خرجه الدارمي في سننه : ١/٣٥ ـ ٣٦ ، مع فوارق .

(٢) توفي ﷺ « يوم الاثنين لاثنتي عشرة خلت من شهر ربيع الأول ، ويقال : لليلتين خلتا منه ، ودفن ليلة الأربعاء ، واختلف في سنه » تاريخ خليفة : ١/٦٨ .

(٣) في النهاية : « أن يحثو عنه تراب القبر ، ويقوم » أي يرمي به عن نفسه .

(٤) الحديث مع شيء من الخلاف في طبقات ابن سعد : ٢/٢٦٦ ـ ٢٦٧ . سنن الدارمي : ١/٣٩ ـ ٤٠ . ويلاحظ الأثر العباسي الدعائي ، لذلك راويته عكرمة مولى ابن عباس .

(٥) كناية عمن يصير تابعا لغيره ، اي ان النبي سيموت بعد ثلاث ، وتصير انت مامورا عليك ، هذا وأصل هذه العبارة جاء من تاريخ دولة كندة المتأخر أيام حجر والد امرىء القيس .

يُخَيَّلُ إليَّ ، إني لأعرف وجوه بني عبد المطلب عند الموت ، وإني خائف ألا يقوم رسول الله ﷺ من وجعه هــذا ، فاذهب بنا إليه فنسله ، فإن يكُ هــذا الأمرُ(١) إلينا علمنا ذلك ، وإن لا يكُ إلينا ، أمرناه أن يستوصي بنا خيراً ، فقال له عليٌّ : أرأيت إذا جئناه فلم يُعطناها ، أترى أن الناس يعطوها ، والله لاأسألهُ إيَّاها أبداً(٢) .

قال الزهري : قالت عائشة : فلمَّا اشتدَّ مرض رسول الله ﷺ قال : في الرفيق الأعلى ، ثلاث مرات ، ثم فتر(٣) .

قال معمر : وسمعت قتادة يقول : آخر شيءٍ تكلَّم به رسول الله ﷺ : اتَّقوا الله في النساءِ ، وما ملكت أيمانكم(٤) .

عبد الرزاق عن مَعْمَر عن الزُهري قال : أخبرنا أبو سَلَمة بن عبــد الرحمن ، قال : كان ابن عباس يحدث أن أبا بكر الصديق ، دخل المسجد ، وعُمر يُحدِّث الناس ، فمضى حتى البيت الذي توُفِّيَ فيه رسول الله ﷺ ، وهــو في بيت عائشة ، فكشف عن وجهه بُرْدَ حِبَرَة(٥) كان مُسَجىً عليه ، فنظر إلى وجه النبي ﷺ ، ثم أكبَّ عليه ، فقبَّله ، ثم قال : والله لا يجمــع الله عليك موتتين ، لقد مُتَّ الموتة التي لا تموت بعدها أبداً .

ثم خرج أبو بكر إلى المسجد ، وعمر يُكَلِّم الناس ، فقال له أبو بكر : إجلس يا عمر ، فأبى أن يجلس ، فكلَّمه مرتين أو ثلاثاً ، فأبى أن يجلس ، فقام أبو بكر فتشهَّد ، فأقبل الناس على أبي بكر ، وتركوا عمر ، فلما قضى أبو بكر تشهُّده ، قال : أما بعد فمن كان يعبدُ محمداً ، فإن محمداً قد مات ، ومن كان

---

(١) أي الحكم أو ما عرف فيما بعد باسم الخلافة والامامة .

(٢) الخبر بنفس الاسناد مع شيء من الخلاف موجود عند ابن سعد : ٢/٢٤٥ ـ ٢٤٧ ، فتح الباري : ٨/١٤٢ .

(٣) انظر الخبر في صحيح البخاري ـ فتح الباري : ٨/١٣٨ .

(٤) الذي في ابن سعد : ٢/٢٥٣ ـ ٢٥٤ : « الصلاة ، الصلاة وما ملكت أيمانكم » .

(٥) الحبير من البرود : ما كان موشيا مخططا ، وهو برديمان ـ النهاية .

منكم يعبد الله ، فإن الله حيّ لا يموت ثم تلا هـذه الآية (وَمَا مُحَمَّدٌ إلاّ رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُسُلُ)(١) الآية كلّها، فلما تلاها أبو بكر رحمه الله ، أيقن الناس بموت رسول الله ﷺ ، وتلقّوها من أبي بكر ، حتى قال قائل من الناس : فلم يعلموا أن هذه الآية أنزلت ، حتى تلاها أبو بكر .

قال الزُهْري : وأخبرني سعيد بن المُسيب ، قال : قال عمر : والله ما هو إلاّ أن تلاها أبو بكر ، وأنا قائم ، فخررت إلى الأرض ، وأيقنت أن رسول الله ﷺ قد مات(٢) .

أخبرنا عبد الرزاق قال : أخبرنا مَعْمَر عن الزُهْري ، قال : أخبرني أنس بن مالك أنه سمع خطبة عمر ــ رحمه الله ــ الآخرة ، حين جلس على منبر النبي ﷺ ، وذلك الغد من يوم توفي رسول الله ﷺ ، قال : فتشهد عمر ، وأبو بكر صامت لا يتكلّم ، ثم قال عمر : أمّا بعد ، فإني قلت مقالةً ، وإنها لم تكن كما قلت ، وإني والله ما وجدت المقالة التي قلتُ في كتاب الله تعالى ، ولا في عهد عَهِده إليّ رسول الله ﷺ ، ولكني كنت أرجو أن يعيش رسول الله ﷺ حتى يَدْبُرنا ــ يريد بذلك حتى يكون آخرهم ــ فإن يكُ محمداً قد مات ، فإن الله قد جعل بين أظهركم نوراً ، تهتدون به ، هذا كتاب الله فاعتصموا به ، تهتدون لما هدى الله به محمداً ﷺ(٣) ، ثم إن أبا بكر ــ رحمه الله ــ صاحبُ رسول الله ﷺ وثاني اثنين ، وإنه أولى الناس بأموركم ، فقوموا ، فبايعوه . وكانت طائفة منهم قد بايعوه قبل ذلك في سقيفة بني ساعدة ، وكانت بيعة العامة على المنبر .

قال الزُهْري : وأخبرني أنس قال : لقد رأيت عمر ، يُزعج أبا بكر إلى المنبر إزعاجاً .

---

(١) آل عمران : ١٤٤ . وانظر أيضا فتح الباري : ٧/٢٠ .

(٢) انظر ابن سعد : ٢/٢٦٤ ــ ٢٧٢ . فتح الباري : ٨/١٤٥ .

(٣) انظر طبقات ابن سعد : ٢/٢٧١ .

عبد الرزاق عن مَعْمَر عن الزُهْري عن عُبيد الله بن عبد الله بن عُتبة عن ابن عباس ، قال : لما احتضر رسول الله ﷺ ، وفي البيت رجال فيهم عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، فقال النبي ﷺ : هلموا أكتب لكم كتاباً لا تضلوا بعده، فقال عمر[1] : إن رسول الله ﷺ قد غلب عليه الوجع[2] ، وعندكم القرآن ، حسبنا كتاب الله ، فاختلف أهل البيت ، واختصموا ، فمنهم من يقول : قرّبوا يكتب لكم رسول الله ﷺ كتاباً لا تضلوا بعده ، ومنهم من يقول ما قال عمر[3]، فلمّا أكثروا اللغو والاختلاف عند رسول الله ﷺ ، قال رسول الله ﷺ : قوموا.

قال عبيد الله : فكان ابن عباس يقول : إن الرّزية كل الرزية ، ما حال بين رسول الله ﷺ وبين أن يكتب لهم ذلك الكتاب ، من اختلافهم ولغطهم[4] .

---

(١) في صحيح البخاري ـ فتح الباري : ١٣٢/٨ « فقال بعضهم » .

(٢) في رواية للبخاري عن ابن عباس ـ فتح الباري : ١٣٢/٨ « فقالوا : ما شأنه ، أهجر » ، اي هذى انظر طبقات ابن سعد : ٢٤٢/٢ ـ ٢٤٥ .

(٣) في صحيح البخاري : « ومنهم من يقول غير ذلك » .

(٤) سبب هذا الحديث ارباكا عظيما لكل من تعرض له من الفقهاء بشكل مباشر أو غير مباشر ، وقد عرض الحافظ ابن حجر ـ فتح الباري : ١٣٣/٨ ، صورة ملخصة لمختلف الآراء جاء فيها : « والهجر ـ بالضم ثم السكون ـ الهذيان ، والمراد هنا ، ما يقع من كلام المريض الذي لا ينتظم ولا يعتد به لعدم فائدته ، ووقوع ذلك من النبي ﷺ مستحيل ، لانه معصوم في صحته ومرضه ، لقوله تعالى : « وما ينطق عن الهوى » ولقوله ﷺ : « اني لا أقول في الغضب والرضا الا حقا » ، واذا عرف ذلك فانما قاله من قاله منكرا على من توقف في امتثال أمره باحضار الكتف والدواة ، فكأنه قال : كيف تتوقف أتظن أنه كغيره يقول الهذيان في مرضه ؟ امتثل أمره وأحضر ما طلب ، فانه لا يقول الا الحق .

قال : هذا أحسن الأجوبة ، قال : ويحتمل أن بعضهم قال ذلك عن شك عرض له ، ولكن يبعده أن لا ينكره الباقون عليه مع كونهم من كبار الصحابة ، ولو أنكروه عليه لنقل ، ويحتمل أن يكون الذي قال ذلك صدر عن دهشة وحيرة ، كما أصاب كثيرا منهم عند موته ، وقال غيره : ويحتمل أن يكون قائل ذلك أراد أنه اشتد وجعه ، فاطلق اللازم وأراد الملزوم ، لان الهذيان الذي يقع للمريض ينشأ عن شدة وجعه ، وقيل قال ذلك لارادة سكوت الذين لغطوا ورفعوا أصواتهم عنده ، فكأنه قال : ان ذلك يؤذيه ويفضي في العادة الى ما ذكر ..... قال المازري : انما جاز للصحابة الاختلاف في هذا الكتاب مع صريح أمره لهم بذلك ، لأن الأوامر قد يقارنها ما ينقلها من الوجوب ، فكأنه ظهرت منه قرينة دلت على أن الامر ليس على التحتم بل على الاختيار ، فاختلف اجتهادهم ، وصمم عمر على الامتناع لما قام عنده من القرائن بانه ﷺ قال ذلك عن غير قصد جازم ، وعزمه كان اما بالوحي واما بالاجتهاد ، وكذلك تركه ان كان بالوحي فبالوحي والا فبالاجتهاد أيضا .... وقال النووي : اتفق قول العلماء على أن قول عمر « حسبنا كتاب الله » من =

• • • • • • • •

=

قوة فقهه ودقيق نظره ، لأنه خشي أن يكتب أمورا ربما عجزوا عنها فاستحقوا العقوبة لكونها منصوصة ... ويحتمل أن يكون قصد التخفيف عن رسول الله ﷺ لما رأى ما هو فيه من شدة الكرب ... » .

وعند السؤال : ماذا أراد النبي ﷺ أن يكتب ؟ نجد ابن حجر وغيره بجيب « هو تعيين الخليفة بعده » ، ولهذا نضيف الى كل ما سبق من تعليلات تعليلا أخيرا قالته الشيعة ومفاده ، أن النبي حيل بينه وبين الكتابة أمر هو أن عمر كان يعرف مسبقا بأنه ﷺ كان سيعين علي بن أبي طالب صراحة بعد ما عينه اشارة وتلميحا .

بعد هذا كله نملك الآن الجرأة العلمية لنسأل ــ رغم علو أسانيد هذا الحديث ــ : هل فعلا وقع يوم مرض النبي هذا الامر ؟ وعندي أنه لم يحدث على هذا الشكل ، ولاثبات ذلك هناك حاجة لطرح مشكلة الحكم « أو ما عرف باسم الخلافة والامامة » .

ان هذه مشكلة كبيرة لا يمكن عرضها في حاشية من الحواشي ، وأقصى ما يمكن صنعه هنا هو الاشارة الى أنه مع تحقيق الاسلام نجاحاته الكبرى بعد فتح مكة ، ومع اتساع رقعة الدولة الاسلامية الناشئة ، ازداد تقدم النبي ﷺ بالسن ، وأخذت آثار المرض مع ماعاناه خلال حياته تظهر عليه جلية ، وهنا لا بد أن عددا من المسلمين أخذ يفكر ويتساءل عن مستقبل العقيده ، والى من ستؤول مقاليد الزعامة بعد النبي ، ومع مرض النبي الأخير أصبحت هذه المسالة بالنسبة للبعض هاجسا جثم على صدورهم ، ولا بد أن المسلمين أثاروا هذه المسالة في نواديهم ومجالسهم ، وأن أصداء الاحاديث قد وصلت الى مسامع النبى ، ومن هنا جاءت بعض الروايات لتقول أن بعض الصحابة فكر في طرح المسالة صراحة على النبي ، وبعض الروايات الأخرى لتقول انه حاول وضع حل لهذه المسالة لكن مرضه مع أمور أخرى حالت بينه وبين ذلك .

هذا ويرى بعض الباحثين في التاريخ الاسلامي أن النبي بعد ما وضع قاعدة الشورى العريضة ماكان بامكانه أن يوصي بالحكم من بعده لشخص محدد ، أو حتى أن يبين شكل الحكومة بصورة مفصلة ، لان مرضه ، وظروف العرب السياسية ــ خاصة في شمال شبه الجزيرة ــ ومفاهيمهم مع تركيبهم الاجتماعي ماكان ليسهل تنفيذ أية وصية ، يضاف الى هذا أن في الوصية تحديد تأباه الأيام وتقييد يعارضه تطور العصور ، كما أن في تسمية ولي للعهد اسباغ للشرعية والقدسية الأبدية واقامة لأسرة مالكة ذات حق الهي ، وهذا قطعا يتنافى مع مبادىء الاسلام وعقائد النبي ، كما يرفضه تطور التاريخ ، وكلنا يعلم الحدود التي استغلت فيها بعض الاشارات العرضية مثل استخلاف النبي لأبي بكر على الصلاة ، ومثل حادثة غدير خم ، ويكفى لتبيان هذا استعراض بعض كتب السنة والشيعة في مسائل الامامة والخلافة ومشاكل الخلاف بينهما .

قد يكون هذا كله صحيحا ، انما ليس بشكل حاسم ، لان الحسم قائم فيما جاء به القرآن ، ففي الاسلام : الله تعالى خلق الخلق ، وأحاط علما بكل شيء ، وهو قادر فعال لما يريد ، وهو عادل في كل ما يصدر عنه ، وفي دولة الاسلام : الله تعالى هو الحاكم وهو المشرع ، واليه المآل يوم القيامة .

والنبي اختاره الله تعالى رسولا له ، وظل طوال نبوته هكذا ، يبلغ أوامر ربه ويرعى تنفيذها ويشرف عليه ، وهو لذلك كان « لا ينطق عن الهوى » .

والله اختار محمدا لنبوته وحمله مسؤوليات ابلاغ رسالته ارادة منه تعالى وليس بعد أخذ مشورة

=

* * * * * * * *

=
أحد ، أو حتى رأي صاحب العلاقة ، وعليه فالنبي لم يرث النبوة ميراثا ، ثم نظرا لمزج المفاهيم في الاسلام، لم يكن من صلاحيات النبي توريث بعض مناصبه أو جزء منها ، فالنبوة كل لا نتجزأ ، « والانبيـــاء لا يورثون » ٠

لهذا رفض علي بن أبي طالب سؤال النبي رغم طلب عمه العباس ، لانه كان أعرف بالاسلام من عمه وأكثر فقها ، فالقرآن مع السنة حويا كل ما تحتاجه البشرية من نواظم في مجالات العقيدة ، والاخـلاق وشؤون الحياة العملية التطبيقية المادية وذلك مع مراعاة تامة لمنع الانسان بحريته وبحوافزه الخاصة ٠

ويوم مرض النبي ﷺ مرضه الاخير ، اجتهدت كل فئة من فئات المسلمين في ايجاد حل لقضية الزعامة والادارة ، فكان هناك آراء أنصارية برزت في سقيفة بني ساعدة وآراء قرشية انتصر منها رأي الصـديق والفاروق والامين ، أمين أمة محمد ، ونتج عن هذا الاجتهاد ولادة مؤسسة الخلافة التاريخية ، وبعد سقيفة بني ساعدة لم يتوقف الاجتهاد ، حيث وحدت أمرة المؤمنين ، ثم الامامة ، ثم ٠٠٠٠

* * *

بيعة أبي بكر رضي الله تعالى عنه في سقيفة بني ساعدة (1)

عبد الرزاق عن مَعْمَر عن الزُهْري عن عُبيد الله بن عبد الله بن عتبة عن ابن عباس قال : كنت أقرىء عبد الرحمن بن عوف في خلافة عمر ، فلما كان آخر حجّة حجّها(2) عُمر ، ونحن بمنىً ، أتاني عبد الرحمن بن عوف في منزلي عشياً ، فقال : لو شهدت أمير المؤمنين اليوم ، أتاه رجل ، فقال : يا أمير المؤمنين ، إني سمعت فلاناً يقول : لو قد مات أمير المؤمنين قد بايعت فلاناً ، فقال عمر : إني لقائم عشيةً في الناس ، فمحذّرهم هؤلاء الرهط الذين يريدون أن يغتصبوا المسلمين أمرهم .

قال : فقلت : يا أمير المؤمنين ، إن الموسم يجمع رُعاع الناس وغوغاءهم ، وإنهم الذين يغلبون على مَجْلِسِك . وإني أخشى إن قلت فيهم اليوم مقالةً أن يَطيروا بها كل مَطير ، ولا يعوها ، ولا يضعوها على مواضعها ، ولكن أمْهِل يا أمير المؤمنين ، حتى تَقْدَم المدينة ، فإنّها دار السنّة والهجرة ، وتخلص بالمهاجرين والأنصار ، فتقول ما قلتَ متمكّناً ، فيَعُوا مقالتك ، ويضعوها على مواضعها .

قال : فقال عمر : أمَا والله إن شاءَ الله لأقومنّ به في أوّل مقام أقومه في المدينة ، قال : فلما قدمنا المدينة ، وجاءَت الجمعة ، هجّرت(3) لما حدثني عبد

---

(1) بنو ساعدة حي من الانصار من الخزرج ، والسقيفة هي ظلة كانوا يجلسون تحتها عند بئر كان خارج المدينة عرف ببئر بضاعة . انظر المغانم المطابة . تحقيق النصرة للمراغي : ١٧٣ . آثار المدينة المنورة لعبد القدوس الأنصاري : ٩٩ ـ ١٠٠ .

(2) كان ذلك سنة ثلاث وعشرين للهجرة ، انظر تاريخ الطبري : ٤/١٩٠ .

(3) أي بادرت الى المسجد أول وقت الصلاة ـ النهاية لابن الأثير .

الرحمن بن عوف . فوجدت سعيد بن زيد قد سبقني بالتهجير ، جالساً إلى جنب المنبر ، فجلست إلى جنبه ، تمسّ ركبتي ركبته ، قال : فلما زالت الشمس ، خرج علينا عمر رحمه الله ، قال : فقلت وهو مقبل : أما والله ليقولَنّ أمير المؤمنين على هذا المنبر مقالاً لم يقل قبله ، قال : فغضب سعيد بن زيد [و] قال : وأيّ مقال يقول لم يقل قبله ؟

قال : فلما ارتقى عمر المنبر ، أخذ المؤذّن في أذانه ، فلما فرغ من أذانه قام عمر ، فحمدَ الله وأثنى عليه بما هو أهله ، ثم قال : أما بعد فإني أريد أن أقول مقالة قد قدّر لي أن أقولها ، لا أدري لعلّها بين يَدَيْ أجلي .

إن الله بعث محمداً ﷺ بالحق ، وأنزل معه الكتاب ، فكان مما أنزل الله عليه آية الرجم ، فرجم رسول الله ﷺ ، ورجمنا بعده ، وإني خائف أن يطول بالناس زمانٌ فيقول قائل : والله ما الرجم في كتاب الله ، فيضِلّ أو يترك فريضةً أنزلها الله ، ألا وإن الرجم حق على من زنى ، إذا أحصن وقامت البينة ، وكان الحمل أو الاعتراف .

ثم قد كنا نقرأ (وَلا تَرْغَبُوا عَنْ آبائِكُمْ فَإنَّهُ كُفْرٌ بِكُمْ) أو (فَإنَّ كُفْراً بكم أن ترغبوا عَنْ آبائكم) ثم إن رسول الله ﷺ قال : لا تُطْرُوني كما أطْرَت(١) النصارى ابنَ مريم ـ صلوات الله عليه ـ فإنما أنا عبد الله ، فقولوا : عبد الله ورسوله .

ثم إنه بلغني أن فلاناً منكم يقول : إنه لو قد مات أمير المؤمنين قد بايعت فلاناً ، فلا يغترّن امرؤ أن يقول : إن بيعة أبي بكر كانت فَلْتَةً(٢) ، وقد كانت

(١) الاطراء : مجاوزة الحمد في المدح والكذب فيه ـ حاشية الدغمي على الاكتفاء : ١ ـ ظ ـ نسخة خطية خاصة في خزانتي .

(٢) الفلته : كل شيء عمل على غير روية وتدبر ـ حاشية الدغمي على الاكتفاء : ١ ـ ظ . وجاء في أنساب الأشراف : ٥٨١/١ ، أن عمرا قال في خطبته « بلغني أن الزبير قال : لو قد مات عمر بايعنا عليا . وانما كانت بيعة أبي بكر فلتة » .

كذلك ، إلا أن الله وقى شرّها ، وليس فيكم من تُقطع إليه الأعناق مثل أبي بكر، إنه كان من خيرنا حين تُوُفيَ رسول الله ﷺ ، وإن علياً والزبير ومن معه تخلّفوا عنه في بيت فاطمة ، وتخلّفت عنّا الأنصار بأسرها في سقيفة بني ساعدة ، واجتمع المهاجرون إلى أبي بكر رحمه الله ، فقلت : يا أبا بكر ، انطلق بنا إلى إخواننا من الأنصار ، فانطلقنا نؤمّهم ، فلقينا رجلين صالحين من الأنصار قد شهدا بدراً ، فقالا : أين تريدون ، يا معشر المهاجرين ؟ قلنا : نريد إخواننا هؤلاء من الأنصار ، قالا : فارجعوا فاقْضوا أمركم بينكم ، قال : قلت : فامضوا ، لنأتينّهم ، فأتيناهم، فإذا هم مجتمعون في سقيفة بني ساعدة ، بين أظهرهم رجل مزَمّل[1] ، قلت : من هذا ؟ فقالوا : هذا سعد بن عبادة[2] ، قلت : وما شأنه ؟ قالوا : هو وجع •

قال : فقام خطيب الأنصار ، فحمد الله وأثنى عليه بما هو أهله ، ثم قال : أما بعد ، فنحن الأنصار ، وكتيبة الإسلام ، وأنتم يا معشر قريش ، رهط منّا ، وقد دفّت إلينا دافّة[3] منكم ، فإذا هم يُريدون أن يختزلونا[4] من أصلنا ، ويحضونا من الأمر •

وكنت قد زورت[5] في نفسي [مقالة] ، وكنت أريد أن أقوم بها بين يدي أبي بكر ، وكنت أداري من أبي بكر بعض الحدّ[6] ، وكان هو أوقر مني وأجل، فلما أردْت الكلام ، قال : على رِسْلك ، فكرهت أن أعصيه •

فحمد الله أبو بكر رضي الله عنه ، وأثنى عليه بما هو أهله ، ثم قال ـ والله

---

(١) أي ملتف : يقال تزمل الرجل ، اذا التف في كساء أو غيره ـ حاشية الدغمي : ٢ ـ و •

(٢) سيد الخزرج كلها أيام النبي ، شهد العقبة ، وكان نقيبا ، ثم شهد بدرا وسائر مشاهد رسول الله ، خرج الى الشام بعد يوم السقيفة ، ومات مقتولا في خلافة أبي بكر بظروف غامضة ، انظر أنساب الاشراف : ٥٨٩/١ • الاستبصار للمقدسي : ٩٣ ـ ٩٧ •

(٣) الدافة الجماعة تاتي من البادية الى الحاضرة ، والدافة أيضا الجماعة تسير في رفق ـ حاشية الدغمي : ٢ ـ و •

(٤) الاختزال : الاقتطاع ـ حاشية الدغمي : ٢ ـ و •

(٥) يقال زور الكلام اذا أصلحه وحسنه ـ حاشية الدغمي : ٢ ـ و ، ومنها أضيف مابين الحاصرتين

(٦) يعني أنه كان في خلقه حدة ، فكان عمر يداريه ـ حاشية الدغمي : ٢ ـ و •

ما تركَ كلمةً كنت زورتها في نفسي إلاّ جاء بها ، أو بأحسن منها ، في بديهته — .

ثم قال : أما بعد ، فما ذكرتم فيكم من خير يا معشر الأنصار ، فأنتم له أهل ، ولن تعرف العرب هذا الأمر إلاّ لهذا الحيّ من قريش ، فهم أوسط العــرب داراً ونسباً(١) ، وإني قد رضيت لكم هذين الرجلين فبايعوا أيَّهما شئتم ، قال : فأخذ بيدي وبيد أبي عبيدة بن الجراح .

قال : فوالله ما كرهت مما قال شيئاً إلاّ هذه الكلمة ، كنت لأن أقــدمّ فتُضرب عنقي لا يُقرّبني ذلك إلى إثم أحبَّ إليَّ من أن أؤمّر على قوم فيهم أبو بكــر .

فلما قضى أبو بكر مقالته ، قام رجل من الأنصــار فقال : أنا جُذَيْلهــا المُحَكَّك ، وعذيقها المرجّب(٢) ، مِنَّا أمير ومنكم أمير ، يا معشر قريش ، وإلا أجلبنا الحرب فيما بيننا وبينكم جذعاً .

قال مَعْمَر : قال قَتَادة : فقال عمر بن الخطاب : لا يصلُح سيفان في غمد واحد ، ولكن منّا الأمراءُ ومنكم الوزراءُ .

قال مَعْمَر : قال الزُهْري في حديثه بالإسناد : فارتفعت الأصوات بيننا ، وكثر اللغط حتى أشفقت الإختلاف ، فقلت : يا أبا بكر ، أبْسط يدَكَ أبايعك ، قال : فبسط يده فبايعته ، فبايعه المهاجرون ، وبايعه الأنصار ، قال : ونزونا على سعد ، حتى قال قائل : قتلتم سعداً ، قال : قلت : قتل الله سعداً ، وإنا والله ما رأينا فيما حضرنا من أمرنا أمراً كان أقوى من مبايعة أبي بكر ، خشينا إن فارقنا القوم أن يُحدثوا بيعةً بعدنا ، فإما أن نبايعهم على ما لا نرضى ، وإما أن نخالفهم فيكون

(١) اوسط العـرب يعني أشرفهم ، وقوله دارا يعني مكة التي هي أشرف البقـاع — حـاشية الدغمي : ٢ — ظ .

(٢) الجذيل — تصغير جذل — والجذل هنا عود يكون في وسط مبرك الابل تحتك به ، وتستريح اليه ، فتضرب العرب به المثل للرجل يستشفى برأيه ، وتؤخذ الراحة عنده ، وعذيقها تصغير عذق ، وهي النخلة بنفسها ، والمرجب الذي تبني الى جنبه دعامة ترفده ،لكثرة حمله ، ولعزه على اهله ، وتضرب به العرب المثل في الرجل الشريف الذي يعظمه قومه — الدغمي : ٢ — ظ .

فساداً ، فلا يغترن امرؤ أن يقول : إن بيعة أبي بكر كانت فلتة ، فقد كانت كذلك ، غير أن الله وقى شرّها ، وليس فيكم من تُقطع إليه الأعناق مثل أبي بكر ، فمن بايع رجلاً عن غير مشورة من المسلمين ، فإنه لا يُتابع هو ولا الذي بايعه تغرة أن يُقتلا[1] .

قال مَعْمَر : قال الزُهْري : وأخبرني عروة أن الرجلين اللذين لقياهم من الأنصار : عُويم بن ساعدة ، ومعن بن عدي ، والذي قال : أنا جذيلها المحكّك وعذيقها المرجّب ، الحُباب بن المنذر[2] .

عبد الرزاق عن مَعْمَر عن ليث عن واصل الأحدب عن المعرور بن سويد عن عمر بن الخطاب ، قال : من دعا إلى إمارة نفسه ، أو غيره ، من غير مشورة من المسلمين ، فلا يحلّ لكم إلاّ أن تقتلوه .

عبد الرزاق عن مَعْمَر عن ابن طاووس عن أبيه عن ابن عباس ، قال عمر : اعقل عني ثلاثاً : الإمارة شورى ، وفي فداء العرب مكان كل عبد عبد ، وفي ابن الأمة عبدان ، وكتم ابن طاووس الثالثة[3] .

عبد الرزاق عن مَعْمَر قال : أخبرني محمد بن عبد الله بن عبد الرحمن القاري ، عن أبيه ، أن عمر بن الخطاب ورجلاً من الأنصار كانا جالسين ، فجاء عبد الرحمن بن عبد القاري فجلس إليهما ، فقال عمر : إنا لا نحبّ أن يجالسنا من يرفع حديثا ، فقال له عبد الرحمن : لست أجالس أولئك يا أمير المؤمنين ، فقال عمر : بل ، فجالس هؤلاء وهؤلاء ، ولا ترفع حديثا ، ثم قال عمر للأنصاري: من ترى الناس يقولون يكون الخليفة بعدي ؟ قال : فعدّد رجالاً من المهاجرين ،

(١) أي حذرا من أن يقتلا .

(٢) شهد عويم العقبة الثانية وبدرا وأحدا والخندق ، وقيل مات في خلافة عمر بالمدينة ، وكان معن بن عدي أصلا من قبيلة بلي ، لهذا عد من حلفاء الأوس ، شهد بدرا ، ومات شهيدا يوم اليمامة في حروب الردة ، وكان الحباب بن المنذر من أشهر رجالات الأنصار ، شهد المشاهد كلها مع النبي ﷺ ، وقد مات في خلافة عمر بن الخطاب . انظر طبقات خليفة بن خياط : ١٩٨/١ . الاستبصار لابن قدامه : ١٥٧ ، ٢٧٩ .

(٣) انظر طبقات ابن سعد : ٣٥٣/٣ .

ولم يسمِّ علياً ، فقال عمر : فما لهم من أبي الحسن ، فوالله إنه لأحراهم ، إن كان عليهم ، أن يقيمهم على طريقة من الحق •

قال مَعْمَر : وأخبرني أبو إسحاق عن عمرو بن ميمون الأودي ، قال : كنت عند عمر بن الخطاب حين ولى الستة الأمر ، فلما جازوا أتبعهم بصره ، ثم قال : لَئِن وَلَّوها الأجَيْلح[1] ليركبن بهم الطريق ، يريد علياً •

* * *

(١) هو من انحسر شعره من جانبي راسه •

قولُ عُمرَ في أهلِ الشّورى

عبد الرزاق عن مَعْمَر عن قَتادة قال : اجتمع نفر فيهم المُغيرة بن شُعبة ، فقالوا : مَن تَرَوْن أمير المؤمنين مستخلِفاً ؟ فقال قائل : عليٌّ ، وقال قائل : عثمان ، وقال قائل : عبد الله بن عمر فإنّ فيه خلفاً ، فقال المغيرة : أفلا أعلم لكم ذاك ؟ قالوا : بلى ، قال : وكان عمر يركب كل سبت إلى أرض له ، فلما كان يوم السبت ذكر المغيرة إبّانه ، فوقف على الطريق ، فمر بـه على أتانٍ له ، تحتـه كساءٌ قد عطفه عليها ، فسلّم عمر ، فردّ عليه المغيرة ، ثم قال : يا أمير المؤمنين ، أتأذن لي أن أسيرَ معك ؟ قال : نعم •

فلما أتى عمر ضَيْعته نزل عن الأتان ، وأخذ الكساء فبسطه واتكأ عليه ، وقعد المغيرة بين يديه ، فحدّثه ، ثم قال المغيرة : يا أمير المؤمنين ، إنك والله ماتدري ما قدر أجلك ، فهلا حددت للناسَ حداً ، أو علّمت لهم علماً ينتهون إليه ؟

قال : فاستوى عمر جالساً ثم قال : هيه ، اجْتَمَعْتم فقلتم : من ترون أمير المؤمنين مستخلفاً ؟ فقال قائل : علياً ، وقال قائل : عبد الله بن عمر ، فإنّ فيـه خَلَفاً ، قال : فلا يأمنوا يَسأل عنها رجلان من آل عمر ؟! فقلت : أنا لا أعلم لك ذلك •

قال : قلت : فاستخلِف ، قال : من ؟ قلت : عثمان ، قال : أخشى عقده ، وأثرته •

قال : قلت : عبد الرحمن بن عوف ، قال : مؤمن ضعيف •

قال : قلت : فالزبير ، قال : ضرس •

قال : قلت : طلحة بن عبيد الله ، قال : رضاؤه رضاءُ مؤمن ، وغضبه غضب كافر ، أما إني لو ولَّيتها إياه لجعل خاتمه في يد امرأته .

قال : قلت : فعليٌّ ؟ قال : أما إنه أحراهم ــ إن كان ــ أن يقيمهم على سنَّة نبيهم ﷺ ، وقد كنَّا نعيب عليه مزاحه[1] كانت فيه .

عبد الرزاق عن مَعْمَر عن الزُّهْري عن سالم عن ابن عمر قال : دخلت على حَفْصة ، فقالت : علمت أن أباك غير مستخلف ؟ قال : قلت : ما كان ليفعل ، قالت : إنه فاعل ، قال : فحلفت أن أكلِّمه في ذلك ، فسكت حتى غزوت ولم أكلِّمه ، قال : وكنت كأنَّما أحمل بيميني جبلاً ، حتى رجعت ، فدخلت عليه ، فسألني عن حال الناس ، وأنا أخبره ، ثم قلت له : إني سمعت الناس يقولون مقالة ، فآليت أن أقولها لك ، زعموا أنك غير مستخلف ، وإنه لو كان لَكَ راعي إبل أو راعي غنمٍ ، ثم جاءك وتركها ، رأيت أن قد ضيّع ، فرعاية الناس أشدّ .

قال : فوافقه قولي ، فوضع رأسه ساعة ، ثم رفعه إليَّ ، فقال : إن الله يحفظ دينه ، وإني إن لا أستخلف ، فإن رسول الله ﷺ لم يستخلف ، وإن أستخلف ، فإن أبا بكر قد استخلف ، قال : فما هو إلاّ أن ذكر رسول الله ﷺ وأبا بكر ، فعلمت أنه لم يكن ليعدل برسول الله ﷺ ، وأنه غير مستخلف .

---

(١) أي هزل ومداعبة .

استخلاف أبي بكر (عمر) رحمهما الله

عبدالرزاق عن مَعْمَر عن الزُهْري عن القاسم بن محمد عن أسماء بنت عُميس قالت : دخل رجل من المهاجرين على أبي بكر رحمه الله ، وهو شاكٍ ، فقال : استخلفتَ عمر ، وقد كان عتا[1] علينا ولا سلطان له ، فلو قد ملكنا لكان وعِتا[2] علينا وأعتى ، فكيف تقول لله إذا لقيته ؟ فقال أبو بكر : أجلسوني ، فأجلسوه ، فقال : هل تُفرّقني[3] إلا بالله ، فإني أقول إذا لقيته : استخلفتُ عليهم خير أهلك .

قال مَعْمَر : فقلت للزُهْري : ما قوله : خير أهلك ؟ قال : خير أهل مكة .

* * *

(١) العتو التجبر والتكبر والقسوة . ـ النهاية ـ القاموس المحيط .

(٢) أي عسيرا وفيه شده . ـ النهاية ـ القاموس المحيط .

(٣) أي تخوفني .

بيعة أبي بكر رضي الله عنه

عبد الرزاق عن مَعْمَر عن أيوب عن عِكْرِمة قال : لما بويع لأبي بكر تخلّف عليٌّ في بيته ، فلقيه عمر ، فقال : تخلّفت عن بيعة أبي بكر ؟ فقال : إني آليتُ بيمين حين قبض رسول الله ﷺ ألا أرْتدي برداءٍ إلاّ إلى الصلاة المكتوبة ، حتى أجمع القرآن ، فإني خشيت أن يتفلّت القرآن ، ثم خرج فبايعه(١) .

عبد الرزاق عن مَعْمَر عن أبي إسحاق عن العلاء بن عيزار قال : سألت ابن عمر عن علي وعثمان ، فقال : أما عليٌّ فهذا بيته ــ يعني بيته قريب من بيت النبي ﷺ في المسجد ــ وسأحدثك عنه ــ يعني عثمان ــ وأمّا عثمان رحمه الله فإنه أذنب فيما بينه وبين الله ذنباً عظيماً ، فغفر له ، وأذنب فيما بينه وبينكم ذنباً صغيراً فقتلتموه .

أخبرنا عبد الرزاق قال : أخبرنا ابن مبارك عن مالك بن مِغول عن ابن أبجر ، قال : لما بويع لأبي بكر رضي الله عنه ، جاء أبو سفيان إلى علي فقال : غلبكم على هذا الأمر أذلُّ أهل بيت في قريش ، أما والله لأملأنّها خيلاً ورجالاً ، قال : فقلت : ما زلت عدوّاً للإسلام وأهله ، فما ضرّ ذلك الإسلام وأهله شيئاً ، إنا رأينا أبا بكر لها أهلاً(٢) .

---

(١) من المرجح أن بيعة علي تمت بعد وفاة زوجته فاطمة ابنة النبي ﷺ ، انظر انساب الأشراف : ١/٥٨٦ ــ ٥٨٧ .

(٢) انظر أنساب الأشراف : ١/٥٨٨ ــ ٥٨٩ .

أخبرنا عبد الرزاق قال : أخبرنا مَعْمَر عن أيوب عن ابن سيرين قال : رجل لعليّ : أخبرني عن قريش ، قال : أوزننا أحلاماً إخوتنا بني أمية ، وأنجدنا عند اللقاء ، وأسخانا بما ملكت اليمين فهم بنو هاشم ؛ وريحانة قريش التي تشم بها بني المغيرة ، إليك عنّي سائر اليوم .

أخبرنا عبد الرزاق قال : أخبرنا معمر قال : قال رجل لعليّ : أخبرني عن قريش ، قال : أمّا نحن بنو هاشم فأنجاد ، أمجاد ، هداة ، أجواد ، وأما إخواننا بنو أمية قادة ذادة[1] ، وريحانة قريش التي تشم بها بني المغيرة .

* * *

(١) الذادة جمع ذائد وهو الحامي الدافع ، قيل أراد انهم يذودون عن الحرم .

غزوة ذات السلاسل وخبر علي ومعاوية

عبد الرزاق عن مَعْمَر عن الزُهري ، قال : ثم إن رسول الله ﷺ بعدما هاجر ، وجاء الذين كانوا بأرض الحبشة ، بعث بعثين قبل الشام ، إلى كلب وبلقين(1) ، وغسّان وكفّار العرب الذين في مشارف الشام ، فأمّر رسول الله ﷺ على أحد البعثين أبا عُبيدة بن الجراح ، وهو أحد بني فِهْر ، وأمّر على البعث الآخر عمرو بن العاص ، فانتدب في بعث أبي عبيدة أبو بكر وعمر .

فلما كان عند خروج البعثين ، دعا رسولُ الله ﷺ أبا عبيدة بن الجراح وعمرو بن العاص ، فقال لهما : لا تتعاصيا ، فلما فصلا عن المدينة ، جاء أبو عبيدة ، فقال لعمرو بن العاص : إن رسول الله ﷺ عهد إلينا أن « لا تتعاصيا » فإمّا أن تُطيعني وإمّا أن أطيعك ، فقال عمرو بن العاص : بل أطِعْني .

فأطاعه أبو عبيدة ، فكان عمروٌ أمير البعثين كليهما ، فوجد من ذلك عمر بن الخطاب وجداً شديداً ، فكلّم أبا عبيدة ، فقال : أتُطيع ابن النابغة ، وتؤمّره على نفسك ، وعلى أبي بكر ، وعلينا ، ما هذا برأي ! فقال أبو عُبيدة لعمر بن الخطاب : ابنَ أمّ ، إنّ رسول الله ﷺ عَهِدَ إليّ وإليه أن « لا تتعاصيا » ، فخشيت إن لم أطعه أن أعصي [رسول الله ﷺ ، وبعدما رجع أخبر](2) رسول الله ﷺ ، وشكى إليه ذلك ، فقال رسول الله ﷺ : ما أنا بمؤثر بها عليكم — إلاّ بعدكم ، يريد المهاجرين — وكانت تلك الغزوة تُسمّى ذات

---

(1) أي بنو القين .

(2) زيادة اقتضاها السياق .

السلاسل[1] أسر فيها ناس كثير من العرب ، وسُبُوا •

ثم أمَّر رسول الله ﷺ بعد ذلك أسامة بن زيد ، وهو غلام شابٌ فانتدب في بعثة عمر بن الخطاب ، والزبير بن العوام ، فتُوُفِّي رسول الله ﷺ قبل أن يفصل ذلك البعث ، فأنفذه أبو بكر الصديق ، بعد رسول الله ﷺ •

ثم بعث أبو بكر حين وَلِي الأمر بعد وفاة رسول الله ﷺ ثلاثة أمراء إلى الشام[2] : وأمَّر خالد بن سعيد على جندٍ ، وأمَّر عمرو بن العاص على جند ، وأمَّر شُرحبيل بن حَسَنة على جند ، وبعث خالد بن الوليد على جند قِبَل العراق •

ثم إن عمر كلَّم أبا بكر ، فلم يزل يكلِّمه حتى أمَّرَ يزيد بن أبي سفيان على خالد بن سعيد وجنده ، وذلك من موجدة وجدها عمر بن الخطاب على خالد بن سعيد ، حين قدم من اليمن ، بعد وفاة رسول الله ﷺ ، فلقي عليَّ بن أبي طالب خالد بن سعيد ، فقال : أغُلبتم يا بني عبد مناف على أمركم ؟ فلم يحملها عليه أبو بكر[3] ، وحملها عليه عمر ، فقال عمر : فإنك لتترك إمرته على التغالب ، فلما استعمله أبو بكر ، ذكر ذلك ، فكلَّم أبا بكر ، فاستعمل مكانه يزيد بن أبي سفيان ، فأدركه يزيد أميراً ، بعد أن وصل الشام بذي المروة •

وكتب أبو بكر [إلى] خالد بن الوليد ، فأمره بالمسير إلى الشام بجنده[4] ، ففعل ، فكانت الشام على أربعة أمراء حتى تُوُفِّي أبو بكر •

فلمَّا استخلف عمر نزع خالد بن الوليد ، وأمَّر مكانه أبا عبيدة بن الجراح •

---

(١) لم يزد الذين عرفوها على القول « موقع بمشارف الشام ، وقد روى خبرها ابن اسحق — الروض الانف : ٤/٢٣٩ — ٢٤٠ • الواقدي : ٢/٧٦٩ — ٧٧٤ • البخاري — فتح البـاري : ٨/٧٤ • الطبري : ٣/٣٢ — وعنده أنها كانت سنة ثمان — وجاءت روايات هؤلاء الائمة متوافقة مع بعضها البعض متعارضة مع روايـة الزهري هذه — انظر أيضـا المرصع لابن الأثير • معجم البلدان • المغـانم المطابه للفيروز أبادي •

(٢) انظر تعليل بعثه لثلاثة أمراء بدلا من واحد في كتابي تاريخ العرب والاسلام : ٧٩ — ٨٤ •

(٣) انظر أنساب الأشراف : ١/٥٨٨ •

(٤) انظر سبب ذلك في تاريخ العرب والاسلام : ٨١ •

ثم قدم الجابية[1] فنزع شُرحبيل بن حَسَنة ، وأمرَ جنده أن يتفرّقوا في الأمراء الثلاثة . فقال شُرحبيل بن حَسَنة : يا أمير المؤمنين ، أعجزتُ أم خُنتُ ؟ قال : لم تعجزْ ولم تخُنْ ، قال : ففيمَ عزلتَني ؟ قال : تحرجت أن أؤمّرك وأنا أجد أقوى منك ، قال : فاعذُرْني يا أمير المؤمنين ، قال : سأفعل، ولو علمت غير ذلك لم أفعل ، قال : فقام عمر فَعَذَرَه[2] ، ثم أمر عمرو بن العاص بالمسير إلى مصر[3] .

وبقي الشام على أميرين : أبي عبيدة بن الجراح ، ويزيد بن أبي سفيان ، ثم توفي أبو عبيدة بن الجراح[4] ، فاستخلف خالداً ، وابن عمه عياض بن غَنْم . فأقرّه عمر ، فقيل لعمر : كيف تُقِرُّ عياض بن غَنْم ، وهو رجل جواد لا يمنع شيئاً يُسأله ؟ وقد نزعت خالد بن الوليد في أن كان يُعطي دونك[5] ؟ فقال عمر : إنّ هذه شيمة عياض في ماله حين يخلص إلى ماله ، وإني مع ذلك لم أكن لأغيّر أمراً قضاه أبو عبيدة بن الجراح .

قال : ثم تُوُفّي يزيد بن أبي سفيان ، فأمّر مكانه معاوية ، فنعاه عمر إلى أبي سفيان ، فقال : احتسب يزيد يا أبا سفيان ، قال : يرحمه الله ، فمن أمّرت مكانه ؟ قال : معاوية ، قال : وصلتْك رحم .

قال : ثم توفي عياض بن غَنْم ، فأمّر مكانه عُمير بن سعد الأنصاري ، فكانت الشام على معاوية وعُمير ، حتى قتل عمر .

فاستُخْلِف عثمان بن عفان فعزل عميراً ، وترك الشام لمعاوية ، ونزع المُغيرة بن شُعبة عن الكوفة ، وأمّر مكانه سعد بن أبي وقّاص ، ونزع عمرو بن

---

(١) معسكر من اعمال دمشق في ناحية الجولان لم يكن بعيدا عن منطقة الكسوة الحالية ، الى الجنوب الشرقي منه بلدة الصنمين ـ معجم البلدان .

(٢) اي أبدى للناس عذره ، ودفع التهمة عنه .

(٣) كان ذلك سنة عشرين للهجرة ـ انظر تاريخ خليفة : ١/١٣٦ .

(٤) حدثت وفاته مع وفاة يزيد بن ابي سفيان في عام ثمانية عشر للهجرة في طاعون عمواس . انظر تاريخ خليفة : ١/١٣٠ .

(٥) أي دون اذنك ومعرفتك .

العاص عن مصر ، وأمّر مكانه عبد الله بن سعد بن أبي سرح ، ونزع أبا موسى الأشعري ، وأمّر مكانه عبد الله بن عامر بن كُريز ، ثم نزع سعد بن أبي وقّاص من الكوفة ، وأمّر الوليد بن عُقبة ، ثم شهد على الوليد فجلده ، ونزعه[1] ، وأمّر سعيد بن العاص مكانه •

ثم قال الناس ، ونشبوا في الفتنة ، فحجّ سعيد بن العاص ، ثم قفل من حجّه ، فلقيته خيل العراق ، فأرجعوه من العُذيب[2] ، وأخرج أهل مصر عبد الله بن سعد بن أبي سرح[3] ، وأقرّ أهل البصرة عبد الله بن عامر بن كُريز •

فكان كذلك أول الفتنة ، حتى إذا قتل عثمان رحمه الله ، بايع الناس عليّ ابن أبي طالب ، فأرسل إلى طلحة والزبير : إن شئتما فبايعاني ، وإن شئتما بايعتُ أحدكما ؟ قالا : بل نبايعك ، ثم [طمرا][4] إلى مكة ، وبمكة عائشة زوج النبي ﷺ [تتكلم] بما يتكلما به[5] ، فأعانتهما على رأيهما ، فأطاعهم ناس كثير من قريش ، فخرجوا قِبل البصرة يطلبون بدم ابن عفان ، وخرج معهم عبد الرحمن ابن أبي بكر ، وخرج معهم عبد الرحمن بن عتّاب بن أسيد ، وعبد الله بن الحارث بن هشام ، وعبد الله بن الزبير ، ومروان بن الحكم[6] ، في أناس من قريش ، كلّموا أهل البصرة ، وحدّثوهم أن عثمان قُتل مظلوماً ، وأنهم جاءوا تائبين مما كانوا غلَوا به في أمر عثمان ، فأطاعهم عامّة أهل البصرة ، واعتزل

---

(١) عزله عام تسعة وعشرين ، بعدما شهد عليه بالصلاة وهو سكران ـ انظر تاريخ خليفه : ١/١٦٩

(٢) كان ذلك سنة أربع وثلاثين ، وولى أهل الكوفة مكانه أبا موسى الأشعري ، والعذيب ماء على مثربة من القادسية ، انظر تاريخ خليفة : ١/١٨٠ • معجم البلدان •

(٣) كان ذلك في العام الذي قتل فيه عثمان ، وهو عام خمسة وثلاثين ـ انظر تاريخ خليفه : ١/١٩٥•

(٤) أضيف ما بين الحاصرتين من أنساب الأشراف : ٢/٢١٩ ، وذلك من رواية عن الزهري ، والمقصود بقوله : طمرا الى مكة ، خرجا سرا •

(٥) أضيف ما بين الحاصرتين كيما يستقيم السياق ، اما ما تكلموا به فهو أن عثمان قتل مظلوما مع الايحاء بشيء من التهمة الى علي بن أبي طالب • انظر أنساب الأشراف : ٢/٢١٧ ـ ٢٢١ •

(٦) كان الذي أعانهم في مكة وساعدهم على الذهاب الى البصرة ، يعلى بن منبه ، وكان قدم مكة من اليمن حيث كان واليا ، ومعه مال كثير وزيادة على اربعمائة ناقة • أنساب الأشراف : ٢/٢٢١ ـ ٢٢٦ •

الأحنف بمن معه من تميم ، وخرجت عبد القيس إلى عليٍّ بن أبي طالب بعامة من أطاعها[1] .

وركبت عائشة جملاً لها ، يقال له عسكر ، وهي في هودج قد ألبسته الدفوف ــ يعني جلود البقر ــ فقالت : إنما أريد أن يَحْجُزَ بين الناس مكاني ، قالت : ولم أحسب أن يكون بين الناس قتال ، ولو علمت ذلك لم أقف ذلك الموقف أبداً .

قالت : فلم يسمع الناس كلامي ، ولم يلتفتوا إليَّ ، وكان القتال ، فقتل يومئذ سبعون من قريش[2] ، كلهم يأخذ بخطام جمل عائشة حتى يقتل ، ثم حملوا الهودج حتى ادخلوه منزلا من تلك المنازل ، وجُرح مروان جراحاً شديدة ، وقُتل طلحة بن عبيد الله يومئذٍ[3] ، وقتل الزبير بعد ذلك بوادي السباع[4] ، وقفلت عائشة ومروان بمن بقي من قريش ، فقدموا المدينة ، وانطلقت عائشة فقدمت مكة .

فكان مروان والأسود بن أبي البَخْتَري على المدينة وأهلها ، يغلبان عليها .

وهاجت الحرب بين عليٍّ ومعاوية ، فكانت بعوثهما تَقْدم المدينة ، وتَقْدم مكة للحج ، فأيهما سبق فهو أمير الموسم أيام الحج للناس[5] ، ثم إنها أرسلت أم حبيبة زوج النبي ﷺ إلى أم سلمة قالت إحداهما للأخرى : تعالَيْ نكتب إلى معاوية وعليٍّ أن يقلعا عن هذه البعوث التي تروع الناس ، حتى تجتمع الأمّة

---

(١) انظر حول ملابسات ذلك : تاريخ خليفة : ٢٠٢/١ . الطبري : ٤٦٩/٤ ــ ٤٧٢ ، ٤٨١ .

(٢) انظر الثبت الذي قدمه خليفة بن خياط ، في تاريخه : ٢٠٨/١ ــ ٢١٢ .

(٣) اتهم مروان بن الحكم بقتله غيلة . انظر تاريخ خليفه : ٢٠٥/١ . أنساب الأشراف : ٢٤٦/٢ ــ ٢٥٠ .

(٤) قتله رجل من تميم عرف بعمرو بن جرموز ، انظر تاريخ خليفه : ٢٠٨/١ . أنساب الأشراف : ٢٥١/٢ ــ ٢٥٩ . تاريخ الطبري : ٥٣٤/٤ ــ ٥٣٥ ، ويقع وادي السباع على قرابة خمسة اميال من البصرة على الطريق الآخذ الى مكة . انظر معجم ما استعجم .

(٥) انظر تاريخ خليفة بن خياط : ٢٢٥/١ ــ ٢٢٦ .

على أحدهما ، فقالت أم حبيبة : كفيتك أخي معاوية ، وقالت أم سلمة : كفيتك علياً ، فكتبت كلٌّ واحدة منهما إلى صاحبها ، وبعثت وفداً من قريش والأنصار، فأمّا معاوية فأطاع أمّ حبيبة ، وأمّا عليٌّ فهمّ أن يطيع أمّ سلمة ، فنهاه الحسن بن علي عن ذلك ، فلم تزل بعوثهما وعمّالهما يختلفون إلى المدينة ومكة ، حتى قُتل عليٌّ رحمه الله تعالى .

ثم اجتمع الناس على معاوية ، ومروانُ وابنُ البَخْتَرِي يغلبان على أهل المدينة في تلك الفتنة .

وكانت مصر في سلطان عليٍّ بن أبي طالب ، فأمّر عليها قيس بن سعد بن عُبادة الأنصاري ، ـ وكان حاملَ راية الأنصار مع رسول الله ﷺ يوم بدر ، وغيره [قيس بن](1) سعدُ بن عبادة ـ وكان قيس من ذوي الرأي من الناس ، إلاّ ما غلب عليه من أمر الفتنة ، فكان معاوية وعمرو بن العاص جاهدين على إخراجه من مصر ، ويغلبان على مصر ، وكان قد امتنع منهما بالدهاء والمكيدة . فلم يقدرا على أن يفتحا مصر ، حتى كاد معاوية قيس بن سعد من قبَل عليّ .

قال : فكان معاوية يُحدّث رجالاً من ذوي الرأي من قريش ، فيقول : ما ابتدعت من مكيدة قطّ أعجب عندي من مكيدة كايَدْتُ بها قيس بن سعد ، من قِبَل عليٍّ ، وهو بالعراق ، حين امتنع مني قيس" ، فقلت لأهل الشام : لا تسبّوا قيساً ، ولا تَدْعُوني إلى غزوه ، فإن قيساً لنا شيعة" ، تأتينا كتبه ونصيحته ، ألا ترون ما يفعل بإخوانكم الذين عنده من أهل خَرْبتا(2) ، يُجري عليهم أعطيتهم وأرزاقهم ، ويؤمّن سربهم(3) ، ويُحسن إلى كل راغب قدم عليه ، فلا نستنكره في نصيحته .

---

(1) اضيف ما بين الحاصرتين ليستقيم مع السياق ، واعتمادا على مغازي الواقدي : ٨٢٥/٢ . فتح الباري : ٩/٨ .

(2) من كور مصر قرب الاسكندرية بها اعتصم الرافضين من جند مصر بيعة علي . انظرها في معجم البلدان .

(3) في القاموس : السارب الذاهب على وجهه في الأرض .

قال معاوية : وطفقت أكتب بذلك إلى شيعتي من أهل العراق ، فسمع بذلك مني جواسيس علي ، الذين عندي من أهل العراق ، فلما بلغ ذلك علياً ـــ ونماه إليه عبد الله بن جعفر ، ومحمد بن أبي بكر الصديق ـــ اتّهَمَ قيس بن سعد ، وكتب إليه يأمره بقتال أهل خربتا ، وأهل خَربتا يومئذٍ عشرة آلاف ، فأبى قيس أن يقاتلهم ، وكتب إلى عليّ : أنهم وجوه أهل مصر وأشرافهم ، وذوي الحفاظ منهم ، وقد رضوا مني بأن أؤمّن سربهم ، وأجري عليهم أعطياتهم ، وأرزاقهم ، وقد علمت أنّ هواهم مع معاوية ، فلست مكايدهم بأمر أهونَ عليّ وعليك مِن أن نفعل ذلك بهم اليوم ، ولو دعوتهم إلى قتالي كانوا قرناء ، هم أسود العرب ، وفيهم بُسر بن أرطاة ، ومسلمة بن مخلد ، ومعاوية بن حديج الخولاني ، فذرني ورأيي فيهم ، وأنا أعلم بما أداري منهم ، فأبى عليه عليّ إلاّ قتالهم ، فأبى قيس أن يقاتلهم ، وكتب قيس إلى عليّ : إن كنت تتّهمني فاعتزلني عن عملك وأرْسِل إليه غيري ، فأرسل الأشتر أميراً على مصر ، حتى إذا بلغ القلزم[1] شرب بالقُلزم شربة من عسل ، فكان فيها حتفه ، فبلغ ذلك معاوية وعمرو بن العاص ، فقال عمرو بن العاص : إن لله جنوداً من عسل ، فلما بلغت علياً وفاة الأشتر ، بعث محمد بن أبي بكر ، أميراً على مصر ، فلما حُدّث به قيس بن سعد قادماً أميراً عليه ، تلقّاه ، فخلا به ، وناجاه ، وقال : إنك قد جئت من عند امرىء لا رأي له في الحرب ، وإنه ليس عزلكم إيّايَ بمانعي أن أنصح لكم ، وإني مِن أمركم على بصيرة ، وإني أدُلّكَ على الذي كنتُ أكايد به معاوية وعمرو بن العاص وأهل خربتا ، فكايدهم به ، فإنك إن كايدتهم بغيره تهلك ، فوصف لـه قيس المكايدة التي كايدهم بها ، فاغتشه محمد بن أبي بكر ، وخالفه في كلّ شيءٍ أمره به ، فلمّا قدم محمد بن أبي بكر مصر ، خرج قيس قِبَلَ المدينة ، فأخافه مروان والأسود بن أبي البختري ، حتى إذا خاف أن يُؤخذ ويقتل ، ركب راحلته فظهر إلى عليّ .

(١) السويس حاليا .

فكتب معاوية إلى مروان والأسود بن أبي البختري يتغيّظ عليهما ، ويقول: أمددتما عليّاً بقيس بن سعد ، وبرأيه ومكايدته ، فوالله لو أمددتماه بمائة ألف مقاتل ما كان ذلك بأغيظ لي من إخراجكما قيس بن سعد إلى عليّ .

فقدم قيس بن سعد إلى عليّ ، فلما بان له الحديث وجاءه قتلُ محمد بن أبي بكر ، عَرَفَ عليٌّ أنَّ قيس بن سعد كان يُداري منهم أموراً عِظاماً من المكايدة التي قصّر عنها رأي عليٍ ، ورأي من كان يؤازره على عزل قيس ، فأطاع عليٌّ قيساً في الأمر كله ، وجعله على مقدمة أهل العراق ، ومن كان بأذربيجان ، وأرضها ، وعلى شرطة الخمسين الذين انتدبوا للموت ، وبايعه أربعون ألفاً كانوا بايعوا عليّاً على الموت ، فلم يزل قيس بن سعد يسُدّ بمكيدته ذلك الثغر حتى قتل عليٌّ .

واستخلف أهل العراق الحسن بن علي على الخلافة ، وكان الحسن لا يريد القتال ، ولكنه كان يريد أن يأخذ لنفسه ما استطاع من معاوية ، ثم يدخل في الجماعة ويبايع ، فعرف الحسن أن قيس بن سعد لا يوافقه على ذلك فنزعه ، وأمَّر مكانه عبيد الله بن العباس ، فلما عرف عبيد الله بن العباس الذي يريد الحسن أن يأخذ لنفسه ، كتب عبيد الله إلى معاوية يسأله الأمان ، ويشترط لنفسه على الأموال التي أصاب ، فشرط ذلك معاوية [له] وبعث إليه ابنَ عامر في خيل عظيمة ، فخرج إليهم عبيد الله ليلا ، حتى لحق بهم ، وترك جنده الذين هو عليهم لا أمير لهم ، ومعهم قيس بن سعد ، فأمّرت شرطة الخمسين قيس بن سعد ، وتعاهدوا وتعاقدوا على قتال معاوية ، وعمرو بن العاص ، حتى يشترط لشيعة عليّ ولمن كان اتبعه على أموالهم ودمائهم وما أصابوا من الفتنة ، فخلص معاوية حين فرغ من عبيد الله والحسن ، إلى مكايدة رجل هُوَ أهمُّ الناس عنده مكيدة ، وعنده أربعون ألفاً ، فنزل بهم معاوية وعمرو [و] أهل الشام أربعين ليلة ، يُرسل معاوية إلى قيس ، ويُذَكِّرُه الله ، ويقول : على طاعة من تُقاتلني؟ ويقول : قد بايعني الذي تقاتل على طاعته ، فأبى قيس أن يُقرّ له ، حتى أرسل

معاوية بسجل قد ختم له في أسفله ، فقال : أكتب في هذا السجل ، فما كتبت فهو لك ، فقال عمرو لمعاوية : لا تعطه هـذا وقاتله ، فقال معاويـة ــ وكان خير الرجلين ــ : على رسلك ، يا أبا عبد الله ، فإنا لن نخلص إلى قتـل هؤلاء حتى يُقتل عددهم من أهل الشام ، فما خير الحياة بعد ذلك ؟ وإني والله لا أقاتله حتى [لا] أجدَ من ذلك بُدّاً ، فلما بعث إليه معاوية بذلك السجلّ ، اشترط قيس بن سعد لنفسه ، ولشيعة عليٍ الأمان على ما أصابوا من الدماءِ ، والأموال ، ولم يسأل معاوية في ذلك مالاً ، فأعطاه معاوية ما اشترط عليه ، ودخل قيس ومـن معه في الجماعة .

وكان يُعدّ في العرب حتى ثارت الفتنة الأولى خمسة ، يُقال لهم ذَوُوا رأي العرب ومكيدتهم : يُعَدُّ من قريش معاوية ، وعمرو ، ويُعَدُّ من الأنصار قيس بن سعد ، ويُعَدُّ من المهاجرين عبد الله بن بُديل بن ورقاء الخـزاعي ، ويُعَدُّ من ثقيف المغيرة بن شعبة ، فكان مع عليّ منهم رجلان : قيس بن سـعد وعبد الله بن بُديل ، وكان المغيرة معتزلاً بالطائف وأرضها .

فلما حُكّم الحكمان فاجتمعا بأذْرُح(١) وافاهما المغيرة بن شعبة ، وأرسل الحكمان إلى عبد الله بن عُمر ، وإلى عبد الله بن الزبير ، ووافى رجال كثير ، من قريش ، ووافى معاوية بأهل الشـام ، ووافى أبو موسى الأشعري ، وعمرو بن العاص ، وهما الحكمان ، وأبى عليٌ وأهل العراق أن يُوافُوا ، فقال المغيرة بن شعبة لرجال من ذوي رأي أهل قريش : هل ترونَ أحداً يقدر على أن يستطيع أن يعلم : أيجتمع هذان الحكمان ، أم لا ؟ فقالوا له : لا نرى أنّ أحـداً يعلم ذلك ، قال : فوالله إني لأظُنُّني سأعلمه منهما حين أخلو بهما فأراجعهما ، فدخل على عمرو بن العاص ، فبدأ به ، فقال : يا أبا عبد الله أخبرني عما أسألك عنه : كيف ترانـا معشـر المعتزلـة(٢) ، فإنّا قـد شككنا في هـذا الأمـر الذي

---

(١) المعتقد أنها درعا الحالية في سورية .

(٢) يرى البعض أن الذين اعتزلوا القتال يوم صفين ، وأطلق عليهم اسم « معتزلة » هم مـع تسميتهم أصل الحركة التي ستعرف فيما بعد باسم « المعتزلة » .

قد تبيّن لكم في هذا القتال ، ورأينا نستأني ونتثبّت ، حتى تجتمع الأمة على رجل ، فندخل في صالح ما دخلت فيه الأمة ؟ فقال عمرو : أراكم معشر المعتزلة خلف الأبرار ، ومعشر الفجّار . فانصرف المغيرة ، ولم يسأله عن غير ذلك ، حتى دخل على أبي موسى الأشعري ، فخلا به ، فقال له نحواً مما قال لعمرو ، فقال أبو موسى : أراكم أثبت الناس رأياً ، وأرى فيكم بقية المسلمين، فانصرف فلم يسأله عن غير ذلك ، قال : فلقي أصحابه الذين قال لهم ما قال : من ذوي رأي قريش ، قال : أقسم لكم ، لا يجتمع هذان على رأي واحد ، وليدعونّ كلّ واحد منهما إلى رأيه .

فلمّا اجتمع الحكمان وتكلّما خاليين ، فقال عمرو : يا أبا موسى ، أرأيت أول ما نقضي به في الحق ، علينا أن نقضي لأهل الوفاء بالوفاء ، ولأهل الغدر بالغدر ، فقال أبو موسى : وما ذاك ؟ قال : ألست تعلم أن معاوية وأهل الشام قد وافوا للموعد الذي وعدناهم إيّاه ؟ فقال : [نعم ، فقال](1) : فاكتبها ، فكتبها أبو موسى ، فقال عمرو : قد أخلصت أنا وأنت على أن نسمي رجلاً يلي أمر هذه [الأمة] ، فسمّ يا أبا موسى فإني أقدر على أن أبايعك على أن تبايعني ، فقال أبو موسى : أسمّي عبد الله بن عمر بن الخطاب — وكان عبد الله بن عمر فيمن اعتزل(2) — فقال عمرو : فأنا أسمّي لك معاوية بن أبي سفيان ، فلم يبرحا من مجلسهما ذلك حتى اختلفا واستبّا(3) ، ثم خرجا إلى الناس ، ثم قال أبو موسى : يا أيّها الناس ، إني قد وجدت مثل عمرو بن العاص مثل الذي قال الله تبارك وتعالى (وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانْسَلَخَ مِنْهَا)(4) حتى بلغ (لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ)(5) .

---

(1) أضيف ما بين الحاصرتين كيما يستقيم السياق ، وضمير قال الاولى يعود على أبي موسى وقال الثانية على عمرو بن العاص .

(2) كما كان قريبا بالمصاهرة الى أبي موسى .

(3) انظر كتابي التأريخ عند العرب : ١٨٩ — ٢١٥ حيث أسهر الروايات العربية حول التحكيم .

(4) الأعراف : ١٧٥ .

(5) الاعراف : ١٧٦ .

وقال عمرو بن العاص : يا أيها الناس ، إني وجدت مثل أبي موسى مثل الذي قال الله تبارك وتعالى : (مَثَلُ الَّذِينَ حُمِّلُوا التَوْرَاةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوها كَمَثَلِ الحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَاراً) حتى بلغ (الظَّالِمِين)[1]. ثم كتب كل واحد منهما بالمثل الذي ضرب لصاحبه إلى الأمصار .

قال الزُهري عن سالم عن ابن عمر .

قال مَعْمَر : وأخبرني ابن طاووس عن عكرمة بن خالد عن ابن عمر قال : فقام معاوية عشيّةً ، فأثنى على الله بما هو أهله ثم قال : أمّا بعد ، فمن كان متكلّما في هذا الأمر فليطلع لي قرنه ، فوالله لا يطلع فيه أحدٌ إلاّ كنتُ أحقّ به منه ، ومن أبيه ــ قال : يُعرّض بعبد الله بن عمر ، قال عبد الله بن عمر : فأطلقت حَبْوتي ، فأردت أن أقوم إليه ، فأقول : يتكلّم فيه رجال قاتلوك وأباك على الإسلام ، ثم خشيت أن أقول كلمة تفرّق بين الجمع ، وتُسفك فيها الدماءُ، وأحمل فيها على غير رأي ، فكان ما وعدَ الله تبارك وتعالى في الجنان أحبّ إليّ من ذلك كله ، قال : فلما انطلقت إلى منزلي ، أتاني حبيب بن مسلمة ، فقال : ما الذي منعك أن تتكلّم حين سمعت الرجل يتكلّم ؟ فقلت له : لقد أردت ذلك، ثم خشيت أن أقول كلمة تفرّق بين الجمع ، وتُسفك فيها الدماءُ ، وأحمَل فيها على غير رأي ، فكان ما وعد الله تبارك وتعالى في الجنان أحبّ إليّ من ذلك كله، فقال حبيب بن مسلمة لعبد الله بن عمر : فداك أبي وأمي فإنك عُصمت ، وحفظت مما خفت غرته .

* * *

---

(١) الجمعة : ٥ .

حديث الحجاج بن علاط

عبد الرزاق عن مَعْمَر عن ثابت البناني عن أنس بن مالك قال : لما افتتح رسول الله ﷺ خيبر ، قال الحجاج بن عِلاط : يا رسول الله ، إن لي بمكة مالاً، وإن لي بها أهلاً ، وإني أريد أن آتيهم ، فأنا في حِلٍّ إن أنا نِلت منك ، أو قلت شيئاً ؟ فأذن له رسول الله ﷺ على أن يقول ما شاء ، فأتى امرأته حين قدم ، فقال: اجمعي لي ما كان عندك ، فإني أريد أن أشتري من غنائم محمد ﷺ وأصحابه ، فإنهم قد استُبِيحوا ، وأصِيبَتْ أموالهم ، وفشا ذلك بمكة ، فانقمع المسلمون، وأظهر المشركون فرحاً وسروراً ، قال : وبلغ الخبر العباس بن عبد المطلب ، فقعَدَ وجَعَلَ لا يستطيع أن يقوم .

قال مَعْمَر : فأخبرني عثمان الجزري عن مقسم قال : فأخذ ابناً له يشبه رسول الله ﷺ يقال له قُثَم ، فاستلقى ، فوضعه على صدره ، وهو يقول :

حِبِّي قثم ، شبيه ذي الأنف الأشم
نبيِّ ربٍّ ذي النعم، برغم أنف من رغم

قال ثابت : قال أنس : ثم أرسل غلاماً له إلى الحجاج : ماذا جئت به ، وماذا تقول ، فما وعد الله خير مما جئت به ، قال : فقال الحجاج بن عِلاط : اقرأ على أبي الفضل السلام ، وقلْ له : فَلْيَخْلُ في بعض بيوته لآتيه ، فإن الخبر على ما يسرّه ، قال : فجاءه غلامه ، فلما بلغ باب الدار قال : أبشر ، يا أبا الفضل قال : فوثب العباس فرحاً ، حتى قبَّل بين عينيه ، فأخبره بما قال الحجاج ، فأعتقه ، قال : ثم جاءه الحجاج ، فأخبره أن رسول الله ﷺ قد افتتح خيبر ، وغنم أموالهم،

وجرت سهام الله تبارك وتعالى في أموالهم ، واصطفى رسول الله ﷺ صفية ابنة حُيَيّ ، فأخذها لنفسه ، وخيّرها بين أن يعتقها وتكون زوجه ، أو تلحق بأهلها، فاختارت أن يعتقها وتكون زوجه ، ولكني جئت لما كان لي هاهنا ، أردت أن أجمعه فأذهب به ، فاستأذنت رسول الله ، فأذن لي أن أقول ما شئت ، وأخف عني ثلاثاً ، ثم اذكر ما بدا لك ، قال : فجمعت امرأته ما كان عندها من حلي ومتاع ، فدفعته إليه ، ثم انشمر به[1] .

فلما كان بعد ثلاث أتى العباسُ امرأة الحجاج ، فقال : ما فعل زوجك ؟ فأخبرته أن قد ذهب يوم كذا وكذا ، وقالت : لا يُخزيك الله يا أبا الفضل ، لقد شقّ علينا الذي بلغك ، قال : أجل فلا يخزيني الله ، ولم يكن بحمد الله إلاّ ما أحببنا ، فتح الله تبارك وتعالى خيبر على رسوله ﷺ ، وجرت سهام الله تعالى في أموالهم ، واصطفى رسول الله ﷺ صفية لنفسه ، فإن كان لك حاجة في زوجك فالحقي به ، قالت : أظنك والله صادقاً ، قال : فإني والله صادق ، والأمر على ما أخبرتك ، قال : ثم ذهب حتى أتى مجالس قريش ، وهم يقولون إذا مرّ بهم : لا يصيبك إلاّ خير يا أبا الفضل ، قال : لم يصبني إلاّ خير بحمد الله ، قد أخبرني الحجاج بن علاط أن خيبر فتحها الله على رسوله ﷺ ، وجرت فيها سهام الله ، واصطفى رسول الله ﷺ صفية لنفسه ، وقد سألني أن أخفي عنه ثلاثاً ، وإنما جاءَ ليأخذ ماله ، وماله من شيءٍ هاهنا ، ثم يذهب ، قال : فردّ الله تبارك وتعالى الكآبة التي كانت بالمسلمين على المشركين ، وخرج المسلمون ممن كان دخل بيته مُكْتَئِباً ، حتى أتوا العباس فأخبرهم الخبر ، وسُرّ المسلمون ، وردّ الله تبارك وتعالى ما كان [من] كآبة أو غيظ أو حزن على المشركين[2] .

* * *

(١) أي مرجادا . القاموس .

(٢) هذا الحديث مقحم في مغازي الزهري ليس مرويا عنه ، واثر الصنعة العباسية واضح عليه .

خصومة علي والعباس

عبد الرزاق عن مَعْمَر عن الزُهري عن مالك بن أوس بن الحدثان النصري قال : أرسل إليّ عمر بن الخطاب أنه قد حضر المدينة أهل أبيات من قومك ، وإنا قد أمرنا لهم برضخ[1] فاقسمه بينهم ، فقلت : يا أمير المؤمنين ! مُرْ بذلك غيري ، قال : اقبضه أيها المرءُ .

قال : فبَيْنَا أنا كذلك جاءه مولاه فقال : هذا عثمان ، وعبد الرحمن بن عوف ، وسعد بن أبي وقّاص ، والزبير بن العوام ــ قال : ولا أدري أذكر طلحة أم لا ــ يستأذنون عليك ، قال : ائذن لهم .

قال : ثم مكث ساعة ، ثم جاء فقال : هذا العباس وعليٌّ يستأذنان عليك ، قال : ائذن لهما ، قال : ثم مكث ساعة ، قال : فلما دخل العباس قال : يا أمير المؤمنين ، اقض بيني وبين هذا ــ وهما يومئذ يختصمان فيما أفاء الله على رسوله ﷺ من أموال بني النضير ــ فقال القوم : اقض بينهما يا أمير المؤمنين ، وأرح كل واحد منهما من صاحبه ، فقد طالت خصومتهما ، فقال عمر : أنشدكم الله الذي بإذنه تقوم السموات والأرض ، أتعلمون أن رسول الله ﷺ قال : لا نورث، ما تركنا صدقة ؟ قالوا : قد قال ذلك ، ثم قال لهما مثل ذلك ، فقالا : نعم ، قال لهم : فإني سأخبركم عن هذا الفيء ، إن الله تبارك وتعالى خصّ نبيّه ﷺ منه بشيءٍ لم يعطه غيره ، فقال : (مَا أفَاءَ اللهُ عَلَى رَسُولِهِ مِنْهُمْ فَمَا أوْجَفْتُمْ عَلَيْهِ مِنْ خَيْلٍ وَلا رِكَابٍ وَلَكِنَّ اللهَ يُسَلِّطُ رُسُلَهُ عَلَى مَنْ يَشاءُ)[2] ، فكانت هذه لرسول الله ﷺ خاصة ، ثم والله ما احتازها

---

(١) رضخ أعطاه عطاء غير كثير . القاموس .

(٢) الحشر : ٦ .

دونكم ، ولا استأثر بها عليكم ، لقد قسم والله بينكم ، وبثَّها فيكم ، حتى بقي منها هذا المال ، فكان ينفق على أهله منه سنة ـ قال : وربما قال : ويحبس قوت أهله منه سنة ـ ثم يجعل ما بقي منه مجعل مال الله •

فلما قُبض رسول الله ﷺ ، قال أبو بكر : أنا وليُّ رسول الله ﷺ بعده ، أعمل فيه بما كان يعمل رسول الله ﷺ فيها ، ثم أقبل على عليٍّ والعباس فقال : وأنتما تزعمان أنه فيها ظالم ، فاجر ، والله يعلم أنه فيها صادق بار ، تابع للحق •

ثم وليتها بعد أبي بكر سنتين من إمارتي ، فعملت فيها بما عمل رسول الله ﷺ وأبو بكر ، وأنتما تزعمان أني فيها ظالم ، فاجر ، والله يعلم أني فيها صادق بار ، تابع [للحق] ، ثم جئتماني ، جاءني هذا ـ يعني العباس ـ يسألني ميراثه من ابن أخيه ، وجاءني هذا ـ يعني علياً ـ يسألني ميراث امرأته من أبيها ، فقلت لكما : إن رسول الله ﷺ قال : لا نورث ، ما تركنا صدقة" ، ثم بدا لي أن أدفعها إليكما ، فأخذت عليكما عهد الله وميثاقه لَتَعملان فيها بما عمل فيها رسول الله ﷺ وأبو بكر ، وأنا ما وليتُها ، فقلتما : ادفعها إلينا على ذلك ، أتريدان منّا قضاءً غير ذلك ، والذي بإذنه تقوم السماءُ والأرض ، لا أقضي بينكما بقضاءٍ غير هذا ، إن كنتما عجزتما عنها فادفعاها إليّ"[1] •

قال[2] : فغلبه عليٌّ عليها ، فكانت بيد عليٍّ ، ثم بيد حسن ، ثم بيد حسين ، ثم بيد عليِّ بن حسين ، ثم بيد حسن بن حسن ، ثم بيد زيد بن حسن •

قال معمر : ثم بيد عبد الله بن حسن ، ثم أخذها هؤلاء ، يعني بني العباس •

عبد الرزاق عن مَعْمَر عن الزُهري عن عروة وعمرة[3] قالا : إن أزواج النبي ﷺ أرسلن إلى أبي بكر يسألنَ ميراثهنَّ من رسول الله ﷺ ، فأرسلت

---

(١) أخرجه الشيخان في صحيحيهما عن طريق الزهري •

(٢) أي الزهري •

(٣) أما عروة بن الزبير فمعروف ، وعمرة هي ابنة عبد الرحمن ، وقد ترجم ابن سعد لهما معا • انظر طبقات ابن سعد : ٢/٣٨٧ •

إليهن عائشة : ألا تتقين الله ، ألم يقل رسول الله ﷺ : لا نورث ، ما تركنا صدقة ، قال : فرضين بقولها ، وتركن ذلك .

عبد الرزاق عن مَعْمَر عن الزُّهري عن عروة عن عائشة أن فاطمة والعباس أتيا أبا بكر ، يلتمسان ميراثهما من رسول الله ﷺ ، وهما حينئذٍ يطلبان أرضه من فدك[1] ، وسهمه من خيبر ، فقال لهما أبو بكر : سمعت رسول الله ﷺ يقول : لا نُورَث ، ما تركنا صدقة" ، إنما يأكل آل محمد ﷺ من هذا المال ، وإني والله لا أدع أمراً رأيت رسول الله ﷺ يصنعه إلا صنعته .

قال : فهجرته فاطمة ، فلم تكلمه في ذلك ، حتى ماتت ، فدفنها علي ليلاً ، ولم يُؤذن بها أبا بكر ، قالت عائشة : وكان لعلي من الناس حياة فاطمة حبوه[2] ، فلما تُوفيت فاطمة ، انصرفت وجوه الناس عنه ، فمكثت فاطمة ستة أشهر بعد رسول الله ﷺ ثم توفيت .

قال معمر : فقال رجل للزهري : فلم يبايعه علي ستة أشهر ؟ قال : لا ، ولا أحد من بني هاشم ، حتى بايعه علي .

فلما رأى علي انصراف وجوه الناس عنه ، أسرع إلى مصالحة أبي بكر ، فأرسل إلى أبي بكر أن ائتنا ولا تأتنا معك بأحد ، وكره أن يأتيه عمر ، لما يعلم من شدته ، فقال عمر : لا تأتهم وحدك ، فقال أبو بكر : والله لآتينهم وحدي ، وما عسى أن يصنعوا بي ؟ قال : فانطلق أبو بكر ، فدخل على علي ، وقد جمع بني هاشم عنده ، فقام علي ، فحمد الله وأثنى عليه بما هو أهله ، ثم قال : أما بعد ، يا أبا بكر فإنه لم يمنعنا أن نُبايعك إنكار لفضيلتك ، ولا نفاسة عليك بخير ساقه الله إليك ، ولكنا نرى أن لنا في هذا الأمر حقاً ، فاستبديتم به علينا ،

---

(١) قرية على مسافه قريبة من المدينة ، افاءها الله على رسوله ﷺ صلى عام سبعة للهجرة . معجم البلدان .

(٢) أي اختصاص ونصره ـ القاموس .

قال : ثم ذكر قرابته من رسول الله ﷺ ، وحقهم ، فلم يزل يذكر ذلك حتى بكى أبو بكر .

فلما صَمَتَ عليٌّ ، تشهَّد أبو بكر ، فحمد الله وأثنى عليه بما هو أهله ، ثم قال : أمَّا بعد ، فوالله لَقرابة رسول الله ﷺ أحرى إليَّ أن أصل من قرابتي، والله ما ألوت في هذه الأموال التي كانت بيني وبينكم عن الخير ، ولكني سمعت رسول الله ﷺ يقول : لا نورَث ، ما تركنا صدقة" ، وإنما يأكل آل محمد ﷺ في هذا المال ، وإني والله لا أذكر أمراً صنعه رسول الله ﷺ فيه(1) ، إلاّ صنعته إن شاء الله .

ثم قال عليٌّ : موعدك العشيّة للبيعة ، فلما صلَّى أبو بكر الظهر ، أقبل على الناس ، ثم عذر عليّاً ببعض ما اعتذر به ، ثم قام عليٌّ فعظَّم من حق أبي بكر رضي الله عنه ، وفضيلته ، وسابقيته ، ثم مضى إلى أبي بكر فبايعه ، فأقبل الناس إلى عليّ ، فقالوا : أصبت وأحسنت ، قالت : فكان الناس قريباً إلى عليّ حين قارب الأمر والمعروف .

* * *

---

(1) أي في المال .

حديث أبي لؤلؤة قاتل عمر رضي الله عنه

عبد الرزاق عن مَعْمَر عن الزُهري قال : كان عمر بن الخطاب لا يترك أحداً من العجم يدخل المدينة ، فكتب المغيرة بن شعبة إلى عمر : أن عندي غلاماً نجّاراً ، نقاشاً ، حدّاداً ، فيه منافع لأهل المدينة ، فإن رأيت أن تأذن لي أن أرسل به ، فعلتُ ، فأذن له ، وكان قد جعل عليه كل يوم درهمين ، وكان يُدعى أبا لُؤْلُؤة ، وكان مجوسياً في[1] أصله ، فلبث ما شاء الله ، ثم إنه أتى عمر يشكو إليه كثرة خراجه ، فقال له عمر : ما تحسن من الأعمال ؟ قال : نجّار ، نقّاش ، حدّاد ، فقال عمر : ما خراجك بكبير في كنه ما تحسن من الأعمال ، قال: فمضى وهو يتذمّر ، ثم مرّ به وهو قاعد ، فقال : ألم أحَدَّث أنك تقول : لو شئت أن أصنع رحىً تطحن بالريح فعلت ، فقال أبو لؤلؤة : لأصنعنّ رحىً يتحدث بها الناس ، قال : ومضى أبو لؤلؤة ، فقال عمر : أما العبد فقد أوعدني آنفاً ، فلما أزمع بالذي أزمع به ، أخذ خنجراً ، فاشتمل عليه ، ثم قعد لعمر في زاويةٍ من زوايا المسجد ، وكان عمر يخرج بالسحر فيوقظ الناس بالصلاة ، فمرّ به ، فثار إليه ، فطعنه ثلاث طعنات ، إحداهنّ تحت سرّته ، وهي التي قتلته ، وطعن اثنا عشر رجلاً ، من أهل المسجد ، فمات منهم ستة ، وبقي منهم ستة ، ثم نحر نفسه بخنجره ، فمات •

قال مَعْمَر : وسمعت غير الزُهري يقول : ألقى رجل من أهل العراق عليه بُرنُساً ، فلما أن اغتم فيه نحر نفسه •

---

(١) هناك روايات تذكر انه كان نصرانيا •

قال مَعْمَر : قال الزُهري : فلما خشي عمر النزف ، قال : ليُصَلِّ بالناس عبد الرحمن بن عوف .

قال الزُهري : فأخبرني عبد الله بن عباس قال : فاحتملنا عمر أنا ونفرٌ من الأنصار ، حتى أدخلناه منزله ، فلم يزل في غشية واحدةٍ حتى أسفر ، فقال رجل : إنكم لن تفزعوه بشيءٍ إلاّ بالصلاة ، قال : فقلنا : الصلاة يا أمير المؤمنين، قال : ففتح عينيه ، ثم قال : أصلَّى الناس ؟ قلنا : نعم ، قال : أما إنه لا حظّ في الإسلام لأحد ترك الصلاة ــ قال : وربما قال مَعْمَر : أضاع الصلاة ــ ثم صلَّى وجرحه يثعب(1) دماً ، قال ابن عباس : ثم قال لي عمر : اخرج ، فاسأل الناس من طعنني ؟ فانطلقت : فإذا الناس مجتمعون ، فقلت : من طعنَ أمير المؤمنين ؟ فقالوا : طعنه أبو لؤلؤة عدو الله ، غلام المغيرة بن شعبة ، فرجعت إلى عمر وهو يستأني أن آتيه بالخبر ، فقلت : يا أمير المؤمنين ، طعنك عدوّ الله أبو لؤلؤة ، فقال عمر : اللهُ أكبر ، الحمد لله الذي لم يجعل قاتلي يخاصمني يوم القيامة في سجدة سجدها لله ، قد كنت أظنّ أن العرب لن تقتلني ، ثم أتاه طبيب ، فسقاه نبيذاً ، فخرج منه ، فقال الناس : هذه حمرة الدم ، ثم جاءه آخر ، فسقاه لبناً ، فخرج اللبن يصلد(2) ، فقال له الذي سقاه اللبن : اعهد عهدَك يا أمير المؤمنين، فقال عمر : صدقني أخو بني معاوية(3) .

قال الزهري عن سالم عن ابن عمر : ثم دعا النفر الستة : علياً ، وعثمان ، وسعداً ، وعبد الرحمن ، والزبير ، ــ ولا أدري أذكر طلحة أم لا ــ فقال : إني نظرت في الناس فلم أرَ فيهم شقاقاً ، فإن يكن شقاق فهو فيكم ، قوموا ، فتشاوروا ، ثم أمّروا أحدكم(4) .

---

(1) أي ينزف . القاموس .
(2) أي يبرق ويبص . النهاية لابن الأثير .
(3) انظر طبقات ابن سعد : ٣/٣٥٢ ـ ٣٥٤ .
(4) كان طلحة غائبا عن المدينة ، ثم كان عدد الاحياء من الصحابة العشرة سبعة ، استبعد منهم عمر ابن عمه سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل . انظر طبقات ابن سعد : ٣/٣٤٤ .

قال مَعْمَر : قال الزُهري : فأخبرني حُميد بن عبد الرحمن عن المسور بن مخرمة قال : أتاني عبد الرحمن بن عوف ليلة الثالثة من أيام الشورى ، بعدما ذهب من الليل ما شاءَ الله ، فوجدني نائماً ، فقال : أيقظوه ، فأيقظوني ، فقال : ألا أراك نائماً ، والله ما اكتحلت بكثير نوم منذ هذه الثلاث ، اذهب ، فادع لي فلاناً وفلاناً ، ناساً من أهل السابقة من الأنصار ، فدعوتهم ، فخلا بهم في المسجد طويلاً ، ثم قاموا • ثم قال : اذهب ، فادع لي الزبير ، وطلحه ، وسعداً ، فدعوتهم، فناجاهم طويلاً ، ثم قاموا من عنده ثم قال : ادع لي علياً ، فدعوته فناجاه طويلاً ، ثم قام من عنده ، ثم قال : ادعُ لي عثمان فدعوته ، فجعل يناجيه، فما فرّق بينهما إلاّ أذان الصبح ، ثم صلّى صُهيب[1] بالناس •

فلمّا فرغ ، اجتمع الناس إلى عبد الرحمن ، فحمد الله وأثنى عليه ، ثم قال : أما بعد ، فإني نظرت في الناس ، فلم أرهم يعدلون بعثمان ، فلا تجعل يا عليُّ ، على نفسك سبيلا ، ثم قال : عليك يا عُثمان عهدُ الله وميثاقة ، وذمته ، وذمة رسوله ﷺ أن تعمل بكتاب الله ، وسُنّة نبيّه ﷺ ، وبما عمل به الخليفتان من بعده ؟ قال : نعم ، فمسح على يده فبايعه ، ثم بايعه الناس ، ثم بايعه عليّ ، ثم خرج ، فلقيه ابن عباس ، فقال : خُدعت ، فقال عليُّ : أو خديعة هي ؟•

قال : فعمل بعمل صاحبيه[2] ستاً لا يَخْرِم شيئاً إلى ست سنين ، ثم إن الشيخ رقّ ، وضعف ، فغُلب على أمره •

قال الزُهري : فأخبرني سعيد بن المسيب أن عبد الرحمن بن أبي بكر ــ ولم نجرّب عليه كذبةً قط ــ قال حين قتل عمر : انتهيت إلى الهرمزان[3] وجُفَيْنة وأبي لؤلؤة وهم[4] نَجِيٌّ فبغتّهم فثاروا ، وسقط من بينهم خنجر له رأسان ،

---

(١) صهيب الرومي ، من كبار الصحابة ، أوكل اليه عمر قيادة الصلوات حتى يختار أهل الشورى واحـدا منهـم •

(٢) أي عمل عثمان بعمل أبى بكر وعمر مدة ست سنوات •

(٣) زعيم المقاومة الفارسية للمسلمين بعد القادسية ، أسره المسلمون بعد نهاوند ، وأرسلوه الى المدينة حيث تظاهر بالاسلام ، وهو متهم بالتعاون مع جفينة النصراني بتدبير مؤامرة قتل عمر ، وبدخل البعض في هذه المؤامرة كعب الاحبار • انظر طبقات ابن سعد : ٣/٣٥٥ ـ ٣٥٦ •

(٤) كانوا في احدى حدائق النخبل في المدينة متسترين يتآمرون •

نصابه في وسطه ، فقال عبد الرحمن : فانظروا بما قُتل عمر ، فنظروا ، فوجدوه خنجراً على النعت الذي نعت عبد الرحمن ، قال : فخرج عبيد الله بن عمر مشتملاً على السيف ، حتى أتى الهرمزان ، فقال : اصحبني حتى ننظر إلى فرس لي ، وكان الهرمزان بصيراً بالخيل ، فخرج يمشي بين يديه ، فعلاه عبيد الله بالسيف ، فلما وجد حرّ السيف قال : لا إله إلا الله ، فقتله ، ثم أتى جُفَيْنَةَ ، وكان نصرانياً ، فدعاه ، فلما أشرف له علاه بالسيف ، فصلب [بين] عينيه ، ثم أتى ابنة أبي لؤلؤة ، جارية صغيرة تدّعي الإسلام فقتلها ، فأظلمت المدينة يومئذ على أهلها ، ثم أقبل بالسيف صَلْتاً[1] في يده وهو يقول : والله لا أترك في المدينة سبياً إلاّ قتلته وغيرهم ، وكأنّه يُعَرّض بناسٍ من المهاجرين ، فجعلوا يقولون له : ألقِ السيف ، ويأبى ، ويهابونه أن يقربوا منه ، حتى أتاه عمرو بن العاص ، فقال : أعطني السيف ، يا ابن أخي ، فأعطاه إياه ، ثم ثار إليه عثمان فأخذ برأسه فتناصيا[2] ، حتى حجز الناس بينهما .

فلما وُلِّيَ عثمان قال : أشيروا عليّ في هذا الرجل الذي فتق في الإسلام ما فتق ؟ — يعني عبيد الله بن عمر — فأشار عليه المهاجرون أن يقتله ، وقال جماعة من الناس : أَقُتِلَ عُمر أمس وتريدون أن تتبعوه ابنه اليوم ، أبعد الله الهرمزان وجُفينة ، قال : فقام عمرو بن العاص فقال : يا أمير المؤمنين ، إن الله قد أعفاك أن يكون هذا الأمر ولك على الناس من سلطان ، إنما كان هذا الأمر ولا سلطان لك ، فاصفح عنه يا أمير المؤمنين ، قال : فتفرّق الناس على خطبة عمرو ، وودى[3] عثمان الرجلين والجارية .

قال الزهري : وأخبرني حمزة بن [عبد الله قال][4] عبد الله بن عمر : يرحم الله حفصة إن كانت لمن شجع عبيد الله على قتل الهرمزان وجُفَيْنة .

---

(١) اي مجردا مشهورا .
(٢) اي اخذا بناصية بعضهما البعض .
(٣) اي ادى الدية .
(٤) زيد ما بين الحاصرتين من ابن سعد : ٣٥٦/٣ حيث روى الحديث عن طريق الزهري .

قال الزُهري : وأخبرني عبد الله بن ثعلبة ـ أو قال : ابن حليفه ـ الخزاعي[1] ، قال : رأيت الهرمزان رفع يده يصلّي خلف عمر .

قال معمر : وقال غير الزهري : فقال عثمان : أنا وليّ الهرمزان وجُفَيْنة والجارية ، وإني قد جعلتهم ديةً .

* * *

(١) كان ثعلبة بن صعير والد عبد الله حليفا لبني زهره . انظر : طبقات خليفه : ١/٥٢ . الاستيعاب : ٢/٢٦٢ . تهذيب التهذيب : ٥/١٦٥ ـ ١٦٦ . الاصابة : ٢/٣٧٦ .

حديث الشورى

عبد الرزاق عن مَعْمَر عن الزُهْري عن سالم عن ابن عمر قال : دعا عمر ــ حين طُعن ــ علياً ، وعثمان ، وعبد الرحمن بن عوف ، والزبير ــ قال : وأحسبه قال : ــ وسعد بن أبي وقاص ، فقال : إني نظرت في أمر الناس فلم أرَ عندهم شقاقاً ، فإن يكُ شقاق ، فهو فيكم ، ثم إن قومكم إنّما يؤمّرون أحدكم أيها الثلاثة ، فإن كنت على شيءٍ من أمر الناس يا عليّ ، فاتق الله ، ولا تحمل بني هاشم على رقاب الناس .

قال مَعْمَر : وقال غير الزهري : لا تحمل بني أبي ركانة على رقاب الناس.

قال مَعْمَر : وقال الزُهْري في حديثه عن سالم عن ابن عمر ، قال : وإن كنت يا عثمان ، على شيءٍ فاتق الله ، ولا تحمل بني أبي معيط على رقاب الناس ، وإن كنت على شيءٍ من أمور الناس يا عبد الرحمن ، فاتق الله ، ولا تحمل أقاربك على رقاب الناس ، فتشاوروا ، ثم أمّروا أحدكم .

قال : فقاموا ليتشاوروا ، قال عبد الله بن عمر : فدعاني عثمان فتشاورني ، ولم يُدخلني عمر في الشورى ، فلما أكثر أن يدعوني ، قلت : ألا تتّقون الله ، أتؤمّرون وأمير المؤمنين حيٌّ بعد ؟ قال : فكأنما أيقظت عمر ، فدعاهم ، فقال : أمهلوا ، ليُصَلِّ بالناس صُهيب ، ثم تشاوروا ، ثم أجمَعوا أمركم في الثلاث ، واجمعوا أمراءَ الأجناد ، فمن تأمّركم من غير مشورة من المسلمين فاقتلوه ، قال ابن عمر : والله ما أحبّ أني كنت معهم ، لأني قلّ ما رأيت عمر يُحرّك شفتيه إلا كان بعض الذي يقول(١) .

---

(١) سبقت روايته مجزوءا . انظر طبقات ابن سعد ٣/٣٤٤ . حيث أورد الرواية عن الزهري .

قال الزهري : فلما مات عمر اجتمعوا ، فقال لهم عبد الرحمن بن عوف : إن شئتم اخترت لكم منكم ، فولّوه ذلك ، قال المسور : فما رأيت مثل عبد الرحمن ، والله ما ترك أحداً من المهاجرين والأنصار ، ولا ذوي غيرهم من ذوي الرأي ، إلا استشارهم تلك الليلة[1] .

* * *

(١) أخرجه البخاري في كتاب الأحكام بمعناه عن الزهري عن المسور .

غزوة القادسية وغيرها

عبد الرزاق عن مَعْمَر عن الزُهْري قال : أمَّر رسول الله ﷺ أسامة بن زيد على جيش فيهم عمر بن الخطاب ، والزبير ، فقبض النبي ﷺ قبل أن يمضي ذلك الجيش . فقال أسامة لأبي بكر حين بويع له — ولم يبرح أسامة حتى بويع لأبي بكر — فقام فقال : إن النبي ﷺ وجَّهني لما وجَّهني له ، وإني أخاف أن ترتدَّ العرب . فإن شئت كنتُ قريباً منك حتى تنظر ، فقال أبو بكر : ما كنت لأرُدّ أمراً أمر به رسول الله ﷺ ، ولكن إن شئت أن تأذن لعمر فافعل ، فأذن له ، وانطلق أسامة بن زيد ، حتى أتى المكان الذي أمره رسول الله ﷺ ، قال : فأخذتهم الضبابة ، حتى جعل الرجل منهم لا يكاد يبصر صاحبه ، قال : فوجدوا رجلا من أهل تلك البلاد ، قال : فأخذوه يدلّهم الطريق حيث أرادوا ، وأغاروا على المكان الذي أمروا ، قال : فسمع بذلك الناس ، فجعل بعضهم يقول لبعض : تزعمون أن العرب قد اختلفت ، وخيلهم بمكان كذا وكذا ؟ قال : فردّ الله تبارك وتعالى بذلك عن المسلمين ، فكان يُدعَى بالإمارة(1) حتى مات ، يقولون : بعثه رسول الله ﷺ ولم ينزعه حتى مات .

عبد الرزاق عن مَعْمَر عن الزُهْري قال : لما استُخلِف عمرُ نَزَع خالد ابن الوليد ، فأمّر أبا عبيدة بن الجراح ، وبعث إليه بعهده وهو بالشام يوم اليرموك ، فمكث العهد مع أبي عبيدة شهرين لا يُعَرّفه إلى خالد ، حياءً منه ،

---

(1) يروى بأن عمرا كان عند ما يلقاه بعد ذلك يبادره بقوله : السلام عليك ايها الأمير . انظر البداية والنهاية : ٣٠٥/٦ .

فقال خالد : أخرج أيّها الرجل عهدك ، نسمع لك ونطيع ، فلعمري لقد مات [أحَبّ] الناس إلينا ، ووُلّي أبغض الناس إلينا ، فجعله أبو عبيدة على الخيل .

عبد الرزاق عن مَعْمَر عن الزُهْري عن سالم عن ابن عمر .

قال مَعْمَر : وأخبرني ابن طاووس عن عِكْرمة بن خالد عن ابن عمر قال : دخلت على حفصة ونوساتها تَنْطف[1] . فقلت : قد كان من أمر الناس ما ترين ، ولم يُجعل لي من الأمر شيء . قالت : فالحق بهم فإنهم ينتظرونك ، والذي أخشى أن يكون في احتباسك عنهم فرقة ، فلم تَدَعْه حتى يذهب ، فلما تفرّق الحكمان ، خطب معاوية ، فقال من كان متكلّماً فليُطلع قرنه[2] .

عبد الرزاق عن مَعْمَر عن أيوب السختياني عن حُمَيد بن هلال ، قال : لما كان يوم القادسية كان على الخيل قيس بن مكشوح العبسي ، وعلى الرجالة المُغيرة بن شعبة الثقفي ، وعلى الناس سعد بن أبي وقاص ، فقال قيس : قد شهدت يوم اليرموك ، ويوم أجنادين ، ويوم بيسان ، ويوم فحل[3] ، فلم أرَ كاليوم عديداً ، ولا حديداً ، ولا صنعة لقتال ، والله ما يُرى طرفاهم . فقال المغيرة بن شعبة : إن هذا زبد من زبد الشيطان ، وإنّا لو قد حملنا عليهم قد جعَل الله بعضهم على بعض ، فلا ألْفِيَنَّكَ إذا حلمتُ عليهم برَجّالتي أن تحمل عليهم بخيلك ، في أقفيتهم ، ولكن تكْفّ عنا خيلك ، واحمل على من يليك ، قال : فقام رجل ، فقال : الله أكبر ، إني لأرى الأرض من ورائهم ، فقال المغيرة : إجلس ، فإن القيام والكلام عند القتال فَشَل ، وإذا أراد أحدكم أن يبل فليبل في مركز رمحه ، ثم قال : إني هازّ رايتي ثلاثاً ، فإذا هزرتها المرة الأولى فتهيّؤوا[4] ثم إذا هززتها الثالثة فتهيّؤوا للحملة — أو قال : احملوا — فإني

(١) أي تقطر ذؤابتاها ماء .

(٢) سلف هذا في خبر التحكيم ، فلينظر ص : ١٦٠ .

(٣) من أيام فتوح الشام مشهورة . انظرها في فتوح الشام للأزدي . فتوح البلدان . تاريخ الطبري .

(٤) لم يذكر المرة الثانية .

حامل ، قال : فهزها الثالثة ، ثم حمل ، وإن عليه لدرعين ، قال : فما وصلنا إليه حتى أثأى فيهم[1] بطعنتين وفقئت عينه[2] ، وكان الفتح ، قال : فجعل الله بعضهم على بعض حتى يكونوا رُكاماً ، فما تشاءُ أن تأخذ رجلين ، واحد منهم فتقتله إلاّ فعلت .

* * *

(١) أثأى فيهم : قتل وجرح . اللسان والقاموس .

(٢) جاءت كلمات هذه الرواية في الأصل كلها مصحفة ، ولعل ما أثبتناه هو الصواب .

تزويج فاطمة رحمة الله عليها

عبد الرزاق عن مَعْمَر عن أيوب عن عكرمة وأبي يزيد المديني ، أو أحدهما — شكّ أبو بكر — أن أسماء ابنة عُميس(١) قالت : لما أهديت فاطمة [إلى] عليّ لم نجد في بيته إلاّ رملاً مبسوطاً ، ووسادة حشوها ليف ، وجرّة ، وكوزاً ، فأرسل النبي ﷺ إلى [علي] : لا تُحْدِثنّ حدثاً — أو قال : لا تقربنّ أهلك — حتى آتيك ، فجاء النبي ﷺ ، فقال : أثَمّ أخي ؟ فقالت أم أيمن — وهي أمّ أسامة بن زيد ، وكانت حبشية ، وكانت امرأة صالحة — : يا نبيّ الله ، هو أخوك ، وزوّجته ابنتك ؟ — وكان النبي ﷺ آخى بين أصحابه ، وآخى بين علي ونفسه — فقال : إن ذلك يكون يا أم أيمن ، قال : فدعا النبي ﷺ بإناءٍ فيه ماء ، فقال فيه ما شاءَ الله أن يقول ، ثم نضح [على] صدر عليّ ووجهه ، ثم دعا فاطمة ، فقامت إليه تعثر في مرطها من الحياءِ ، فنضح عليها من ذلك الماءِ ، وقال لها ما شاء الله أن يقول : ثم قال لها : أما أني لم آلُكِ ، أنكَحْتُكِ أحبّ أهلي إليّ ، ثم رأى رسول الله ﷺ سواداً من وراء الستر — أو من وراء الباب — فقال : من هـذا ؟ قالت : أسماءُ ، قال : أسماءُ ابنة عميس ؟ قالت : نعم ، يا رسول الله ، قال : أجئتِ كرامة لرسول الله ﷺ مع ابنته ؟ قالت : نعم ، إن الفتاة ليلة يُبنى بها ، لا بدّ لها من امرأة تكون قريباً [منها] ، إن عرضت حاجة أفضت بذلك إليها ، قالت : فدعا لي دعاءً إنه لأوثق عملي عندي ، ثم قال لعليّ : دونك أهلك ، ثم خرج ، فولّى ، قالت : فما زال يدعو لهما حتى توارى في حجره .

---

(١) هي زوجة جعفر بن أبي طالب ، خلف عليها بعد استشهاده في مؤته أبو بكر الصديق ، فولدت له محمدا ، ثم تزوجها بعد وفاته علي بن أبي طالب . انظر طبقات ابن سعد : ٢٨٠/٨ . طبقات خليفة بن خياط : ٨٨٧/٢ . الاصابة : ٢٢٥/٤ . الاستيعاب : ٢٣٠/٤ .

عبد الرزاق عن يحيى بن العلاءِ البجلي عن عمّه شعيب بن خالد عن حنظلة بن سمرة بن المسيب عن أبيه عن جده عن ابن عباس قال : كانت فاطمة تذكر لرسول الله ﷺ ، فلا يذكرها أحد إلاّ صدّ عنه ، حتى يئسوا منها ، فلقي سعد بن معاذ علياً ، فقال : إني والله ما أرى رسول الله ﷺ يحبسها إلاّ عليك ، قال : فقال له عليٌّ : لم ترى ذلك ؟ قال(١) : فوالله ما أنا بواحد من الرجلين : ما أنا بصاحب دنيا يلتمس ما عندي ، وقد علم مالي صفراءَ ولا بيضاءَ ، ولا أنا بالكافر الذي يترفق بها عن دينه ــ يعني يتألفه بها ــ إني لأول من أسلم ، فقال سعد : فإني أعزم عليك لتفرّجنها عني ، فإن في ذلك فرجاً ، قال : فأقول ماذا ؟ قال : تقول : جئتُ خاطباً إلى الله وإلى رسول ﷺ فاطمة بنت محمد ﷺ ، قال : فانطلق عليٌّ ، فعرض على النبي ﷺ وهو يصلي ، [فلما قضى النبي ﷺ صلاته بادر](٢) ليقل حصر ، فقال النبي ﷺ : كأنّ لك حاجةً يا عليُّ ؟ قال : أجل ، جئت خاطباً إلى الله ورسوله ، فاطمة ابنة محمد [ﷺ] ، فقال له النبي ﷺ : مرحباً ، كلمة ضعيفة .

ثم رجع عليّ إلى سعد بن معاذ ، فقال له : ما فعلت ؟ قال : فعلت الذي أمرتَني به ، فلم يزِدْ على أن رحّب بي كلمة ضعيفة ، فقال سعد : أنكحك والذي بعثه بالحق ، إنه لا خلف الآن ، ولا كذب عنده ، عزمتُ عليك لتأتينّه غداً ، فتقولنّ يا نبي الله ، متى تبنني ؟ قال عليٌّ : هذه أشدّ من الأولى ، أو لا أقول : يا رسول الله حاجتي ؟ قال : قل كما أمرتك ، فانطلق عليٌّ ، فقال : يا رسول الله ! متى تبنني ؟ قال : الثالثة(٣) ، إن شاء الله ، ثم دعا بلالاً ، فقال : يا بلال ، إني زوّجت ابنتي ابن عمّي ، وأنا أحِبُّ أن يكون من سنَّة أمتي إطعام الطعام عند النكاح ، فأت الغنم ، فخُذْ شاةً ، وأربعة أمداد أو خمسةً ، فاجعل لي قصعةً لعلي أجمع عليها المهاجرين والأنصار ، فإذا فرغت منها فآذنّي

(١) أي علي .

(٢) أضيف ما بين الحاصرتين كيما يستقيم السياق . انظر سيرة ابن اسحق : ٢٤٦ ــ ٢٤٧ .

(٣) أي الليلة الثالثة .

بها ، فانطلق ففعل ما أمره ، ثم أتاه بقصعة ، فوضعها بين يديه ، فطعن رسول الله ﷺ في رأسها ، ثم قال : أدخل عليَّ الناس زَفَّةً زفّةً(١) ، ولا تغادرنَّ زفّة إلى غيرها — يعني إذا فرغت زفة لم تعد ثانيةً — فجعل الناس يردون ، كلما فرغت زفّة وردت أخرى ، حتى فرغ الناس ، ثم عمد النبي ﷺ إلى ما فضل منها فتفل فيه ، وبارك ، وقال : يا بلال ، احملها إلى أمّهاتك(٢) ، وقُلْ لهنَّ : كُلْنَ ، وأطْعِمْنَ مَن غَشِيَكُنَّ •

ثم إن النبي ﷺ قام حتى دخل على النساء ، فقال : إني قد زوّجت ابنتي ابن عمّي ، وقد علمتُنَّ منزلتها مني ، وإني دافعها إليه الآن إن شاء الله ، فدونكُنَّ ابنتكُنَّ ، فقام النساءُ فغلّفْنَها من طيبهن ، وحَلْيِهِنَّ ، ثم إن النبي ﷺ دخل ، فلما رآه النساءُ ذهبن و [كان] بينهنَّ وبين النبي ﷺ سُترة ، وتخلّفت أسماءُ ابنة عميس ، فقال لها النبي ﷺ : أنت على رسلك ؛ من أنتِ ؟ قالت : أنا التي أحرس ابنتك ، فإن الفتاة ليلة يُبنى بها ، لا بد لها من امرأة تكون قريباً منها ، إن عرضت لها حاجة ، وإن أرادت شيئاً أفضت بذلك إليها ، قال : فإني أسأل إلهي أن يحرسكِ من بين يديكِ ، ومن خلفك ، وعن يمينك ، وعن شمالك ، من الشيطان الرجيم ، ثم صرخ بفاطمة ، فأقبلت ، فلمّا رأت عليّاً جالساً إلى جنب النبي ﷺ خَفِرَت ، وبكت ، فأشفق النبي ﷺ أن يكون بكاؤها لأن علياً لا مال له ، فقال النبي ﷺ : ما يُبْكيكِ ، فما ألوتك في نفسي ، وقد طلبت لكِ خير أهلي ، والذي نفسي بيده لقد زوجتكهِ سعيداً في الدنيا ، وإنه في الآخرة لمن الصالحين ، فلازمتها ، فقال النبي ﷺ : ائتيني بالمخضب(٣) فامْليه ماءً ، فأتت أسماءُ بالمِخضب فملأته ماءً ، ثم مَجَّ النبي ﷺ فيه ، وغسل فيه قدميه ووجهه ، ثم دعا فاطمة ، فأخذ كفّاً من ماءٍ فضرب به على رأسها ، وكفّاً بين ثدييها ، ثم رشّ جلده

(١) أي فئة تلو أخرى •

(٢) أي زوجات النبي أمهات المؤمنين •

(٣) وعاء يوضع به الماء للاغتسال •

وجلدها ، ثم التزمها فقال : اللهمَّ إنها منّي ، وأنا منها ، اللهم كما أذهبت عنّي الرجس ، وطهّرتني ، فطهّرها .

ثم دعا بمخضب آخر ، ثم دعا علياً ، فصنع به كما صنع بها ، ودعا له كما دعا لها ، ثم قال : أنْ قوما إلى بيتكما ، جمع الله بينكما ، وبارك في سرّكما ، وأصلح بالكما ، ثم قام فأغلق عليهما بابهما بيده .

قال ابن عباس : فأخبرتني أسماءُ بنت عميس أنها رمقت رسول الله ﷺ ، فلم يزل يدعو لهما خاصةً ، لا يُشركهما في دعائه أحداً ، حتى توارى في حجره .

عبد الرزاق عن وكيع بن الجراح قال : أخبرني شريك عن أبي إسحاق ، أن علياً لما تزوج فاطمة ، قالت للنبي ﷺ : زوجتنيه أعَيمش عظيم البطن ، فقال النبي ﷺ : لقد زوجتكه وإنه لأول أصحابي سلماً ، وأكثرهم علماً ، وأعظمهم حلماً .

عبد الرزاق عن مَعْمَر عن الزُّهري عن عروة بن الزبير أن أسامة بن زيد أخبره أن النبي ﷺ ركب حماراً على إكاف[1] تحته قطيفة فدكية[2] ، وأردف وراءه أسامة بن زيد ، وهو يعود سعد بن عبادة في بني الحارث بن الخزرج ، وذلك قبل وقعة بدر ، حتى مرّ بمخلط[3] فيه من المسلمين ، والمشركين عبدة الأوثان ، واليهود ، وفيهم عبد الله بن أبي [بن] سلول ، وفي المجلس عبد الله بن رواحة ، فلما غشيت المجلس عَجاجة الدابة خمّر[4] عبد الله بن أبيّ أنفه بردائه ، ثم قال : لا تغبّروا علينا ، فسلّم عليهم النبي ﷺ ثم وقف ، فنزل ، فدعاهم إلى الله ، وقرأ عليهم القرآن ، فقال له عبد الله بن أبَيّ : أيّها المرءُ ، ألا أحسن من هذا ، إن كان ما تقول حقاً ، فلا تؤذِنا في مجلسنا ، وارجع إلى

(١) اكاف الحمار برذعته .
(٢) كساء غليظ منسوب الى قرية فدك .
(٣) أي مجلس فيه أخلاط من الناس .
(٤) وضع الخمار ، أي غطى .

رحلك ، فمن جاءكَ منّا فاقصص عليه ، فقال ابن رواحة : اغشنا في مجالسنا ، فإنّا نُحبّ ذلك ، فاستبّ المسلمون والمشركون واليهود ، حتى همّوا أن يتواثبوا فلم يزل رسول الله ﷺ يخفضهم[1] ، ثم ركب دابته حتى دخل على سعد بن عبادة ، فقال : أيْ سعدُ ، ألم تسمع ما يقول أبو حُباب ؟ ــ يريد عبد الله بن أبيّ ــ قال : كذا وكذا ، قال سعد : اعفُ عنه يا رسول الله ﷺ ، واصفح ، فوالله لقد أعطاك الله الذي أعطاك ، ولقد اصطلح أهل هذه البحيْرة[2] أن يتوّجوه ، يعني يُملّكوه ، فيعصّبوه بالعصابة[3] ، فلما ردّ الله تبارك وتعالى ذلك بالحق الذي أعطاكه شرِق[4] بذلك ، فلذلك فعل بك ما رأيت ، فعفا عنه رسول الله ﷺ .

آخر كتاب المغازي

والحمد لله وحده وصلّى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه

---

(١) أي يسكنهم .

(٢) لفظ يطلق على القرية ، ويريد بذلك المدينة .

(٣) كانوا يعصبون رأس رئيسهم بعصابة فيها بعض الأحجار الكريمة أو اللؤلؤ .

(٤) أي غص به .

الفهارس العامة

الآيات القرآنية

الشــــعر

الأعـــــــلام

المحتوى

مراجع التحقيق والدراسة

ابن الأثير الجزري (أبو الحسن علي)
الكامل في التاريخ ـ القاهرة ، ١٣٤٨ هـ

ابن الأثير (مجد الدين المبارك)
النهاية في غريب الحديث ـ المكتبة الاسلامية

الأزدي (محمد بن عبد الله)
فتوح الشام ـ القاهرة : ١٩٧٠

ابن اسحق (محمد)
السير والمغازي ـ بيروت : ١٩٧٩

الأصفهاني (الحسن بن عبد الله)
بلاد العرب ـ بيروت : ١٩٦٨

أغناطيوس يعقوب الثالث
الشهداء الحميريون العرب في الوثائق السريانية ـ دمشق : ١٩٦٦

الأنصاري (عبد القدوس)
آثار المدينة المنورة ـ دمشق : ١٩٣٥

ابن أيبك الدواداري (عبد الله)
الوافي بالوفيات ـ ط ٠ مصورة ـ بيروت

البخاري (أبو عبد الله محمد بن اسماعيل)
١ ـ صحيح البخاري ـ دار الفكر ـ بيروت
٢ ـ التاريخ الكبير ـ حيدر أباد

ابن بكار (الزبير)
١ ـ جمهرة نسب قريش ـ القاهرة ـ دار العروبة
٢ ـ الأخبار الموفقيات ـ بغداد : ١٩٧٢

البلاذري (أحمد بن يحيى)
١ ـ أنساب الأشراف (مجلد السيرة) ـ القاهرة : ١٩٥٩
٢ ـ فتوح البلدان ـ القاهرة : ١٩٣٢

الجاسر (حمد)
أبو علي الهجري وأبحاثه في تحديد المواضع ـ بيروت : ١٩٦٨

ابن حجر (أحمد بن علي)
١ ــ تهذيب التهذيب ــ حيدر أباد : ١٣٢٥ هـ
٢ ــ فتح الباري بشرح صحيح البخاري ــ ط • مصورة دار الفكر ــ بيروت

الحربي (الامام أبو اسحق)
كتاب المناسك وأماكن طرق الحج ومعالم الجزيرة ــ بيروت : ١٩٦٩

ابن حزم (علي بن أحمد)
١ ــ جمهرة أنساب العرب ــ القاهرة : ١٩٦٢
٢ ــ جوامع السيرة ــ القاهرة ــ دار المعارف

ابن حنبل (الامام أحمد)
كتاب المسند ــ ط • مصورة ــ بيروت

الخــــزاعي
تخريج الدلات السمعية ــ نسخة خطية خاصة لدي

الخشني (أبو ذر بن محمد)
شرح السيرة النبوية ــ القاهرة : ١٣٢٩ هـ

ابن خلكان (أحمد بن محمد)
وفيات الأعيان ــ القاهرة : ١٣١٠ هـ

خليفه (حاجي)
كشف الظنون من أسامي الكتب والفنون ــ ليبزج : ١٨٥٨

ابن خياط (خليفــة)
١ ــ تاريخ خليفة بن خياط ــ دمشق : ١٩٦٨
٢ ــ طبقات خليفة بن خياط ــ دمشق : ١٩٦٧

الدارمي (عبد الله بن عبد الرحمن)
سنن الدارمي ــ دار إحياء السنة النبوية

الدوري (عبد العزيز)
بحث في نشأة علم التاريخ ــ بيروت ــ المطبعة الكاثوليكية

الذهبي (محمد بن أحمد)
١ ــ تاريخ الاسلام (الجزء الأول) ــ القاهرة : ١٩٧٥
٢ ــ دول الاسلام ــ حيدر أباد : ١٩١٩
٣ ــ ميزان الاعتدال ــ القاهرة : ١٩٦٣

الرازي (أحمد بن عبد الله)
تاريخ مدينة صنعاء ــ دمشق : ١٩٧٤

الزبيري (المصعب)
نسب قريش ــ القاهرة : ١٩٥٣

الزركلي (خير الدين)
الأعــلام ــ الطبعة الثالثة ــ بيروت

زكار (سهيل)
التأريخ عند العرب ــ دمشق : ١٩٧٢
سزكين (فؤاد)
تاريخ التراث العربي ــ القاهرة : ١٩٧١
ابن سعد (محمد)
الطبقات ــ بيروت : ١٩٥٨
السهيلي (عبد الرحمن بن عبد الله)
الروض الأنف ــ ط · مصورة ــ بيروت
الطبري (محمد بن جرير)
تاريخ الرسل والملوك ــ ط · دار المعارف ــ القاهرة
ابن العماد (عبد الحي)
شذرات الذهب ــ بيروت ــ المكتب التجاري
ابن قدامة المقدسي (عبد الله)
الاستبصار في نسب الصحابة من الأنصار ــ بيروت : ١٩٧٢
الكتاني (عبد الحي الكتاني)
التراتيب الادارية ــ ط · مصورة ــ بيروت
ابن كثير (اسماعيل بن عمر)
البداية والنهاية ــ القاهرة : ١٩٣٢
كحاله (عمر رضا)
معجم المؤلفين ــ ط · مصورة ــ بيروت
المراغي (الحسين بن عمر)
تحقيق النصرة بتلخيص معالم دار الهجرة ــ القاهرة : ١٩٥٥
المزي (يوسف)
تهذيب الكمال ــ نسخة خطية خاصة لدي
المسعودي (أبو الحسن علي بن الحسين)
مروج الذهب ــ القاهرة : ١٩٥٨
ابن منبه (وهب)
التيجان في ملوك حمير ــ حيدرأباد : ١٣٤٧ هـ
النـــديم
الفهرس ــ طهران : ١٩٧١
الهمداني (الحسن بن أحمد)
صفة جزيرة العرب ــ بيروت : ١٩٧٤
الواقدي (محمد بن عمر)
كتاب المغازي ــ اكسفورد : ١٩٦٦
اليافعي (محمد بن عبد الله)
مرآة الجنان وعبرة اليقظان ــ حيدرأباد : ١٩١٩

ملاحظة

كما سلفت الاشارة في المقدمة
فإن الكتاب المقبل في السير والمغازي
سيكون ان شاء الله
من تصنيف الامام ابن عساكر
صاحب تاريخ دمشق .